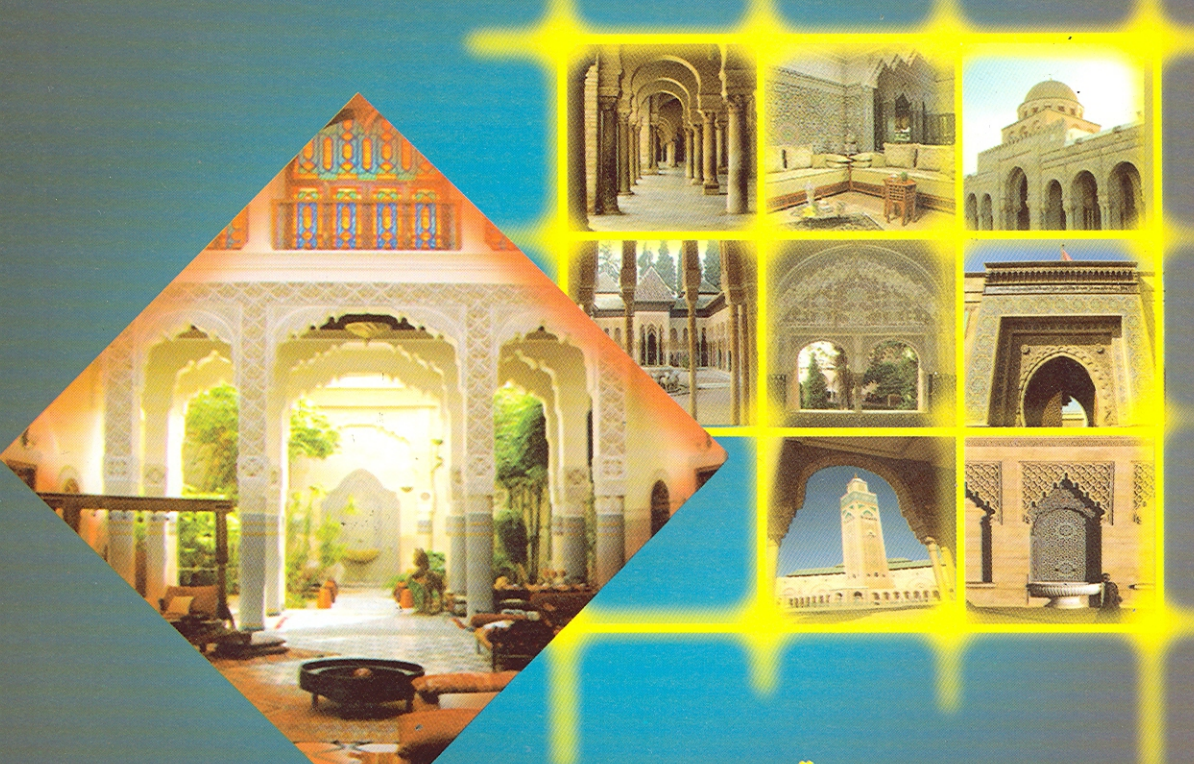
جامعة عين شمس
كلية الآداب

التعليم المفتوح

عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي

د/ صلاح أحمد البهنسي



مراجعة
أ.د. أحمد عبد الرازق أحمد

جامعة عين شمس

التعليم المفتوح

كلية الآداب

عمارة المغرب والأندلس

في العصر الإسلامي

د/ صلاح أحمد البهنسي

كلية الآداب - جامعة عين شمس

مراجعة

أ.د. أحمد عبد الرازق أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى قرة عيني وبهجة عمري

إلى إبنتي إسراء

تحيةً وإعزازاً

مقدمة :

تمثل عمارة بلاد المغرب والأندلس طرازاً متميزاً بين طرز العمارة الإسلامية ، فهي وإن كانت تتفق مع غيرها من حيث بعض أنماط التخطيط وكذلك بعض العناصر المعمارية ، إلا أنها تختص بطابع معماري وفني متميز في بعض عناصرها مثل المآذن " الصوامع " ، والقباب التي تغطي أجزاء من بيت الصلاة ، وطرز الأعمدة وتيجانها وكذلك المعالجات الزخرفية . وقد كان لبعض هذه العناصر تأثيرها الواضح في عمارة بعض بلاد شرق العالم الإسلامي ، كما كان للصلات السياسية والتجارية مع دول أوروبا أثرها في نقل الكثير من هذه العناصر إلى تلك البلاد .

وقد نالت عمارة بلاد المغرب والأندلس في الفترة الأخيرة إهتمام الباحثين وصدرت عدة كتابات في هذا المجال . إلا أن المجال مازال يتسع لمزيد من الدراسات والبحوث التي تميط اللثام عن مظاهر التفرد والأبداع في هذا التراث . وفي هذا المجال فإننا نقدم هذا الكتاب ليكون إسهاما في توضيح الملامح المعمارية المميزة لعمارة بلاد المغرب والأندلس . ونظراً لتعدد المنشأت المعمارية التي تزخربها هذه البلاد على إمتدادها الجغرافي والزمني فأنه من الصعوبة بمكان تناولها جميعاً بالدراسة ، مما تطلب الإكتفاء بنماذج منها ، روعي في إختيارها إشتمالها على الخصائص المعمارية المميزة لكل من الطراز المعماري المغربي والأندلسي .

وكما هو الحال بالنسبة للعمائر في مختلف بلاد العالم الإسلامي فإنه تطرأ على كل منها تعديلات وإضافات في الفترات التالية لإنشائها ، مما ينتج عنها تغلب سمات طراز معماري على غيره . لذلك فإننا إتبعنا نسبة الأثر إلى فترة

إنشائه في حال تبقي بعض العناصر من تلك الفترة . أما إذا كانت الوحدات والعناصر المعمارية المضافة في فترات تالية قد أكسبت المنشأة طابعاً مختلفاً عما كانت عليه، وأصبحت ممثلة لطراز معماري أخر فإننا ننسبها لتلك الفترة مع الإشارة إلى نشأتها الأولى .

ويشتمل الكتاب على تمهيد لمجمل تاريخ بلاد المغرب والأندلس ، والأسرات الحاكمة التي تعاقبت على كل منها وأهم الأحداث السياسية المؤثرة. ويعقب ذلك عشرة فصول. يتناول الأول عرض للخصائص المميزة للطراز المعماري المغربي ، والطراز المعماري الأندلسي. ويشتمل الفصل الثاني على دراسة لنماذج من عمائر الأغالبة ، سواء منها المساجد الجامعة والصغيرة والأربطة . أما الفصل الثالث فيتناول العمارة في العصر الفاطمي والمرابطي ، وهي نماذج قليلة خاصة ما ينسب منها إلى العصر الفاطمي نظراً للعوامل السياسية المؤثرة مثل إغارة قبائل بني سليم وبني هلال على بلاد المغرب وما نتج عن ذلك من أعمال التخريب والدمار ، بالإضافة إلى خروج بعض الولاه عن الطاعة للدولة الفاطمية بعدما أنتقل مقرها إلى مدينة القاهرة . وفي الفصل الرابع دراسة لنماذج من عمائر الموحدين في بلاد المغرب الأقصى ، وتتبع لما طرأ على الطراز المعماري المغربي في تلك الفترة . وخصصنا الفصل الخامس لدراسة نشأة المدارس في بلاد غرب العالم الإسلامي ،والسمات المعمارية المميزة لها ومظاهر إختلافها عن مدارس شرق العالم الإسلامي ، وما طرأ على طراز المدرسة من تغير إبان الحكم العثماني لهذه البلاد . ولأن الطرز المعمارية تخضع لعوامل التأثير والتاثر نتيجة للعلاقات والصلات بين البلاد ، فقد تعرضت بلاد المغرب الإسلامي لتأثيرات معمارية وفنية ، تتبعنا منها في الفصل السادس أهم هذه

التأثيرات وهي التأثيرات الأندلسية ، والتأثيرات العثمانية التي غيرت كثير من ملامح الطراز المعماري المغربي في البلاد التي خضعت للحكم العثماني في كل من ليبيا وتونس والجزائر إذ تغيرت طرز التخطيط والعناصر المعمارية حتى ما كان منها مميزاً للطراز المعماري المغربي مثل المآذن المربعة. ويتناول الفصل السابع العمارة في بلاد الأندلس في عصر الخلافة وملوك الطوائف والتي شملت المساجد والقصور ، ومن أهمها بالطبع مسجد قرطبة الجامع أما الفصل الثامن فقد خصص للعمارة في عصر الموحدين ، والتي ترتبط بشكل أساسي بعمارة مدينة أشبيلية . وفي الفصل التاسع تناولنا العمارة في بلاد الأندلس في عصر دولة بني نصر ، التي ترتبط بشكل أساسي بمدينة غرناطة ، وبصفة خاصة قصور الحمراء وملحقاها ، وتعرضنا في الفصل العاشر لتعريف ببعض العكائر الأندلسية مثل المترل والقصر والفندق والتحصينات . وبعد الخاتمة ذيلنا الدراسة بملحق يتناول أهم مصطلحات العمارة في بلاد المغرب والأندلس ، حيث أن لعمارة هذه البلاد مصطلحاها الخاصة بها والتي تختلف عن مثيلاها في بقية بلاد العالم الأسلامي . وزود الكتاب بمجموعة من الأشكال بالإضافة إلى مجموعة من اللوحات التي توضح مادة الكتاب. والله نسأل أن نكون قد وفقنا لما قصدنا وعلى الله قصد السبيل .

د.صلاح أحمد البهنسي

القسم الأول

العمارة الإسلامية في بلاد المغرب

تمهيد تاريخي

مجمل تاريخ بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي

أطلق المؤرخون والجغرافيون العرب على بلاد شمال إفريقيا اسم بلاد المغرب، وذلك لوقوعها في الجهة الغربية من حواضر الخلافة الإسلامية في المدينة ودمشق وبغداد . وكان يسكن هذه البلاد عند الفتح الإسلامي لها قبائل البربر الذين كانوا ينقسمون إلى " البرانس "، وهم سكان المدن، وقد سموا بهذه التسمية نظراً لأنهم كانوا يلبسون البرنس الذي يغطي الجسم بكامله بما فيه الرأس. أما القسم الآخر فهم " البتر "، وهم سكان سفوح الجبال والصحراء . وكانت هذه البلاد تخضع للدولة البيزنطية، وبالتالي فإنه بالإضافة إلى قبائل البربر كانت توجد جماعات من الرومان، ومجموعات من سكان دول أوربية أخرى وخاصة بلاد البحر المتوسط . وكان البربر وثنيون، أما الأوربيون فكانوا يدينون بالمسيحية، كما كانت توجد أعداد كبيرة من اليهود يعملون بالتجارة والربا .

وقد وجد العرب صعوبات جمة في فتح هذه البلاد كما ارتد أهلها أكثر من مرة . إلا أن العرب استطاعوا إستمالة البربر إليهم، وذلك بضمهم للجيش الإسلامي، فقد استعان بهم موسى بن نصير في فتح باقي بلاد شمال أفريقيا والأندلس، وكانت هناك عدة محاولات لفتح المناطق الجنوبية من أفريقية، فقد سار معاوية بن حديج على رأس جيش من قبل عثمان بن عفان، وذلك في سنة 34 هـ/654م بعدما تمكن عمرو بن العاص من فتح مصر وبرقة وطرابلس، إلا أن جيش معاوية لم يتمكن من ذلك. وقتل عدد كبير منهم كان ضمنهم

الصحابي الجليل عبد الله بن أبي زمعة البلوي، الذي دفن بمنطقة جلولة بالقرب من القيروان.

ويرجع الفضل إلى عقبة بن نافع في توطيد أركان الحكم الإسلامي في شمال إفريقيا، وخاصة بعد تأسيس مدينة القيروان سنة 55هـ/674م، التي اتخذها في مكان بعيد عن البحر لكي يتجنب خطر الأساطيل الرومانية التى كانت تجوب البحر المتوسط. وقد أسس جامعاً في وسطها إلى جانبه دار الإمارة، وكانت المدينة محاطة بسور يتخلله أربعة عشر باباً . كما انتصر على الكاهنة البربرية " داهية " التي كانت تحكم قبائل البتر البربرية في بعض المعارك، إلا أنه لم يستطع القضاء عليها، وظلت تغير على قبائل البرانس ، لذلك فقد استنجد البرانس بحسان ابن النعمان، وتمكن من قتل الكاهنة. وقام بعد ذلك بتوحيد البتر والبرانس، كما أنشأ في موقع مدينة تونس الحالية داراً لصناعة السفن مستعيناً في ذلك بصناع من مصر . ونظم أفريقية إدارياً، وأنشأ بها الدواوين .

ظلت بلاد المغرب تابعة للخلافة الأموية في دمشق ، وعندما قامت الدولة العباسية إنقسمت هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام، وهي المغرب الأدنى ويشمل ليبيا وطرابلس، والمغرب الأوسط ويشمل إفريقية " تونس"، والجزائر، والمغرب الأقصى ويشمل مراكش "المغرب" . كما حدثت في ذلك العصر حركات إستقلالية عن الدولة العباسية، فقامت دولة الأغالبة في المغرب الأوسط وذلك سنة 185هـ/ 800م، والذين استطاعوا ضم صقلية ومالطة وسردينية إلى ملكهم ، كما غزوا شواطئ فرنسا الجنوبية، وشواطئ إيطاليا، وينسب إليهم أقدم رباط في هذه المنطقة وهو رباط سوسة . وفي سنة 192هـ/807م قامت دولة الأدارسة، واتخذوا من فاس عاصمة لهم، وامتد حكمهم حتى مدينة تلمسان في

الجزائر. وفي سنة 297هـ/910م قامت الدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي، واستولت على جميع أملاك دولة الأغالبة، وقاموا بتأسيس مدينة المهدية عاصمة لهم، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مصر، حيث أسسوا الدولة الفاطمية، كما أنشأوا مدينة القاهرة كعاصمة لهم . ولكن هذه الدولة وجدت هي الأخرى من يتمرد عليها مثل بني زيري حكام تونس الذين أعلنوا ولائهم للدولة العباسية، فأرسل إليهم الفاطميون قبائل بني هلال للإنتقام منهم. وقد حدث مثل ذلك في الجزائر حيث تمردت أسرة بني حماد على الدولة الفاطمية. وقد استطاعت دولة المرابطين جمع شتات هذه الدويلات المتفرقة، إذ قامت هذه الدولة سنة 448هـ/1057م واتخذت من مراكش عاصمة لها، ثم بسطت نفوذها على معظم بلاد شمال إفريقيا، وجزء من بلاد الأندلس. ويرجع الفضل إلى يوسف بن تاشفين في تأسيس مدينة مراكش . كما أنه انتصر على مسيحي الأندلس في أشبيلية عندما اشتبكوا مع المسلمين، وكان ذلك في موقعة الزلاقة سنة 480هـ/1087م، والتي وطدت الحكم الإسلامي في معظم بلاد الأندلس . وأدى ذلك إلى ظهور عصر جديد أصبح يعرف بالعصر المغربي الأندلسي، نظراً للإمتزاج الذي حدث بين بلاد المغرب والأندلس . وقد انتهت دولة المرابطين على أيدي الموحدين، حيث أنه في سنة 542هـ/1147م قتل الموحدون إسحاق بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين آخر حكام المرابطين، وقامت دولة الموحدين، ونقلت العاصمة إلى مراكش، وأنشأوا في عاصمتهم الدينية " تين ملل " في الجزائر جامعاً وروضة، اشترك في بناؤها معماريون من المغرب والأندلس. وقد حقق أبو يوسف يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين أعظم

الإنتصارت على ملك قشتالة في معركة الأرك في شعبـــان 591هـ/ يوليـــو 1195م .

وقد استمر ملك الموحدين وسطوتهم حتى انتهى ذلك فى عهد المرتضي آخر حكام الموحدين، وكان ذلك سنة 666هـ/1266م. وقد خلفت دولة الموحدين دولة بني مرين، حيث استطاع عبد الحق تأسيس هذه الدولـــة، إلى أن توطدت أركانها في فترة حكم أبو يوسف يعقوب، واستمرت هذه الدولة تحكم أجزاء من بلاد المغرب الأقصى حتى عهد عبد الحق، والذي انتهت فترة حكمـــه سنة 871هـ/1466م. هذا فى الوقت الذى كانت تحكم فيه بـــلاد المغـــرب الأدنى الدولة الحفصية. وفى الوقت الذي سقطت فيه كل من بلاد المغرب الأدنى والأوسط تحت حكم العثمانيين، فقد خلفت دولة بنى مرين فى المغرب الأقصى الدولة السعدية التى أسسها محمد بن أحمد الملقب بالقائم، الـــذى تـــوفى ســـنة 923هـ/1517م. واستمرت هذه الدولة حتى فترة حكم أحمد العباس، الـــتي انتهت سنة 1069هـ/1658م لتخلفها الدولة العلوية التى أسسها مولاي علي الشريف، والذى خلفه مولاي إسماعيل فى الفترة من سنة 1083هـ/1672م حتى سنة 1140هـ/1727م لتكون هذه الدولة ركيزة للحكم الذي اســـتمر فى بلاد المغرب حتى الآن .

هذا فى الوقت الذى كانت فيه كل من بلاد المغرب الأدنى والأوســـط تخضع لحكم الدولة العثمانية، وقد قامت دول مستقلة استقلالاً اسمياً عن الدولة العثمانية. ففى افريقية "تونس" قامت الدولة المرادية التي أسسها مراد باي ســـنة 1041هـــــ/1631م، وانتـــهت فى عهـــد إبـــراهيم الـــشريف فى ســـنة 1114هـ/1702م، والدولة الحسينية التي بدأت سنة 1114هـ/1702م،

وأول من تولاها حسن بن علـــي تركـــي 1114- 1117هـــــ/1702-1705م، وآخر من تولاها محمود بن محمد الرشيد 1362هـــ/1943م. كما قامت فى طرابلس الغرب الدولة القره مانليه فى سنة 1123هـــ/1711م على أيدي أحمد باشا القره مانلي واستمرت حتى سنة 1250هـــ/1835م لتبــدأ بذلك مرحلة أخرى من الوجود العثماني فى طرابلس، وهي الفترة التي عرفــت بالعصر العثماني الثاني، الذى استمر حتى سنة 1330هــ/1911م .

أما بالنسبة لبلاد الأندلس والتي كانت تشغل الجزء الأكبر من شبه جزيرة أيبريا في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، فقد تم فتحها على ثلاث مراحل؛ تمت الأولى سنة 91هـــ/710م بقيادة طريف بن مالك، والثانية سنة 92هـــ/711م بقيادة طارق بن زياد، أما الثالثة فكانت سنة 93هـــ/712م بقيادة موسى بن نصير والي إفريقية.

وقد تعاقبت الدول على بلاد الأندلس ، ومنها ملوك عصر الإمارة الذي استمر من النصف الثانى من القرن 2هـــ/8م حتى النصف الثاني من القرن 4هـــ/10م حيث يبدأ عصر الخلافة، والذي يعرف ايضاً بعصر ملوك الطوائف، والذي استمر في الفترة من 400 أو 422-484هـــ/1009 أو 1031-1091م، وذلك لأنهم انقسموا فيما بينهم، وكونوا دولاً مستقلة، فقد حكم بني حمود في مالقة فى الفترة من 407-449هـــ/1016-1057م، كما حكم بني عباد في أشبيلية فى الفترة من 414-484هـــ/1023-1091م، بينما حكم بني زيري غرناطة فى الفترة من 403-482هـــ/1012-1089م، وقد حكم بنى جهور فى قرطبة فى الفترة من 422-463هـــ/1031-1070م. بينما حكم بني ذي النون فى طليلطة من 427-478هـــ/1036-1085م.

هذا فى الوقت الذي كان العامريون يحكمون منطقة بلنسيا فى الفترة من سنة 412-478هـ/1021-1085م، بينما كانت منطقة سرقسطة يحكمها بني هود سنة 431-512هـ/1041-1118م.

وخضعت الأندلس لسلطان المرابطين وذلك بعد أن شارك يوسف بن تاشفين مع ملوك الطوائف في صد هجمات ألفونسو السادس ملك قشتالة على الأندلس، واستطاع الانتصار عليهم في موقعة الزلاقة، واستمر حكم المرابطين للأندلس في الفترة من سنة 484-541هـ/1091-1146م. كما خضعت بلاد الأندلس لحكم الموحدين وبني مارين، وانتهى الوجود الإسلامي فى بلاد الأندلس بسقوط غرناطة التي كانت حاضرة بني نصر " بنى الأحمر " فى أيدي الأسبان، وذلك سنة 897هـ/1492م .

الفصل الأول

مميزات الطراز المعماري المغربي والأندلسي

أولاً: مميزات الطراز المعماري المغربي:

ــ اتبعت بيوت الصلاة نمطين ، الأول يتبع الإمتداد الموازي لجدار القبلة وقد ارتبط ذلك بالمساجد التي تتبع النمط التقليدي في التخطيط . أما النمط الثاني وهو بيوت الصلاة المغلقة بجدارن فقد كان أمتدادها المتعامد على جدار القبلة أكبر طولاً عن الإمتداد الموازي لجدار القبلة .

ــ الاهتمام بالبلاط الأوسط المؤدي إلى المحراب، وجعله أكثر إتساعا وإرتفاعا عن بقية البلاطات التي على جانبيه ، وزخرفة واجهته من ناحية الصحن بالزخارف المتنوعة .

ــ قصر أبدان الأعمدة وقد انتشرت هذه الظاهرة في العمارة في شمال إفريقيا ، وأصبحت من المميزات المعمارية. وقد وجد مثل ذلك قبل العصر الإسلامي، فقد استخدم الساسانيون أعمدة قصيرة يكاد ارتفاعها يساوي نصف قطر العقد بل ينقص عنه أحياناً . على عكس ما كان متبعاً في العمارة الهلينستية والرومانية، إذ كانت العقود ترتكز على أعمدة ارتفاعها ثلاثة أضعاف نصف قطر العقد [1].

([1]) فريد شافعي (د) : العمارة العربية في مصر في عصر الولاة . المجلد الأول . القاهرة . 1971 . ص 175 .

ـ استخدم نظام "الأبلق" في العقود، ومن أمثلتها عقود المدرسة السليمانية التي أسسها علي باشا الأول سنة 1168هـ/1754م، وأتمها ابنه سليمان فعرفت به [1].

ـ إتساع الصحن ، وذلك بتقليل عدد الأساكيب في المجنبات، والتي كانت تقتصر في معظم الأحيان على إسكوب واحد أو إسكوبين. وقد ظهر شكل آخر للصحن عبارة عن فضاء مكشوف يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات ومن أمثلة ذلك الفضاء المكشوف الذي يحيط ببيت الصلاة في جامع الهواء الذي أنشأته الأميرة عطف في مدينة تونس في منتصف القرن 7هـ/13م.

ـ عمل بابين صغيرين على جانبي المحراب، يدخل منهما إلى المقصورة، وظهر ذلك فى جامع القرويين فى فاس، وشاع فى المساجد فى عصر الموحدين، ويوجد مثال لذلك فى جامع تازى، وجامع تنملل .

ـ تخصيص حجرة في جدار القبلة لحفظ المنبر في غير أوقات الجمعة، ومن أمثلة ذلك الغرفة المخصصة للمنبر في كل من جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين في فاس، وكذلك تخصيص حجرة للخطيب .

ـ إستخدام الأسقف الخشبية المسطحة، ولكن في فترات لاحقة اصبح يعلو هذا السقف سقف محدب أو (جمالوني)، يغطى من الخارج بطبقة من القرميد الأحمر أو الأخضر، وذلك لتجنب تسرب مياه الأمطار إلى جانب بيت الصلاة.

---

(1) سليمان مصطفى زبيس : آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي، إدارة الآثار والفنون الجميلة بتونس- مطبعة سابي تونس 1374-1955.ص 15.

ـ عمل قبة فوق المحراب، وقبة على بداية البلاط الأوسط من ناحية الصحن "قبة البهو "، وفي فترة لاحقة أقيمت ثلاث قباب على إمتداد إسكوب المحراب، وذلك بعمل واحدة فوف المحراب، وواحدة عند نهاية الإسكوب من كل جهة. وقد أستعمل هذا الأسلوب في جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ولكنه أصبح أكثر انتشارا في المساجد الموحدية، ومن أمثلة ذلك، إسكوب المحراب فى جامع تازى. وقد أصبح من المتبع عمل خمس قباب بدلاً من ثلاث على إسكوب المحراب فى مساجد الموحدين، ومنها مسجد الكتبية الأول، ومسجد الكتبية الثاني، حيث وضعت قبة فوق المحراب، وعلى كل جانب منها قبة أخرى، بينما وضع عند نهاية إسكوب المحراب من كل جانب قبة .

ـ إلحاق خزائن الكتب بالمساجد، فقد ألحق بن عبد المؤمن بن علي عدد كبير من الخزائن بمسجده، حتى أطلق عليه مسجد الكتبية أو الكتبيين .

ـ استخدام الصوامع المربعة، التي تتكون من قاعدة مربعة، تنحسر إلى الداخل كلما ارتفعت، وتنتهي بشرفة للآذان، يقوم في وسطها طابق آخر مربع ، وتنتهي الصومعة بقبيبة مضلعة ، كما تتخلل جدران القاعدة والبدن فتحات صغيرة للإضاءة والتهوية . وتشغل الصومعة في معظم مساجد بلاد المغرب حيزاً في الضلع المقابل لجدار القبلة، كما أنه من المتبع أن يكون لها فتحة باب من خارج المسجد، وباب آخر من صحن المسجد . أما فى كل من جامع تنملل، وجامع سلا فقد اتخذت الصومعة موضعاً مختلفاً، حيث ترتكز على المحراب مباشرة.

ـ ظلت الصوامع المغربية تحتفظ بالشكل المربع، و لم يحدث بها تغيير إلا في المساجد التي أنشئت على الطراز العثماني في كل من ليبيا وتونس والجزائر،

حيث أصبحت الصومعة من قاعدة مربعة، يعلوها بدن مثمن، ينتهي بشرفة المؤذن، يعلوه بدن آخر أقل إتساعا وإرتفاعا، وينتهي بقمة مخروطية مدببة. ويمكن ملاحظة ذلك في مساجد محمد باشا شائب العين، وصومعة جامع أحمد باشا القره مانلي، وصومعة جامع مصطفى قورجي بطرابلس الغرب، وكذلك صومعة جامع يوسف داي، وجامع حمودة باشا، والجامع الجديد في تونس ، ومسجد علي بشنين، ومسجد محمد باشا، ومسجد حسن باشا، وجامع الباي حسين، وجامع كيتشاوة بالجزائر.

- وجود أبراج في الجدران الخارجية للجوامع التي ترجع إلى الفترات المبكرة، وخاصة في عصر الأغالبة، وكانت هذه الأبراج تستعمل في بعض الأحيان للآذان. كما كان الهدف منها دفاعياً في أحيان أخرى، حيث كانت تستخدم للمراقبة، وإشعال النار عند وجود خطر، إذ كان يتم التنبيه إلى تعرض البلاد لخطر، وذلك بإشعال النار من برج إلى آخر، فتكون النار أداة إنذار ليلاً، بينما يكون الدخان دليلاً على ذلك نهاراً .
- وجود فوارات مخصصة للوضوء تتوسط صحون المساجد، ويرتبط وجود هذه الفوارات بالصهريج الذى يتوسط الصحن، والذى كان سمة مميزة للمساجد الموحدية، ومن أمثلة ذلك مسجد عبد المؤمن فى مراكش، ومسجد رباط تازى. وعلى الرغم من ان تيراس يعتبر هذا العنصر من العناصر المميزة للمساجد الموحدية فى القرن 6هـ/12م، إلا أنه ظهرت مثل هذه الصهاريج دون الفوارات قبل ذلك، ومن أمثلتها الصهريج فى جامع القيراون .

ـــ وجدت في المناطق الداخلية في كل من ليبيا والجزائر، وبصفة خاصة في واحة أوجلة، وواحة غدامس فى ليبيا، وفي منطقة زيان، ومنطقة وادي ميـــزاب بالجزائر مساجد بسيطة التكوين، حيث أنها تبنى بالطوب اللبن، وتتكون من بيت صلاة قليل العمق، يقوم على أعمدة من الخشب أو جذوع النخيـــل، كما أن صوامعها قليلة الإرتفاع، وتضيق كلما إرتفعت من أعلى .

ـــ احتفظت العمارة في بلاد المغرب بنماذج من الأربطة، وهي منـــشآت تعـــد لمرابطة المجاهدين للزود عن البلاد، ومن أهم أمثلتها رباط المنستير في تونس ورباط سوسة.

ـــ ظهرت في بعض العمائر الدفاعية التونسية مداخل منعرجة على شكل أفعـــى ومن أمثلتها باب القصبة الموحدية وباب السور وباب الدرب اللذان أنشئهما المستنصر سنة 660هـــ/1260م في المنستير.

ـــ أمدتنا عمائر إفريقية "تونس" بنماذج للكتابات التسجيلية، تعد من أقدم نماذج الكتابات على العمائر في العصر الإسلامي، ومن ذلك الكتابات على بـــرج رباط المنستير، وترجع إلى سنة 206هـــ/821م والكتابات المسجلة علـــى واجهة سقيفة مسجد بو فتاتة في سوسة، وترجع إلى سنة 223هـــ/838م، والكتابات على قبة المحراب وواجهة الإسكوب السابع في جامع الزيتونـــة، وترجع إلى سنة 250هـــ/864م .

ـــ احتفاظ الطراز المغربي بخصائصه، و لم تطرأ عليه تأثيرات خارجية إلا في القرن 5هـــ/11م عندما ظهرت التأثيرات الأندلسية واضحة في عمـــارة بـــلاد المغرب، وتمثل ذلك بشكل أساسي في الثراء الزخرفي الذي ظهر في جدران المساجد، وفي أبدان الصوامع . ويرجع السبب في عدم ظهـــور التـــأثيرات

الخارجية في العمارة المغربية إلى أن هذه البلاد لم تتعرض لما تعرضت له بلاد الشرق الإسلامي من الغزو الصليبي، والغزو المغولي وغيرها، وقد ظهرت التأثيرات العثمانية في كل من ليبيا وتونس والجزائر على أثر الغزو العثماني لهذه البلاد .

وإن كانت هذه الخصائص التي أصبحت من مميزات الطراز المعماري المغربي، إلا أن ذلك لا يعني أن كل هذه العناصر نشأت في بلاد المغرب، بل أن بعضها نشأ فى بلاد المشرق الإسلامي، وانتقل منها إلى عمارة المغرب، وأصبح أكثر ظهوراً بها . ومن ذلك على سبيل المثال أن نظام البائكات التي تمتد متعامدة على جدار القبلة قد ظهر أولاً فى المسجد الأقصى بالقدس، وذلك فى عمارة الخليفة العباسي المهدي سنة 163هـ/779م . كما أن نظام البلاط الأوسط الأكثر اتساعاً وارتفاعاً عن بقية البلاطات ظهر فى الجامع الاموي فى دمشق 86-96هـ/705-715م، وفي المسجد الملحق بقصر الحير الشرقي 105-124هـ/ 724-743م، والذي شيد على نمط الجامع الأموي، ولكن بمقياس أصغر. ومن ذلك أيضا طراز الصوامع المربعة الذي ظهر في العمارة الأموية في بلاد الشام وانتقل إلى بلاد المغرب.

ثانياً: مميزات الطراز المعماري الأندلسي:

مر الطراز المعماري الأندلسي بثلاث مراحل متميزة ، لكل منها خصائصه التي تميزه عن الآخر ، وهذه الطرز هي :-

— **طراز عصر الخلافة** : تظهر خصائص هذا الطراز بوضوح في الجامع الكبير بقرطبة، وذلك في عدة مظاهر يمكن إجمالها فيما يلي :-

— رصانة البناء وضخامته ، والاعتماد على الحجر المنحوت .

ـــ استخدام الأعمدة الرخامية النحيلة التي ترتكز على قواعد حجرية .

ـــ العقود المتبادلة الصنجات من الحجر المنحوت وقوالب الآجر .

ـــ العقود المزدوجة والمقامة على مستويين من الإرتفاع .

ـــ الأسقف الخشبية الخفيفة، والتي لجأ المعمار إليها حتى لا تشكل ثقلا على الأعمدة النحيلة، وما يرتكز عليها من عقود .

ـــ تعدد أشكال الفتحات في الجدران، وكذلك وجود دعامات ساندة للجدران، وكثافة الزخارف وتنوعها . وقد لجأ المعمار إلى ذلك للتخفيف من شكل إرتفاع الجدران . كما لجأ إلى معالجة معمارية تمثلت في استخدام الدعامات الساندة ، والعقود على مستويين ، وكذلك الأسقف الخشبية الخفيفة .

ـــ **الطراز المستعربي** : ينسب إلى المستعربين، وهم أهل الأندلس الذين استعربوا، ولكنهم بقوا على دينهم. وقد إكتملت خصائص هذا الطراز في القرن 5هـــ/ 11م، وهو مقتبس من طراز عصر الخلافة، وقد إستخدم أولا في بناء الكنائس، إلا أنه ظهر بعد ذلك في العمائر الإسلامية . ومن مميزاته :-

ـــ إستخدام الآجر بدلا من الحجر .

ـــ استخدام العقود النصف دائرية .

ـــ **الطراز المدجني** : ينسب إلى المدجنيين، وهم المسلمون الأندلسيون الذين بقوا في المناطق التي استولى عليها الأسبان . ويظهر هذا الطراز بشكل واضح في الكنائس، إلا أنه استخدم أيضا على نطاق ضيق في العمارة الإسلامية. وتتضـــح أهم مميزاته في :-

ـــ استخدام العقود المدببة، والعقود على شكل حدوة الفرس، والعقود المفصصة . وترجع العقود على شكل حدوة الفرس المتجاوزة إلى أصول مشرقية ، وقد استخدمت في جامع قرطبة ، إلا أنها أصبحت أكثر انتشاراً في الطراز المدجني .

ـــ تنوعت الدعامات فكانت من الحجر أو الآجر .

ـــ تنفيذ الزخارف من الآجر في أوضاع مختلفة ومتباينة .

ـــ استخدام النوافذ الجصية ذات العقود المدببة على الشكل الذي يميز الطراز القوطي .

ـــ تكسية أجزاء من الجدران، وبصفة خاصة جدار القبلة والمحراب ببلاطات خزفية مزخرفة بزخارف على الطراز الأندلسي والمغربي، ومن أمثلة ذلك محراب مسجد قصر الحمراء .

ـــ تمثل قصور غرناطة مرحلة إكتمال هذا الطراز لذلك عرفت هذه المرحلة المكتملة لهذا الطراز باسم طراز الحمراء أو الفن النصري نسبة إلى بني نصر حكام غرناطة .

وتتميز العمائر الدينية الأندلسية بصفة عامة بمميزات، منها :-

ـــ اشتمال المساجد على مقاصير للصلاة ، ومنها المقصورة التي أنشأها محمد بن عبد الرحمن في جامع قرطبة سنة 241هـ/855م ، وكذلك المقصورة التي أقيمت في جامع قصبة إشبيلية سنة 577هـ/1182م، والشبيهة بمقصورة جامع قرطبة .

ـــ تخصيص حجرة للمنبر في جدار القبلة يوضع فيها المنبر في غير وقت صلاة الجمعة . ومن أمثلته منبر جامع قرطبة، ومنبر جامع قصبة أشبيلية . وقد انتشرت هذه الظاهرة في مساجد بلاد المغرب والأندلس [1] .

ـــ ظهور العديد من التأثيرات المغربية مثل وضع قبة فوق مربعة المحراب وكذلك قبة عند نهاية البلاط الأوسط من ناحية البهو. إلا أن ذلك لم يكن عاما في كافة المساجد ببلاد الأندلس، ففي مسجد مدينة الزهراء الذي أنشأه عبد الرحمن الناصر 339هـــ/ 1041م لم تستعمل القبة التي تغطي مربعة المحراب وكذلك البهو ، كما كان الحال بالنسبة لبلاد المغرب فإن مربعة المحراب في جامع تلمسان الذي أنشأه المرابطين سنة 475-530هـــ/1083-1136 غير مغطاه بقبة.

ـــ ظهور الكثير من التأثيرات المشرقية في عمارة المساجد سواء كان ذلك من حيث التخطيط ، وبصفة خاصة في نظام البلاطات المتعامدة على جدار القبلة، والبلاط الأوسط الأكثر اتساعاً عن بقية البلاطات، وفي نظام عقود الظلات التي تسير موازية لجدار القبلة ومن أمثلتها عقود ظلة المؤخر في جامع مدينة الزهراء السابق الإشارة إليه، وكذلك في بعض العناصر مثل بيت المال، ومنها بيت المال الذي أنشأه المنذر بن محمد في صحن جامع قرطبة، على غرار بيت المال في صحن الجامع الأموي في دمشق .

ـــ تتميز عمارة الأسوار الدفاعية باستخدام مادة الطابية التي تتسم بقلة سمكها الأمر الذي يتعذر معه عمل ممرات داخلية، كما تميزت النهايات العليا

([1]) **أسامة طلعت عبد النعيم (د) : العمارة الإسلامية في الأندلس . د . ن القاهرة . 2000 . ص 29 .**

للأسوار باستخدام الدراوي الهرمية الشكل والتي نجد أمثلة لها في مدينة لبله وقلعة جابر وقصبة بطليموس وسور قاحرش واستجه [1]. كما أن الأبراج لا تعلوها حجرات للرماية، وقد استمر ذلك حتى عصر الموحدين.

([1]) اسامة طلعت عبد النعيم(د): العمارة الإسلامية الدفاعية في مدينة لبله،حوليات إسلامية، العدد 37. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 2003، ص 12.

الفصل الثاني

عمارة الأغالبة في تونس

جامع عقبة بن نافع بالقيروان

من أقدم مساجد بلاد المغرب وأكثرها أهمية، إذ أن تخطيطه وعناصره المعمارية كانت أساسا سار عليه الطراز المعماري في المغـــرب والأنـــدلس. وقـــد أرخ البلاذري الإنتهاء من تشييده إلى سنة 55هـــ/674م، وهو نفس العام الـــذي عزل فيه عقبة من ولاية افريقية، وتولى بدلا منه أبو المهاجر، فأهمل الجامع حتى عاد عقبة لولاية أفريقية مرة ثانية سنة 62هـــ/681م فاهتم بالجامع .

تخطيط الجامع :-

كان الجامع عند إنشائه بسيطاً، يتكون من ظلة قبلة من أربعة أساكيب تفـــصل بينها أعمدة خشبية ترتكز عليها الأسقف مباشرة دون عقود مثلما كان الحـــال في المساجد الإسلامية المبكرة ومنها مسجد الرسول ـــصلى الللّه عليه وســـلم – ومسجد الكوفة وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط. وقد توالت على الجـــامع

أعمال الإصلاح والتجديد والإضافة خلال الفترات التالية، ويمكن إجمال ذلـــك فيما يلى :-

- في سنة 84هـ/703م قام حسان بن النعمان بإصلاح وتجميل الجامع، مع الإحتفاظ بالشكل العام له، إذ كان يتكون من ظلة قبلة مقسمة إلى أربعـــة أساكيب، يتقدمها صحن مكشوف لا تحيط به مجنبات، كما أبقـــى علـــى محراب عقبة بن نافع .
- في سنة 105-109هـ /724-727م قام بشر بن صفوان بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك بتوسيع المسجد، وتمثل ذلك في إضافة حديقة في الجهة الشمالية ، يتوسطها ماجل " ما زال يعرف بـ"الماجل القديم "، كما مد بوائك بيت الصلاة بواقع ثلاثة عقود، وهي الزيادة التي يحددها صف العقود الممتدة موازياً لجدار القبلة عند نهاية العقد السابع (شكل 1) ،وأنشأ صومعة فوق البئر " الذي كان يعرف ببئر الحنان " وهي تمثل الطابق الأول من الصومعة الحالية .
- في سنة 155هـ/772م، وكما ذكر ابن عزارى، قام يزيد بن حـــاتم والي أفريقية بهدم المسجد بإستثناء المحراب، وأعاد بناؤه سنة 157هـ /774م . ولكن د. أحمد فكري يرى أن أعمال يزيد بن حاتم إقتصرت على بعـــض الزخارف، ولم يقم بالهدم .
- في سنة 221هـ/836م قام زيادة الله بن الأغلب بهدم أجزاء من الجـــامع وإعادة بنائه، وكان يعتزم هدم المحراب الذي بناه عقبة، وإقامة محراب بـــدلاً منه، لأنه كان يريد ألا يرى بالمسجد أثر لغيره، ولكن الناس نصحوه بالإبقاء

على محراب عقبة، ووضعه بين حائطين حتى لا يرى من داخل المسجد.
ويمكن إجمال أعمال زيادة الله في :

ــ المحراب المجوف الحالي، وكانت تكسوه بلاطات رخامية مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية .

ــ هدم البلاطة التاسعة والعاشرة، وأقام مكانهما بلاطا اوسطاً أكثر إتساعا وإرتفاعاً " مجاز قاطع " فأصبح المسجد مكونا من سبع عشرة بلاطه متعامدة على جدار القبلة، يقطعها ثلاث بائكات من العقود تمتد موازية لجدار القبلة .

ــ إقامة قبة فوق المحراب وهي أقدم قبة في العمارة الإسلامية ببلاد المغرب

ــ هناك أراء أن الصومعة الموجودة حالياً من أعمال زيادة الله بن الأغلب .

ــ في سنة 249هـ/ 863م قام أبو إبراهيم أحمد بعدة إصلاحات شملت :-

ــ زخرفة المحراب ببلاطات الرخام وزخرفة قبة المحراب .

ــ إضافة بلاطات القاشاني حول المحراب ، وهي 139 بلاطة موضوعة بشكل مائل، وهي تعد أقدم مثال باق لإستخدام البلاطات في زخرفة جدران العمائر الإسلامية .

ــ المنبر المصنوع من خشب الساج، والمشتمل على زخارف نباتية محفورة من أوراق العنب، وكيزان الصنوبر، موضوعة داخل أشكال هندسية . وهو أقدم منبر باق في العمارة الإسلامية(لوحات1،2) .وقد

ذكر " ابن ناجي " في كتابه " معـالم الإيمـان " أن الأمـير إسـتورد البلاطات، وأعواد خشب الساج من بغداد .

ـ في سنة 261-290هـ / 875-903م قام إبراهيم بن أحمد بعدة أعمال شملت :-

ـ زيادة طول البلاطات في ظلة القبلة .

ـ وضع قبة على بداية البلاط الأوسط "المجاز القـاطع" مـن ناحيـة الصحن " قبة البهو " (لوحة3) ، وبذلك أصبح يعلو البلاط الأوسـط قبتان، وأصبح إسلوب وضع قبتين على البلاط الأوسط من بيت الصلاة إسلوباً متبعاً في مساجد المغرب والأندلس. وقد وصف البكري المتـوفى سنة 487هـ/1094م قبة البهو في هذا الجامع بقوله " القبة التي بباب البهو علي آخر بلاط المحراب " [1]. ممـا يـدل علـي تأصـل هـذه المصطلحات (البهو- البلاط) في عمارة بلاد المغرب .

ـ أقام المجنبات التي تدور حول الصحن .

ـ زيادة عدد أبواب الجامع إلى عشرة أبواب .

ـ عمل مقصورة للنساء محددة بحجاب من الخشب في الجهة الشرقية من ظلة القبلة . وهذه الزيادة هي التي أعطت الجامع الصورة التي بقى عليها حتى الآن [2] .

---

(1) البكري . أبو عبيد : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (المسالك والممالك)، ط2، بغداد. د.ت ، ص 24 .

(2) أنظر: أحمد فكر (د) مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل . دار المعارف . القاهرة . 1961 ص ص203- 208 .

ـــ ولعل هذا يتناقض مع ما ذكر من أن إبراهيم بن الأغلب عندما قام بتأسيس مدينة العباسة " رقادة " [1] جنوب شرق القيروان ، وذلك سنة 264هـ/879م أنشأ بها مسجداً ذكر البكري أنه كان مبنيا بالآجر، وبه أعمدة رخامية تحمل سقفا خشبيا، كما أضاف له صومعة إسطوانية . ويقال أنه أزال جامع عقبة وحل هذا الجامع محله .

ـــ في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تم إصلاح الجامع وعمل أبواب حديدية للمداخل .

ـــ أضاف بنوزيري الذين كانوا ولاة من قبل الفاطميين على المغرب، الواجهات التي تطل على الصحن . وتوجد على إحدى أعمدة المجنبة الغربية كتابة نصها " هذا ما أمر بعمله خلف الله بن غازي الأشيري في رمضان من عام إثنين وأربعمائة " .

ـــ أضاف المعز بن باديس والي المستنصر على أفريقية سنة 441هـ/1049م مقصورة نفيسة لا تزال موجودة (لوحة 4) ، كما ذكر " مارسيه " Marçais أن المعز جدد الأسقف الخشبية وزخارفها .

ـــ قام المستنصر بالله أبو حفص سنة 693هـ/1294م بعمل عدة إصلاحات مثبتة في نصين تاريخيين أحدهما فوق باب " لله رجانا" والآخر على أحد الأبواب الجانبية، وأقام قبتين على مداخل بيت الصلاة في الشرق والغرب ، والقبة التي فوق المدخل الذي يتوسط المجنبة الغربية . كما يرجح أن العقود المحيطة بالصحن من أعماله .

---

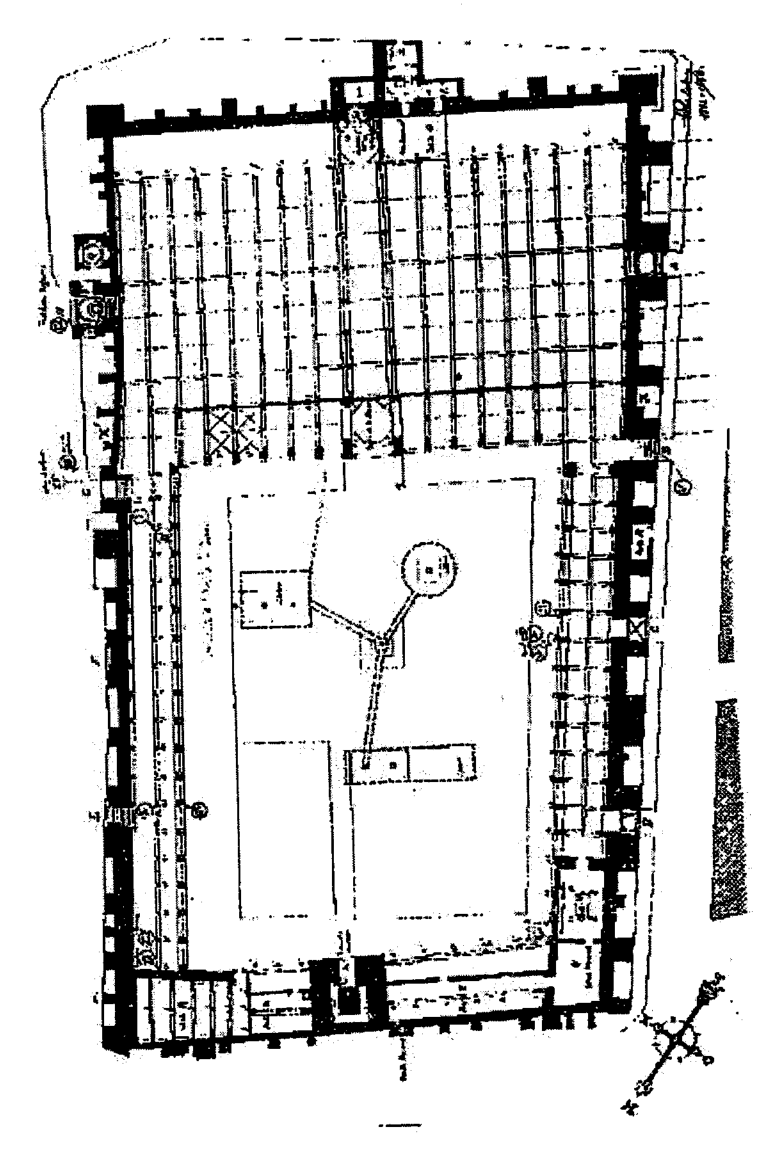
(1) ذكر البكري أن هذه المدينة سميت " رقادة " لأن الأمير إبراهيم كان قد أصابه أرق فخرج متوجهاً إلى هذه المدينة وعندما وصل إليها نام فسميت رقادة .

ـ أصلح محمد بك مراد الحسيني قبة البهو على نهاية البلاط الأوسط " المجاز القاطع " .

الوصف الحالي للجامع :

يشغل الجامع مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد، إذ يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي جدار القبلة 70.28م ، بينما طول الجدار الشمالي الغربي المواجه له 65.60م، كما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي 121.80م، بينما الجدار الجنوبي الغربي المواجه له يبلغ طوله 120.50م .

يتكون الجامع من صحن أوسط مستطيل أبعاده 67×56م، تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، التي تتكون من سبع عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة تفصل بينها ست عشرة بائكة، تتكون كل منها من تسعة عقود حدوة فرس مستديرة، ترتكز على أعمدة رخامية ومعظمها بدون قواعد . وهذه البائكات لا تصل إلى جدار القبلة، بل توجد بائكة عرضية تمتد موازية لجدار القبلة، تنتهي عندها بوائك العقود. ويؤدي إلى المحراب بلاط أوسط " مجاز قاطع " أكثر إتساعا عن بقية البلاطات(شكل 1) .



شكل (4) مسقط افقي لجامع عقبة بن نافع بالقيروان .

والمحراب مجوف ومعقود بعقد حدوة فرس يستند على عمودين من رخام وردى . ويكسو تجويف المحراب بلاطات رخامية في أربعة صفوف ومزخرفة بزخارف نباتية . ويعتقد أن المحراب القديم الذي ينسب إلى عقبة بن نافع يوجد

خلف هذا المحراب، وهو محراب مجوف، ويرى كل من مارسيه وكريسويل أن ما يظهر من خلال الثقوب الموجودة في محراب جامع عقبة ليس محراب عقبة، لأن المحاريب المجوفة لم تستخدم في العمارة الإسلامية إلا في عصر الوليد بـــن عبـــد الملك، وأن هذا التجويف حيلة لجأ إليها المعمار لإيجاد مساحة مظلمـــة خلـــف المحراب، وذلك لإبراز الزخارف المفرغة الموجودة داخل المحراب الحالي .

لكن الدكتور أحمد فكري أكد بالحجج والبراهين أن التجويف الموجود خلف المحراب الحالي هو محراب عقبة بن نافع [1]، ويزخرف الجدران على جانبي المحراب بلاطات من القاشاني ذي البريق المعدني بعضها ذو لون واحد وبعـــضها متعدد الألوان. وتشتمل على زخارف هندسية ونباتية حسب إسلوب زخارف البريق المعدني العراقي (لوحة 5) . ويغطي مربعة المحراب قبة تستند على حنايـــا ركنية محارية الشكل، ومكونة من تسعة فصوص، أما منطقة الإنتقـــال المثمنـــة فتشتمل على ثماني نوافذ . والقبة من الخارج مضلعة من 24ضلعا ، وهذا الطراز من القباب المضلعة من التأثيرات البيزنطية في العمارة الإسلامية .

تتكون كل من الظلتان الجانبيان من بائكتين. ونظراً لإخـــتلاف طـــول الأعمدة في الجامع، فقد إستعين بكتل حجرية (حدرات) يعلوها طنوف، ومن أسفل قرم على النحو الشائع في العمارة البيزنطية (لوحة 6). ويغطـــي الجـــامع سقف خشبي مسطح يتخلله خمس قباب . ويشتمل بيت الـــصلاة علـــى 414 عمودا رخامياً . وللجامع ثمانية أبواب، أربعة منها في الجدار الشرقي ، أهمها باب " لله رجانا "، وتعلوه قبة عليها كتابة تشير إلى السلطان أبي حفص وتاريخ سنة

([1]) أحمد فكري (د) : المسجد الجامع بالقيروان . دار المعارف .القاهرة . 1936 . ص ص 58-59 .

693هـ/1294م . وأربعة أبواب في الجدار الغربي أهمها باب " السلطان " الذي يقابل باب " لله رجانا " وتغطيه قبة أيضاً .

وتدعم الجدران الخارجية للجامع دعامات " زلاقات " يعتقد أن الهدف منها أن تكون متمشية مع الدعامات البارزة التي تكتنف أبواب المسجد، فتكسب الواجهة مظهرا جمالياً،غير أنها اقيمت بهدف التدعيم أيضا ،حيث أن معظمها على نفس خط أمتداد البائكات الممتدة موازية لجدار القبلة. وقد وجدت مثل هذه الدعامات في جامع الهواء الذي أنشئته الأميرة "عطف" زوجة السلطان الحفصي" أبو يحيى زكريا "منتصف القرن 7 هـ/13م [1].

الصومعة :

تتوسط الجدار الشمالي الغربي للجامع وعلى نفس محور المحراب . يبلغ إرتفاعها الكلي 31.37م، ويبلغ طول ضلعها من عند القاعدة 10.67م، ولكن كلما إرتفعت تنحدر الجدران إلى الداخل قليلا لإكساب الصومعة ثباتا ، وبالتالي يقل طول ضلعها من أعلى عما هو عليه عند القاعدة . وينقسم البدن إلى ثلاثة طوابق ، الأول أكثرها إرتفاعا ويبلغ 18.87م ، أما الثاني فإن إرتفاعه 5م ، بينما إرتفاع الطابق الثالث 7.50م . ويغطي الطابق الثالث من الصومعة قبة مضلعة شبيهة بالقبة التي تغطي مربعة المحراب وقبة البهو (لوحة 7) .

وينسب الطابق الأسفل إلى أعمال هشام بن عبد الملك سنة 105-109هـ/724-727م، بينما الطابقان العلويان من عصر زيادة الله بن الأغلب

([1]) عبد العزيز الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي .تعريف محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر. تونس .د.ت. ص ص 172-176.

221هـ/836م، ولكن " كريسويل " Creswell ينسب المئذنة بكاملها إلى زيادة الله بن الأغلب [1].

وطراز الصوامع المربعة مستمدة من الصوامع السورية ، إلا أنه صار طرازا شائعا في بلاد المغرب الإسلامي عامة والأندلس مثل صوامع صفاقس وتلمسان وأغادير والرباط والقرويين في فاس وجامع قرطبة وأشبيلية بالأندلس . ومما يجدد ذكره أن هذا النمط من الصوامع انتقل إلى العمارة المصرية مع مجيئ الفاطميين، ومن أمثلتها مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ومئذنة مشهد الجيوشي، ومئذنة المسجد الملحق بدير سانت كاترين .

---

(1) للمزيد عن مئذنة جامع القيروان ، أنظر : فاروق صادق عسكر : مئذنة المسجد الجامع بالقيروان .دراسة آثارية تحليلية . مجلة دراسات آثارية إسلامية . المجلد الثالث . هيئة الآثار المصرية القاهرة . **1988**. ص ص **197- 207** .

جامع الزيتونة بمدينة تونس

ذكر القيرواني نقلا عن ابن الشباط أن سبب تسمية الجامع بهذا الإسـم ترجع إلى أنه كانت توجد شجرة زيتون في المكان الذي أقيم فيه فنسب إليها . ويذكرنا ذلك بجامع الخروبة بطرابلس الغرب، والذي سمي بهذا الإسم لوجـود شجرة خروب في صحن الجامع . وقد ذكر محمد العزيز بن عاشور في كتابه جامع الزيتونة المعلم ورجاله أن سبب تسميته بهذا الاسم ترجع إلى أن المسجد شيد بالقرب من كنيسة قديمة كانت تضم رفاة القديسة " اوليف " وتعني زيتونة . وهناك رأي بأن هذا الجامع لم يسمي بهذا الأسم إلا بعد أن تم بناء جامع القصبة فى العصر الحفصي وسمي بالجامع الكبير، وللرغبة فى تمييز هذا الجامع والذى كان يسمي بجامع تونس الكبير، فقد تم تغيير إسمه إلى جامع الزيتونة تيمناً بشجرة الزيتون التي ورد ذكرها فى القرآن الكريم باعتبارها شجرة مباركة. وقد تشترك هذه الأسباب جميعاً في تسمية الجامع بهذا الاسم .

نشأة الجامع وتطور عمارته :

ذكر القيرواني أن حسان بن النعمان الذي فتح مدينة تونس سنة 79هـ/688م أسس أول مسجد جامع بها، وبناء على ذلك فإن الأصول الأولى لهذا المسجد ترجع إليه . وقد قام عبيد الله بن الحبحاب بإعادة بناء الجامع سنة 114هـ/732م . وكان يتكون في ذلك الوقت من أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة ، ويتوسط جدار القبلة محراب ، وهو بذلك مشابه للشكل الأول لجامع القيروان .

وفي عهد الأغالبة قام زيادة الله بن الأغلب بمد بوائك العقود بواقع ثلاثة عقود في كل بائكة، فأصبح بيت الصلاة مكوناً من سبعة أساكيب، ويوجد شريط على واجهة الإسكوب السابع الذي كان يطل على الصحن يشتمل على كتابات تسجيلية ترجع إلى هذه الفترة، مما يدل على أن هذا كان الحد الذي وصل إليه امتداد بيت الصلاة حينذاك. كما تم في هذه الفترة عمل البلاط الأوسط، وبناء قبة فوق المحراب ، ويوجد نص كتابي يدور حول رقبة القبة، ويشير إلى أن بناء القبة تم سنة 250هـ/ 864م في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله .كما اضاف الأغالبة المنبر الخشبي الذي يوجد بالجامع .

وفي عهد المنصور بن أبي الفتوح يوسف بن زيري الذي كان والياً من قبل الخليفة الفاطمي العزيز بالله على إفريقية تم إضافة الإسكوب الثامن الموازي لجدار القبلة ، وأقام على نهاية البلاط من ناحية الصحن قبة البهو المماثلة في طراز منطقة انتقالها وشكل الرقبة وظاهر القبة لقبة المحراب.

وفي عهد آل خراسان تم ترميم أسقف الجامع وإضافة عمودين بتيجان من الطراز الخراساني بواجهة المحراب، وزيادة عدد الأبواب حيث أصبحت اثنا عشر بابا بعد أن كانت ستة أبواب في عصر الأغالبة ويوجد على الباب الذي يقع إلى جانب الصومعة ويفتح على بابا العطارين نص كتابي يشتمل على اسم الشيخ أبو محمد عبد الحق ابن عبد العزيز ابن خراسان، وتاريخ شهر رمضان 474هـ/ 1081م. كما يوجد في الرواق الشرقي باب يعلوه نص كتابي يشتمل على اسم عبد الرحمن بن محمد ابن الفقيه محرز وتاريخ أوائل شهز ربيع الأول سنة 450هـ/1058م [1].

([1]) **عبد العزيز الدولاتلي : المرجع السابق، ص 28.**

وفي عهد الحفصيين اعاد أبو يحيى زكريا تسقيف بيت الصلاة بالعوارض الخشبية، وأضاف الأبواب الخشبية التي تحدد بيت الصلاة ، حيث يوجد على باب البهو كتابة تشير إلى هذه الأعمال، وتاريخ سنة 716هـ/1316م[1] .

ومن إضافات الحفصيين للجامع الصومعة، حيث أنه لم يكن بالجامع صومعة في الفترات السابقة، وإنما كان له برجان ؛ برج في الركن الشمالي الشرقي، والآخر في الركن الجنوبي الشرقي، وكانا يستعملان للمراقبة نظرا لقرب المسجد من البحر . وكان البرجان منفذان حسب طراز الأبراج الأغلبية التي توجد أمثلة لها في رباط سوسة، وفي الجامع الكبير في سوسة . وقد ذكر حسن حسني عبد الوهاب أن المساجد في العصر الأغلبي صغيرة كانت أم كبيرة لم تكن تضم صومعة، وكان الآذان يرفع من فوق سطح المسجد تقليدا لما كان عليه الحال في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ولم يخرج عن ذلك سوى جامع عقبة بن نافع بالقيروان عندما زوده زيادة الله بن الأغلب بالصومعة .

ومن إصلاحات الحفصيين للجامع ترميم المنبر الخشبي، وإضافة مجموعة حشوات له ، كما أضاف الحفصييون سقيفة في الجانب الشرقي تتقدم مدخل الجامع، وخصصت لإقامة صلاة الجنائز، ولذلك تسمى بصحن الجنائز.

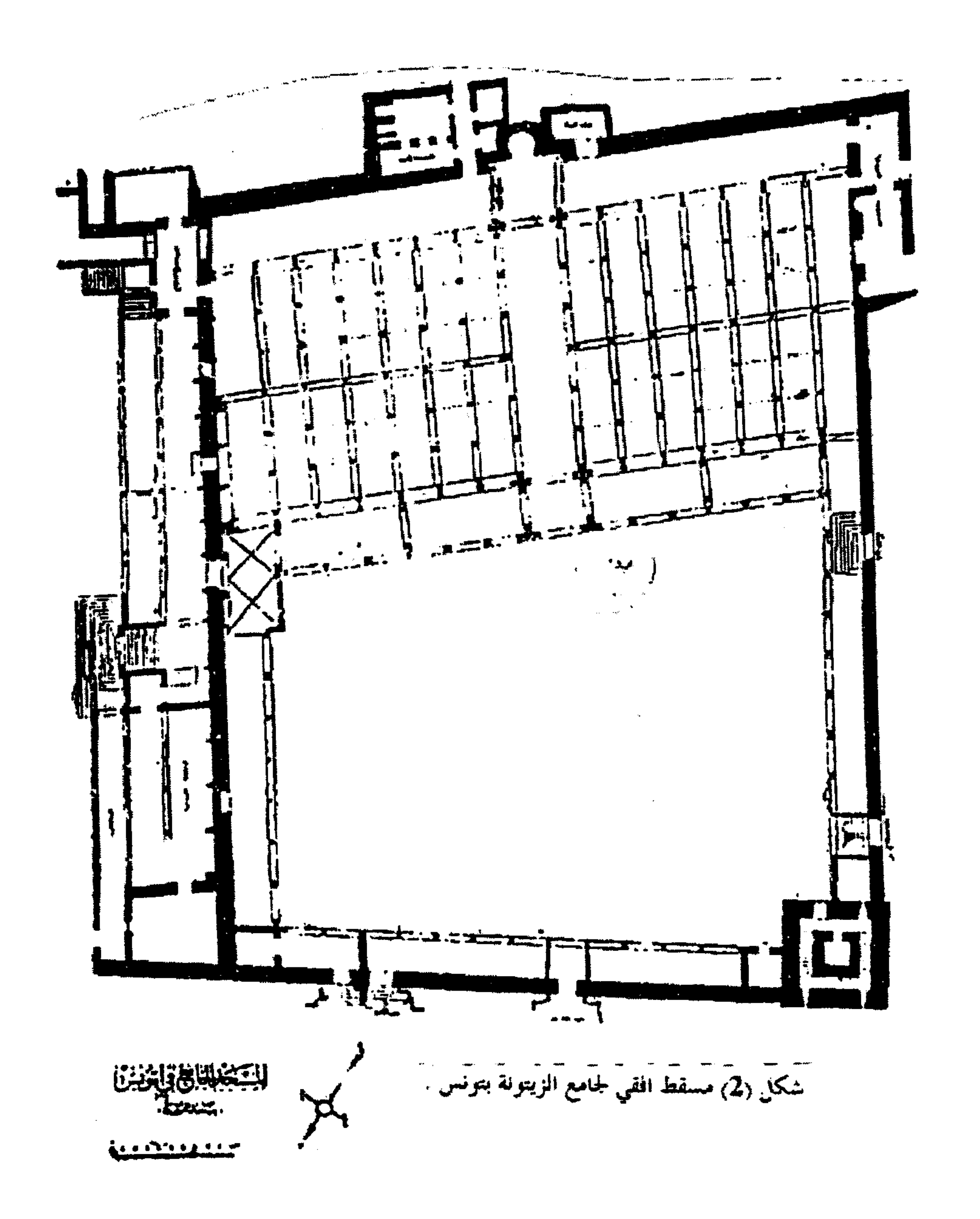
الوصف المعماري للجامع :

يتكون الجامع من مساحة شبه مستطيلة غير منتظمة الأبعاد . يحتل بيت الصلاة منها مساحة مستطيلة ، تبلغ أبعادها 54م × 26م ، وتنقسم إلى ثمانية أساكيب موازية لجدار القبلة، تقطعها خمس عشرة بلاطة متعامدة على جدار

([1]) **عبد العزيز الدولاتلي : نفس المرجع ، ص 201.**

القبلة، اكبرها إتساعا البلاط الأوسط، تفصل بين البلاطات أربع عشرة بائكة من عقود حدوة فرس مستدير ، تتكون كل منها من ستة عقود لا تصل إلى جـــدار القبلة، كما أنها لا تمتد إلى الإسكوب الثامن، ويقوم على البلاط الأوسط مـــن ناحية المحراب قبة، كما يقوم عليه من ناحية الصحن قبة البـــهو (شـــكل 2) . والقبة التي فوق المحراب، والتي ترجع إلى العصر الأغلبي مقامة على حنايا ركنية محارية الشكل، كما فتحت في مثمن منطقة الإنتقال فتحات نوافذ. أما قبة البهو والتي أضيفت في الفترة من 380-385هـــ/990-995م، فإنها هي الأخرى مقامة على مربع يعلوه مثمن. وقد فتحت في أضلاعه فتحات نوافـــذ معقـــودة بعقود منفذة بطريقة التباين اللوني، كما يغشيها نوافذ جصية من زخارف مخرمة غاية في الدقة. وترتكز مناطق إنتقال القباب على مساحات مربعة محددة بثلاثة أعمدة في كل ضلع من أضلاعها (لوحة 8).

وقد استحدثت في الجوانب الثلاث لصحن الجامع المتسع ثلاث ظلات، تتكون كل منها من إسكوب واحد (شكل 2) .



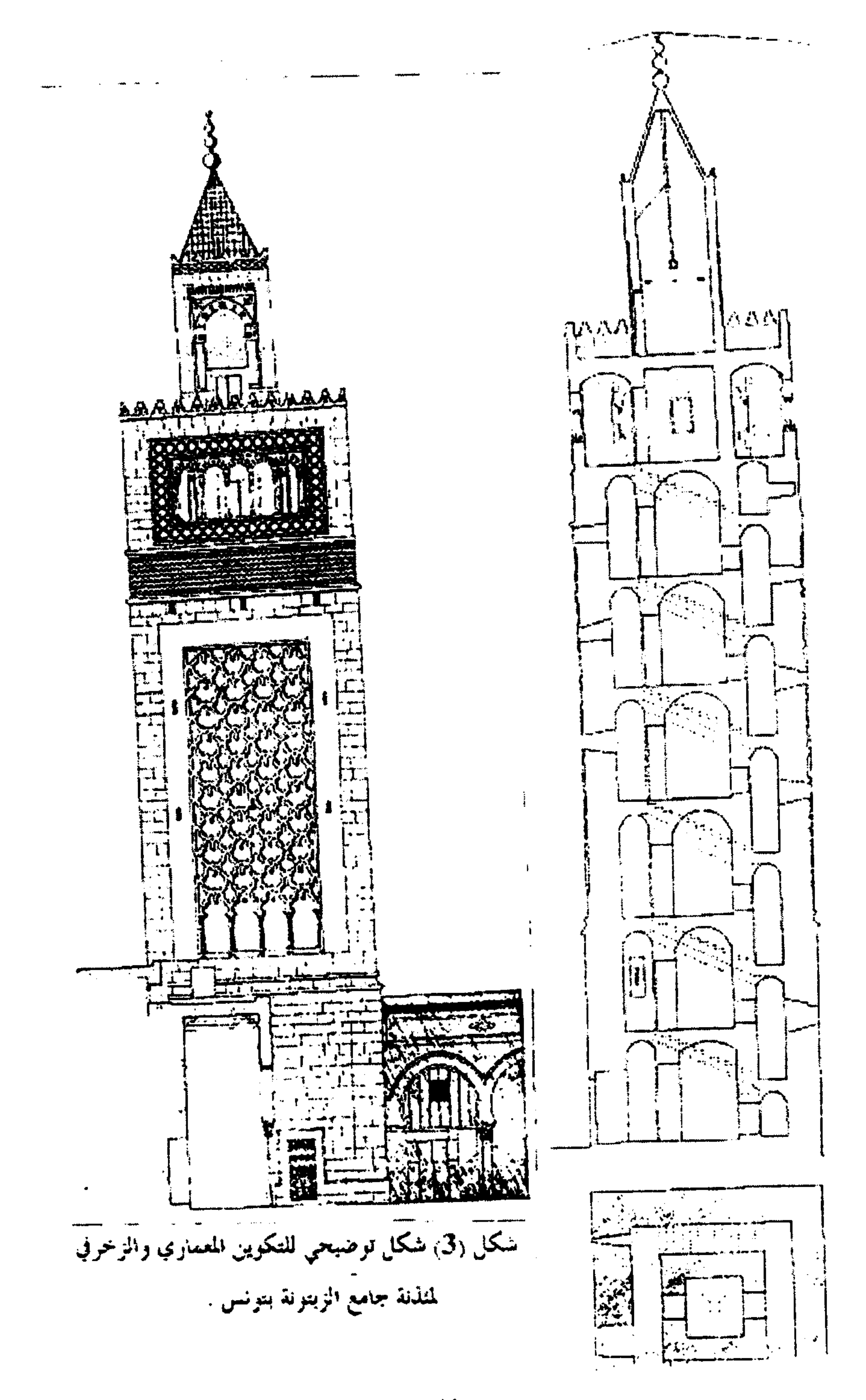
شكل (2) مسقط افقي لجامع الزيتونة بتونس .

وقد أضيفت لها الأعمدة الرخامية في عهد الوزير مصطفى خازندار سنة 1287هـ/1870م . وتشغل الصومعة الركن الشمالي الغربي ، وهذه

الصومعة ترجع أصولها إلى العصر الحفصي ، وقام حمودة باشا المرادي سنة 1063هـ/1652م بتجديدها، وزاد في إرتفاعها إلى ثلاثين متراً، إلا أنها سقطت، وأقام علي باي الحاكم العثماني بتونس صومعة جديدة سنة 1312هـ/1894م ، وهي الصومعة الموجودة حالياً[1]. وتجمع الصومعة بين القطاع المربع الذي يميز مآذن الطراز المغربي، وبين القمة المدببة التي تميز قمم المآذن العثمانية الطراز ، حيث تتكون الصومعة من قاعدة مربعة، يعلوها بدن ينقسم إلى ثلاثة طوابق متفاوتة في إرتفاعها وإتساعها. ويغشي جوانب البدن زخارف معقودة، تعلوها زخارف هندسية من أشكال مفصصة متتالية (شكل 3) .

---

(1) للمزيد عن جامع الزيتونة ، أنظر : أحمد فكر (د) المرجع السابق ص ص 255- 260 .



شكل (3) شكل توضيحي للتكوين المعماري والزخرفي لمئذنة جامع الزيتونة بتونس .

يظهر في هذه الصومعة إمتزاج الطراز المغربي ببعض خصائص الطراز العثماني من حيث عمارة الصومعة، أما زخارف البدن فإنها على الطراز الأندلسي .

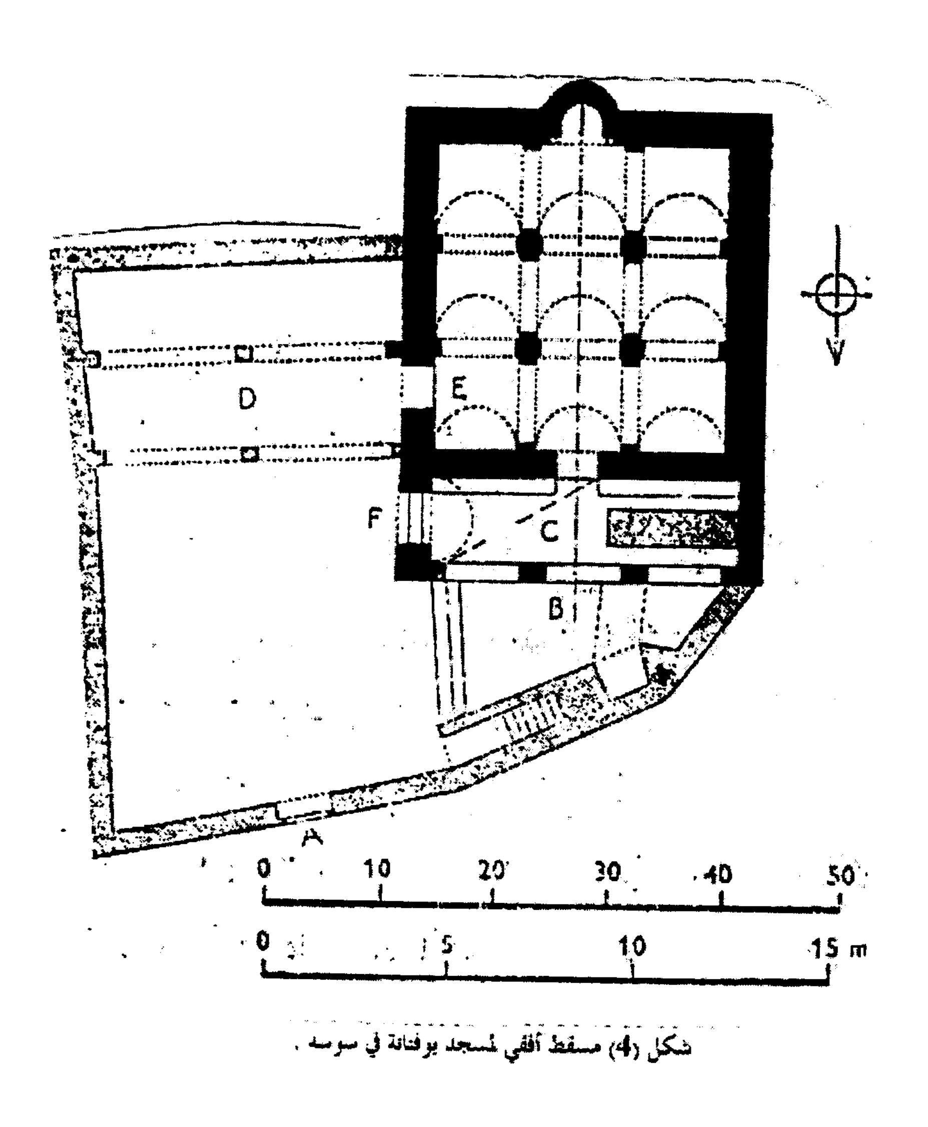
ويتقدم الجامع من الناحية الشرقية مصلى للجنائز عبارة عن مساحة مستطيلة محددة بسبعة عشر عقداً، ترتكز على ستة عشر عموداً، وهي مخصصة لصلاة الجنائز .ويوجد على مدخل هذه السقيفة نص كتابي بالخط المغربي يعد من الأهمية بمكانه حيث أنه يشير إلى الإضافات التي تمت بالمسجد منذ العصر الحفصي في عام 648هـ/1250م والتجديدات التي تمت على أيدي "أبو عمرو عثمان" سنة 841هـ/1438م وشملت إعادة بناء السبيل وكذلك الإصلاحات التي تمت في سنة 1047هـ/ 1637م . كما تشتمل هذه اللوحة على إسم الكاتب وهو " محمد الأندلسي بن غالب " (لوحة 9)، ويؤدي إلى الجامع ثلاثة عشر باباً ، إثنان منها في جدار القبلة أحدهما يؤدي إلى حجرة المنبر، والآخر يؤدي إلى حجرة الخطيب، بينما يوجد في كل من الضلع الشمالي الغربي، والضلع الجنوبي الغربي ثلاثة أبواب، ويوجد في الضلع الشمالي الشرقي خمسة أبواب .

مسجد بوفتاتة في سوسة

شيده الأغلب بن إبراهيم سنة 223-226هـ/838-841م، كما تشير إلى ذلك الكتابات المحصورة بين شريطين زخرفيين بأعلى الواجهة في الجدار الشمالي للسقيفة التي تتقدم بيت الصلاة، والكتابة داخل شريط عرضه 48سم، يحف بجانبيه شريطان زخرفيان بعرض 18سم .

الوصف المعماري :

يتكون من قاعة للصلاة قريبة من المربع أبعادها 7.71م × 7.86م، تنقسم إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها بائكتان، تتكون كل منها من ثلاثة عقود حدوة فرس متعامدة على جدار القبلة، كما تمتد موازية لجدار القبلة بائكتان كل منها من ثلاثة عقود ايضا . وترتكز جميع هذه العقود على أربع دعامات متقاطعة، وثمانية أكتاف مندمجة بالجدران . ويغطي كل بلاطة من البلاطات المتعامدة على جدار القبلة قبو نصف إسطواني مقسم إلى ثلاثة أقسام" تربيعات " بواسطة البوائك الممتدة عرضيا (شكل 4) .



شكل (4) مسقط أفقي لمسجد بوفتاتة في سوسة .

ويتوسط المحراب جدار القبلة، والمحراب معقود بعقد حدوة فرس مستدير، يرتكز على أعمدة مندمجة بالجدار .

يتقدم بيت الصلاة سقيفة من ثلاثة عقود، محمولة على دعامات قطاعها مستطيل، تفتح على الفناء الذي يتقدم بيت الصلاة من الناحيتين الشمالية والشرقية، وتوجد في الجهة الغربية من السقيفة دعامة سميكة يرتكز عليها القبو الذي يغطي السقيفة، وكذلك كدعامة للصومعة التي ترتكز فوق هذا الجزء، والتي بنيت في تاريخ لاحق لبناء المسجد .

وقد أضيفت في تاريخ لاحق بائكتين من العقود إلى الشرق من بيت الصلاة، تكونان إسكوبين موازيين لجدار القبلة، وبعد تلك الإضافة فتح باب في الجدار الشرقي لبيت الصلاة يؤدي إلى هذه الزيادة، وبذلك أصبح لبيت الصلاة بابان [1].

ومما تجدر ملاحظته في هذا المسجد عدة نقاط منها :-

- أنه من الأمثلة المبكرة لإستخدام الأقبية في التغطية في العمارة الإسلامية، والتي نجد امثلة لها في قاعة الاستقبال، والغرفة الباردة في حمام قصير عمرة 87- 96هـ/705-715م، وصهريج الرملة بفلسطين 172هـ/789م، وقاعة الصلاة في الدور العلوي لرباط سوسة 206هـ/821م .
- كان هذا النموذج من المساجد مثالا أحتذي في غيره من المساجد مثل الجامع الكبير بسوسة وذلك في طريقة إرتكاز العقود على دعائم متقاطعة ، وتغطية بيت الصلاة بالأقبية النصف إسطوانية فهو الأول في شمال أفريقيا في هذه الطريقة .

---

[1]) كمال الدين سامح (د) العمارة في صدر الإسلام . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . القاهرة .1964 . ص ص 137- 139.

ـــ يعتبر مسجد بو فتاتة الأول في أفريقيا الذي يشتمل على سقيفة تتقدم بيــت الصلاة. وقد إنتقل هذا الإسلوب إلى العمارة الفاطمية في مصر مثل مشهد السيدة رقية، وجامع الصالح طلائع بن رزيق بالقاهرة .

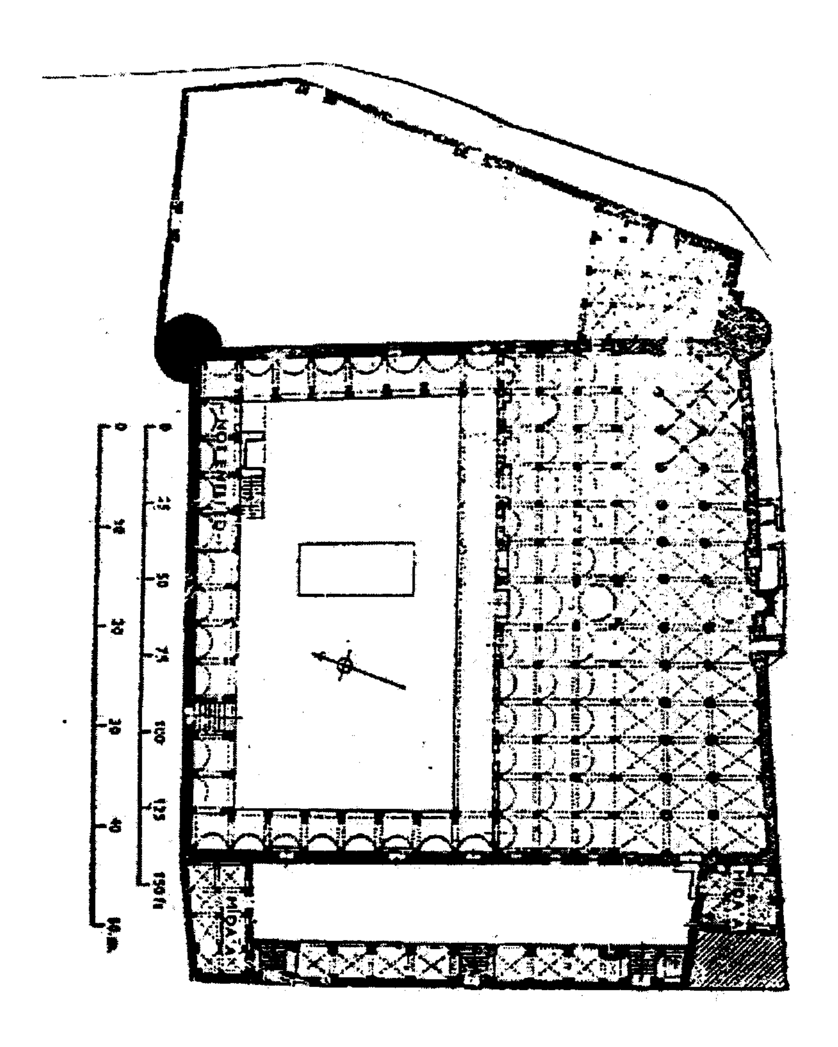
ـــ يعتبر من الأمثلة المبكرة للعمائر الإسلامية التي تشتمل على نصوص كتابيــة تشكل عنصرا كتابيا وزخرفيا متكاملا مثله في ذلك مثل الكتابات التسجيلية في قبة الصخرة بالقدس .

جامع سوسة الكبير

يقع في الركن الشمالي لمدينة سوسة بالقرب من باب البحـــر، وتـــشير الكتابة التي تمتد أعلى العقود حول جوانب الصحن الثلاثة، وتستمر في الـــرواق المضاف في الجانب الجنوبي إلى الأمير محمد بن الأغلب الملقب بـــأبي العبـــاس، وتاريخ سنة 236هـــ / 850-851م .

تخطيط الجامع :

يتكون الجامع من شـــكل مـــستطيل أبعـــاده 49.39× 57.16 م ، يتوسطه صحن مستطيل أبعاده 41م × 22.25 م، تحيط به أربع ظلات مـــن عقود على شكل حدوة فرس مستدير، ترتكز على دعامات على شكل حـــرف T ، ويبلغ عدد العقود في الجهتين الجنوبية والشمالية ثلاثة عشر عقدا، بينما يبلغ عددها في الشرق والغرب ستة عقود .وتتكون ظلة القبلة من ثلاث عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها اثنتى عشرة بائكة، تتكون كل منها مـــن ستة عقود، كما تمتد ست بائكات عرضيا موازية لجدار القبلة، مما جعل العقود المتعامدة والمتوازية ترتكز على دعامات على شكل متقاطع (شكل 5) .



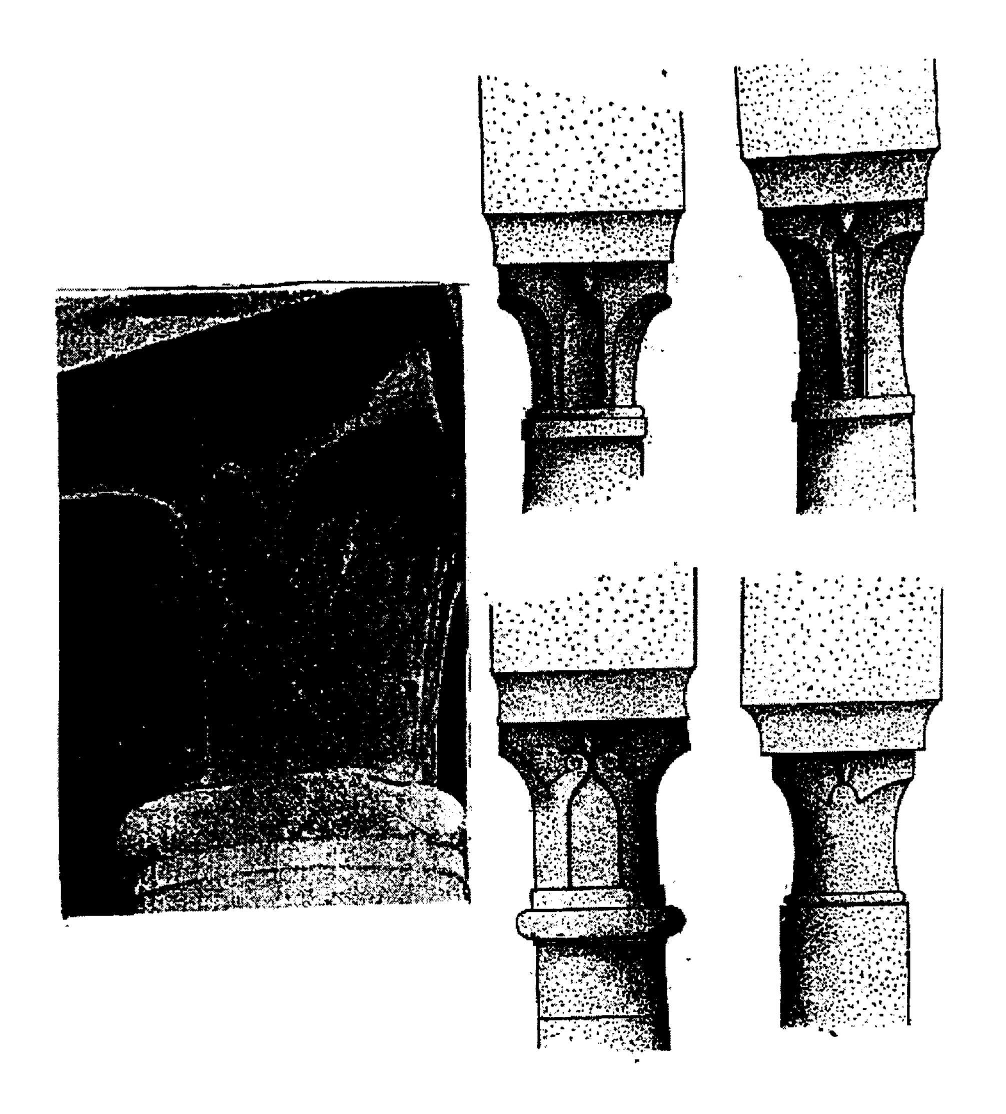
شكل (5) مسقط أفقي للجامع الكبير في سوسه

يتوسط المحراب جدار القبلة، وتزخرفه كتابة منفذة بالخط الكوفي علـــى الطراز الفاطمي، مما يدل على أن هذا الجزء قد أضيف في تاريخ لاحق، ويظهر ذلك أيضا في طريقة تغطية الأروقة الثلاثة الأولى الموازية لجدار القبلة، إذ نجدها

مغطاة بأقبية متقاطعة، بينما الأساكيب الثلاثة الأخرى من ظلة القبلة من ناحيــة الصحن مغطاه بأقبية نصف إسطوانية مثل بقية الظلات الثلاث الأخرى، كما أن الأقبية المتقاطعة أكثر إرتفاعا من الأقبية نصف الإسطوانية التي تغطي النــصف الثاني من ظلة القبلة . في حين يغطي مربعة المحراب والمربعة الرابعــة في الـسبلاط الأوسط من إتجاه القبلة قبة ،(لوحة 10) ومن المرجح أن تكون هذه القبة كانت تغطي المحراب الأصلي .

وإلى يمين المحراب توجد فتحة باب تؤدي إلى غرفة يوضع بها المنبر، الذي يتحرك على عجلات حسب الأسلوب المغربي، والذي يوجد مثال له في مسجد تونس الكبير" الزيتونة " ، ومسجد الجزائر 490هــ/1082م .

ويتقدم ظلة القبلة سقيفة مضافة سنة 1086هــ/1675م ونلاحظ أنها تختلف عن بقية أساكيب وبلاطات الجامع إذ أن عقودها ترتكز على أعمدة بدلاً من الدعامات والأعمدة لها تيجان من النوع الحفصي (شكل 6).



شكل (6) أشكال مختلفة للتيجان الحفصية كما ظهرت في عمائر طرابلس وتونس .

أما بقية الظلات المحيطة بالصحن فمغطاه بسقف مائل قليلا لتصريف المياة إلى الصهريج الذي يوجد في الصحن .

الصومعة :

يوجد في الركن الشمالي الشرقي للمسجد برج كبيرمن بدن مستدير، يعلوه مثمن، تتوجه قبة نصف كروية، ويدخل إلى الصومعة من درجين فوق سطح الظلة الشمالي والظلة الشرقية، ويوجد برج شبيه بهذا البرج في الركن الجنوبي الشرقي(لوحة 10)، وهذا يطابق الأبراج التى كانت موجودة فى كل من الركن الجنوبي الغربي، والركن الشمالي الشرقي من جامع الزيتونة قبل أن يتم دمجهما فى الجدران .

الزيادات :

أضيفت إلى المسجد زيادتان إحداهما في الناحية الغربية، والأخرى في الناحية الشرقية، وتتكون الزيادة الغربية من فناء مستطيل، يحده من الغرب سقيفة، مغطاه بأقبية متقاطعة ترتكز على دعائم ، وفي الشمال والجنوب من هذه الزيادة توجد دورات للمياه، تغطيها أقبية متقاطعة، ويفتح في هذه الزيادة ثلاثة أبواب تؤدي إلى الرواق الغربي للجامع . أما الزيادة الشرقية فغير منتظمة الأبعاد. ويوجد في الجانب الجنوبي الشرقي منها خمسة أساكيب، وبعد هذه الإضافات أصبح الجامع متعدد الأضلاع، ويبلغ متوسط امتداده من الشرق إلى الغرب 90م، ومن الشمال إلى الجنوب 60م (شكل 5).

رباط سوسة

الأربطة في العصر الإسلامي:

الرباط من المباني المخصصة لإقامة الجند، الذين يرابطون فيها للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية، لذلك فقد كان المعتاد إقامة الأربطة علـــى الـــسواحل، أو في المناطق الحدود البرية . ومن أقدم الأربطة في بلاد المغرب رباط المنستير الـــذي أقامه هرثمة بن أعين سنة 179هـــ/795م، بأمر الخليفة هارون الرشيد. كمـــا تضم مدينة المنستير رباط سيدي ذويب، ورباط السيدة أم ملال عمة المعز بـــن باديس أمير البلاد الذي كان واليا على إفريقية من قبل الفاطميين، ويرجعان إلى القرن 3هـــ/9م.

ويعد رباط سوسة من أهم أمثلة الأربطة في العمارة الإسلامية، ويقع في مدينة سوسة التي أعاد إليها الأغالبة مجدها، الذي كان لها في زمـــن الفنيقـــيين والرومان بعد أن كانت قد قلت أهميتها بعد ما أسس عقبة بـــن نـــافع مدينـــة القيروان في الجنوب الغربي من سوسة، واتخذها عاصمة له.ونظرا لموقع مدينـــة سوسة على البحر الذي يحيط بها من الشمال والشرق والجنوب فقد اهتم الأغالبة بتحصينها، سواء كان ذلك بإحاطتها بسور منيع من الصخر، أو ببناء الأربطة. فقد ذكر ابن حوقل (ق 4 هـــ/ 10 م) أن بها رباطات كثيرة [1] ، وكانـــت الأربطة منتشرة في البلاد الإسلامية، حيث أدت الكثير من الوظائف، فهي أماكن

([1]) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي) : صورة الارض . المسالك والممالك . بيروت . ص ص 74-75.

إقامة المجاهدين في سبيل الله، كما كانت مكانا لفداء أسرى المسلمين، فقد كان يفد عليها هؤلاء الأسرى، ويقدم الأهالي ما يستطيعون من مال أو ذهب أو غيره لفدائهم، وعندما قلت حركة الفتوحات الإسلامية أصبحت أماكن لإيواء المتصوفة، والزهاد المنقطعين للعبادة من الرجال أو النساء. فقد ذكر ابن بطوطة أنه كانت توجد في القاهرة دار تعرف بدار البغدادية كانت مخصصة لإقامة المتعبدات من النساء، ولكن اختلف مسمى الرباط منذ العصر الأيوبي، حيث أصبحت تعرف بالخانقاه أو الزاوية [1] . ومع هذا التحول الذي حدث في وظيفة الرباطات، والتي أصبحت وظيفة دينية فقط وليست عسكرية حدث تحول في مواقعها، حيث أصبحت تقام داخل المدن بعدما كانت تقام خارجها .

الرباط في بلاد المغرب:

كانت الأربطة أكثر انتشارا في بلاد المغرب، وخاصة في البلاد القريبة من سواحل الدولة البيزنطية في صقلية وسردينيا جنوب ايطاليا، كذلك في بلاد الأندلس التي كانت عرضة لهجمات الدول المسيحية المحيطة بها. وقد ارتبط بها نظام المرابطة الذي كان شائعا في هذه المناطق، نتيجة لتشجيع بعض الدول التي حكمت هذه المناطق، ومنها دولة المرابطين ودولة الموحدين والدولة الحفصية. وذلك فإن الرباط في بلاد المغرب والأندلس لم يفقد وظيفته العسكرية إلا في مرحلة متآخرة عنها في بلاد الشرق الإسلامي . ويتضح مما سبق أن الرباط في نشأته الأولى كان يجمع بين الوظيفتين الدفاعية والدينية، مما يجعله مختلفا عن

([1]) ابن بطوطة :" محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي " ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت .ص ص 37– 38 .

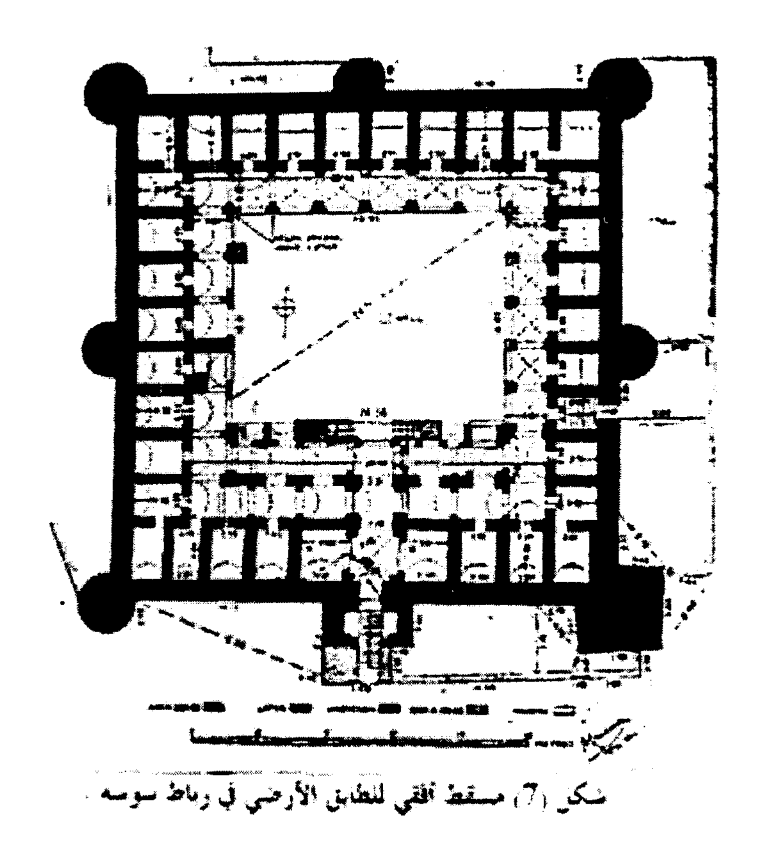
الأديرة المسيحية التي تقتصر على كونها أماكن للانقطاع للعبادة، كما تختلف عن القلاع التي تؤدي دورًا حربياً فقط.

- رباط سوسة :

يقع شمال مدينة سوسة، وتشير اللوحة التأسيسية التي توجد على مدخل الصومعة أن الرباط أسس في عهد الأمير الأغلبي "زياد الله بن إبراهيم بن الأغلب على أيدي مولاه مسرور الخادم سنة ست ومائتين.

يتكون الرباط من مساحة قريبة من المربع أبعادها 40× 38 م ، يحيط به سور سميك يبلغ سمكه 1.35 م، بينما يبلغ ارتفاعه 8.50 م ، ويتوجه شرافات مستطيلة ، ويوجد في كل ركن من أركان السور برج اسطواني فيما عدا البرج الذي يوجد في الركن الجنوبي الشرقي ، فإنه مربع، حيث يشكل قاعدة يرتكز عليها البدن الاسطواني للصومعة ، كما يتوسط كل من الضلع الشمالي والشرقي والغربي برج نصف اسطواني، بينما يتوسط الضلع الجنوبي برج مستطيل فتحت فيه فتحة المدخل للرباط.

يؤدي المدخل إلى صحن أوسط مستطيل أبعاده 30 × 26م، يحيط بالصحن رواق من بائكة من عقود تستند على دعامات ، ويدخل من هذا الرواق إلى الحجرات الثلاث والثلاثين التي تلتف حول جدران الرباط وتتعامد عليها. ويغطي كل حجرة منها قبو نصف اسطواني ، كما أن حجرتين منها متصلتان وتشكلان "دورة مياه " (شكل7) .



شكل (7) مسقط أفقي للطابق الأرضي في رباط سوسه .

ويتكون الطابق العلوي من ممر يطل على الصحن من خلال بائكة من العقود، ويفتح على هذا الممر في كل من الناحية الشمالية والشرقية والغربية حجرات مماثلة لحجرات الطابق الأرضي، أما الجهة الجنوبية فيشغلها مسجد من مساحة مستطيلة أبعادها 38× 7 م، ينقسم بواسطة بائكة من أحد عشر عقدا نصف دائري، ترتكز على دعامات مربعة القطاع، يبلغ طول ضلعها 0.70 م ، إلى إسكوبين موازيين لجدار القبلة ، الأول من ناحية المحراب أكثر اتساعا من الآخر، حيث أن عرضه 3.70 م، بينما اتساع الإسكوب الثاني 2.70 م، كما

ينقسم بيت الصلاة إلى إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، يغطـــي كل منها قبو نصف اسطواني يتعامد على جدار القبلة (شكل8).

ويتوسط المحراب جدار القبلة ، وهو عبارة عن حنية بسيطة التكـــوين، وتغطي مربعة المحراب قبة، وتنتهي الأسوار بشرافات ترتفع بارتفاع الأبراج التي تتخلل الأسوار. وتبرز أعلى الواجهة في الركن الجنوبي الشرقي مـــن الـــصومعة الصغيرة، وتتكون من بدن اسطواني قصير، يتوجه شرفة مربعة للآذان والمراقبـــة والإنذار [1] .

ويتضح مما سبق أن رباط سوسة اشتمل على العديـــد مـــن الـــسمات الدفاعية، وذلك في شكل الأسوار السميكة الحصينة البناء، وما يتخللها من أبراج لتدعيم الجدران، والمدخل الحصين الذي يتوسط الجدار الجنوبي الشرقي، وهـــو المدخل الوحيد، وكذلك في خلو جدران الحجرات من النوافذ، حتى لا تكـــون الفتحات الكثيرة من عوامل نفاذ العدو إلى داخل البناء.

---

(1) للمزيد عن رباط سوسة ، أنظر:

- **أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961، ص 252.**
- **كمال الدين سامح (د) :المرجع السابق ، ص 132.**
- **كريسويل : الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة : عبد الهادي عبيلة ، ط 1 ، دار قتيبة ، دمشق ، 1984 ، ص 307 .**

الفصل الثالث

عمارة الفاطميين والمرابطين في شمال إفريقيا

مقدمة :

على الرغم من أن الفاطميين تواجدوا في كل من تونس وطرابلس قبل غزوهم لمصر إلا أن آثارهم في تلك البلاد قد اصاب الكثير منها الدمار . ويرجع ذلك إلى بعض العوامل السياسية ، ومنها على سبيل المثال هجمات قبائل بني هلال وبني سليم على ليبيا وتونس وما نتج عنه من تخريب الكثير من العمائر التي كانت موجودة في تلك البلاد . كما كان للغزو الأسباني اثره على عمائر طرابلس بشكل خاص ، فعندما دخل الأسبان طرابلس سنة 916هـ/1510م قاموا بتقويد جامع الناقة ، وقد أفادت المصادر التاريخية ، بالإضافة إلى أعمال التنقيب التي تمت في كثير من المواقع عن كشف أساسات عمائر أمكن من خلالها التعرف على طرز تخطيط المساجد في تلك الفترة والتي يتضح من خلالها أنها كانت تتبع النمط التقليدي للتخطيط والذي يتكون من صحن أوسط تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة ، بالإضافة إلى استعمال عنصر البلاط الأوسط الأكثر اتساعا عن بقية البلاطات على جانبيه ، إلا أنه مما يسترعى الانتباه من خلال ما ورد من كتابات الرحالة وما تم الكشف عنه ان بعض هذه المساجد

مثل مسجد مدينة سلطان ومسجد مدينة أجدابيا كانت لهم مأذن مثمنة على الرغم من أن عمائر الفاطميين في تونس مثل جامع المهدية وعمائرهم في القاهرة مثل جامع الحاكم تتميز بمآذنها المربعة القطاع .

جامع سلطان :

اكتشفت بعثة مصلحة الآثار الليبية سنة 1963م أساسات مسجد مدينة سلطان في الجانب الشرقي من ليبيا ، وأمكن تحديد معالمه الأصلية ، إذ كان عبارة عن مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها 31×41 م يتوسطها صحن مكشوف أبعاده 19×21م ، في وسطه صهريج للمياه . ويحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة مقسمة بواسطة بائكات من العقود إلى أروقة موازية لجدار القبلة . يتوسطها بلاط أوسط أكثر اتساعاً عن بقية البلاطات. وتتخلل ثلاثة جدران فيما عدا جدار القبلة ثلاث فتحات ابواب ، يبدوا ان الباب الذي يتوسط الواجهة الشمالية الغربية كان بارزاً عن سمك الجدار. وتحتل المئذنة الركن الشمالي الغربي . ويعتقد مما عثر عليه من قطع الأحجار أنها كانت مئذنة مثمنة وهي مشابهه في شكلها للمئذنة المثمنة التي كانت في مسجد اجدابيا الذي بناه ابو القاسم بن عبيد الله المتوفى سنة 334هـ/945م حسبما ذكر البكري في معجم البلدان والذي أكده الرحالة العياشي المتوفي سنة 1090هـ/1679م حيث ذكر أنه وجد في موضع هذا المسجد كتابه تشير إلى أنه بني سنة ثلاثمائة ،وفي سنة 1971 قامت مصلحة الاثار الليبية بالتعاون مع جمعية الآثار الليبية بجمعية لندن بإجراء حفائر بموقع المسجد في منطقة مقبرة سيدي حسن .ويتفق ما تم الكشف عنه من أساسات مع تخطيط جامع مدينة سلطان والذي يرجع إلى نفس الفترة .

ومما يؤيد نسبة هذا المسجد إلى العصر الفاطمي العثور على مجموعة من القطع الحجرية مسجل عليها كتابات في أشرطة ضيقة منفذة بالخط الكوفي الفاطمي الطراز . كما عثر على قطع من زخارف منفذة بالجص مماثلة لطراز الزخارف الجصية الفاطمية [1]

جامع الناقة في طرابلس الغرب :

ورد أنه بناه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وهو في طريقه من تونس إلى القاهرة سنة 362هـ/972م ، بينما تذكر مصادر أخرى أن بني عبيد قد بنوه وأن الخليفة المعز زاد فيه وهو في طريقه إلى القاهرة [2]. ويستفاد مما اورده التجاني الذي زار طرابلس في سنة 706-708هـ/1306-1308م أن المسجد كان موجوداً عند زيارته للمدينة ، ووصفه بالجامع الأعظم وذكر أنه جامع متسع على أعمدة وسقفه حديث التجديد ، وبه منار متسع مرتفع قائم عن الأرض على أعمدة مستديرة فلما تم نصفه سدس ، وكان بناؤه في سنة 299هـ / 911م على يد خليل بن إسحاق [3].

إلا أنه لم يتبق بالمسجد آثار ترجع إلى العصر الفاطمي نظرا لما تعرض له من أعمال التخريب والهدم ، ولا تتفق بقاياه مع عمارة العصر الفاطمي حيث أن

([1]) عبد الحميد عبد السيد : مسجد قديم بمدينة سرت ترجمة عديلة حسن مياس . مجلة ليبيا القديمة منشورات مصلحة الاثار الليبية . طرابلس . المجلدان الثالث والرابع1966-1967م .روما 1968 . ص ص 72_75

(1) ميسانا (غاسبيري) : المعمار الإسلامي في ليبيا ترجمة على الصادق حسنين ، طرابلس، 1973م . ص 165

([3]) التجاني (أبو محمد عبد الله) : الرحلة ص 253 .

بيت الصلاة به مقسم إلى أساكيب وبلاطات غير منتظمة في إتساعها ، ولا في شكل عقودها المتنوعة ، وكذلك في أشكال الأعمدة وتيجانها . كما أن تخطيطه الحالي مخالف لتخطيط المساجد الفاطمية إذ أنه مكون من بيت صلاة مغلق تتخلله فتحات أبواب ونوافذ يتقدمه رواق يطل على الصحن . كما أن جدار القبلة ليس محورياً مع الصحن ولكنه على امتداد الظلة الجنوبية الشرقية . وإن كان المسجد له صومعة مربعة على طراز الصوامع الفاطمية وصوامع بلاد المغرب بصفة عامة إلا أنها مضافة ضمن تجديدات صفرداي سنة 1119هـ/1610م [1] .

([1]) للمزيد عن هذا الجامع أنظر : صلاح احمد البهنسي (د) : العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول 958-1123هـ/1551-1711م . مخطوط رسالة دكتوراه . كلية الآثار جامعة القاهرة 1994م .ص ص 38-47 .

تأسيس مدينة المهدية

أقام عبيد الله المهدي في أول الأمر في مدينة رقادة التي أسسها إبراهيم بن أحمد سنة 264هـ/879م، وكانت مقراً لأمراء بني الأغلب . وقد نزل أبو عبيد الله المهدي بقصر الصحن حتى تم تأسيس مدينة المهدية فانتقل إليها . وقد اختار المهدي شبة جزيرة ساحلية تقع بين سوسة في الشمال، وصفاقس في الجنوب لإنشاء عاصمة الفاطميين الأولى التي عرفت بالمهدية نسبة إليه . وكما هو متبع في تلك العصور فقد إستشار المنجمين لإختيار طالع سعيد لتأسيس المدينة، فكان برج الأسد في الطالع . ويتفق معظم المؤرخين أن تأسيس المدينة كان سنة 303هـ/915م ، ولكن ابن عذاري يذكر أنه كان سنة 304هـ/916م. وفي كل الأحوال فإن ذلك تم في فترة حكم عبيد الله المهدي.

ومن خلال ما ورد من أوصاف لمدينة المهدية، وما تبقى من آثارها، فإنه يلاحظ أن كثيراً من عناصر عمارتها قد انتقل إلى مدينة القاهرة، التي أسسها الفاطميون بعد دخولهم مصر ومن ذلك :-

ـ سمك جدران الأسوار ، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن مدينة المهدية كانت محاطة بسور عريض يتسع لفارسين متجاورين ، وهو نفس ما

ذكر عن أسوار مدينة القاهرة التي كانت مبنية بالطوب اللبن عندما أنشائها جوهر الصقلي .

— كان سور مدينة المهدية مبنياً من أحجار الدستور الصغير الذي يعرف باسم " ثلاثات "، والتي نجد أمثلة لها في جامع الحاكم بأمر الله، وفي مشهد الجيوشي بالقاهرة.

— كان يقوم على مداخل مدينة المهدية أبواب ضخمة مصفحة بالحديد، ذكر المقريزي في كتابه " المقفي الكبير " الذي ترجمه Fagnan انها كانت تدور على سكرجه أي محاور من زجاج، وهو نفس ما ذكر عن باب زويلة بمدينة القاهرة، وكانت الأبواب مزخرفة بزخارف بارزة منها شكل أسدين متواجهين بارزين كانت موجودة حتى وقت زيارة الرحالة " مارمول Marmol" للمدينة سنة 961هـ/1553م . ولكن الحوائط وما يتخللها من أبواب دمرت سنة 1317هـ/ 1899م .

— قام عبيد الله المهدي بإنشاء قصرا في وسط المدينة لنفسه، كما أنشأ قصرا لإبنه القائم يفصل بينهما ميدان، وهذا التخطيط إنتقل أيضا إلى القاهرة، فكان القصر الشرقي الكبير للمعز، والقصر الغربي للعزيز يفصل بينهما ميدان " بين القصرين ".

وقد زالا هذان القصران غير أن مارسيه Marçais يعتقد أن قصر المهدي كان في المكان الذي يشغله الآن برج النحاس في المهدية . ولكن تبقت بعض الآثار، ومنها أحد أبراج السور من الناحية الجنوبية .

— إلى جانب المهدية قام المهدي بإنشاء ضاحية عرفت باسم " زويلة " نسبة لإحدى قبائل المغرب، ونقل إليها أصحاب الحرف والمتاجر ، وكذلك فعل

الفاطميون بعد تأسيس القاهرة، حيث خصصوا مدينة الفسطاط للحـــرفيين والصناع.

- يبدو الاتفاق ما بين مدينة القاهرة وعواصم العبيديين في إفريقية، وذلك مـــن حيث مسميات أبواب المدينة ، فكان من ضمن أبواب مدينة المنصورية بابان أحدهما يعرف بباب زويلة(لوحة 11) ، والآخر باب الفتوح، وهي أسماء أطلقت ايضاً على بابين بالقاهرة . أما عن الوصف الذي كانت عليه مدينة المهدية فإنها كانت محاطة بسور سميك ، ويقع المدخل الرئيسي للمدينـــة في الناحية الغربية، ويكتنف جانبيه برجان نصف مثمنـــان بإرتفـــاع 20م . ويؤدي الباب إلى ممر طويل طوله 44م مسقوف بقبو نصف برميلي، لذلك فقد كان ممراً مظلماً أطلق عليه " السقيفة الكحلة "(لوحة 12) . وعلـــى جانبي الممر دخلات حائطية بها مصاطب لجلوس الحراس . كما تبقى مـــن آثار مدينة المهدية أجزاء من الميناء الذي أنشأه المهدي، وكان يتسع لثلاثين سفينة، وبني عند مدخله برجين .

جامع المهدية

كما هو المتبع عند إنشاء المدن في العصر الإسلامي من حيث إنشاء مسجد جامع كبير فى وسط المدينة، فقد قام المهدي عند تأسيس مدينة المهدية بإنشاء مسجد جامع بها . وذلك فى الفترة من سنة 303هـ/915م إلى سنة 305هـ/917م .

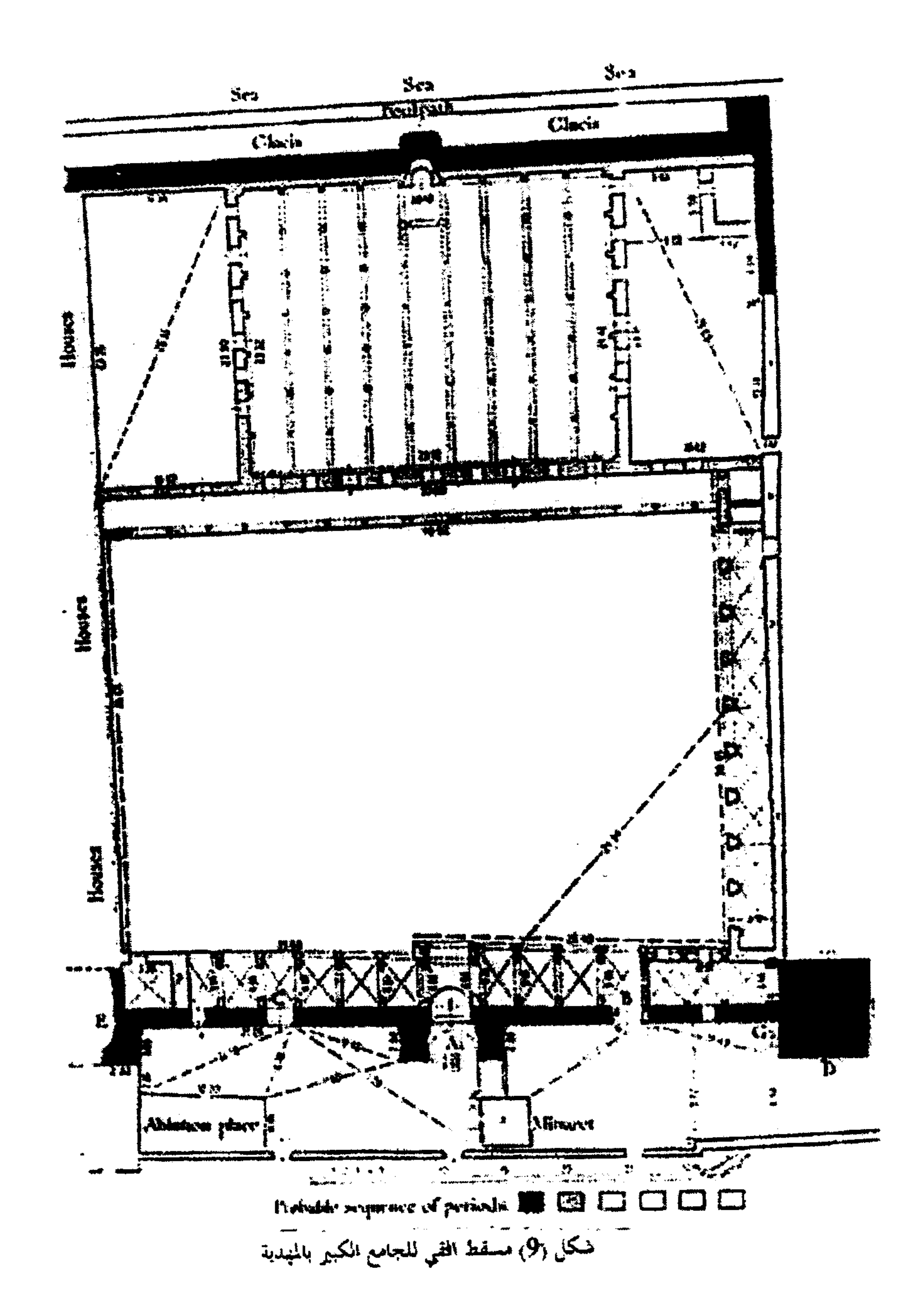
الوصف المعماري للجامع :

يشغل الجامع مساحة مستطيلة أبعادها 60×82م، ويؤدي إليه مدخل تذكاري؛ عبارة عن برجين يبرزان عن سمت الحائط في الواجهة الشمالية الغربية ، وأبعاد كل برج منها 8.50×3م أما الإرتفاع فيبلغ 9م ، وبين البرجين يوجد مدخل معقود بعقد على شكل حدوة الفرس بإتساع 4م. ويؤدي الباب إلى دركاه مسقوفة بقبو طولي، ينتهي بفتحة باب معقودة بعقد مستقيم ، يعلوه عقد قوسي عاتق،بينهما نفيس ويؤدي الباب إلى الصحن ومنه إلى بيت الصلاة . وإستخدام العقد المستقيم يعلوه عقد عاتق بينهما نفيس ظهر فيما بعد في أبواب القاهرة الفاطمية، التي أنشئت في عصر المستنصر على أيدي " بدر الدين الجمالي "، وهو من التأثيرات المغربية في عمارة القاهرة في العصر الفاطمي ، ويحيط بكتلة المدخل دخلتان معقودتان بعقود حدوة فرس، يعلوهما دخلتان معقودتان بعقود نصف دائرية .

وفي ركني الواجهة الشمالية الغربية تبرز قاعدتي الصومعتين الأصليتين، ويبلغ بروز كل منهما 7.80م . ونجد هذا الوضع للصوامع في ركني الواجهة الشمالية الغربية في جامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة، ويرجع إلى سنة 380-

403هـ/990-1010م ، ويؤدي المدخل إلى ظلة مستحدثة مكونة من ثلاثة عشر عقدا من نوع حدوة الفرس موازية لجدار القبلة، ومغطاة بأقبية متقاطعة .

أما الصحن فإنه على شكل مستطيل أبعـــاده 49×35م، في الناحيـــة الغربية منه ظلة حديثة مكونة من تسعة عقود حدوة فرس، محمولة على دعامات، ويغطيها أقبية متقاطعة . وفي الناحية الجنوبية الشرقية ظلة القبلة تتقدمها ســقيفة مستحدثة، مكونة من خمسة عشر عقدا محمولة على أعمدة . وتــؤدي هــذه السقيفة إلى ظلة القبلة، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها 30 × 23 م . وتتكون من تسع بلاطات متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها ثماني بائكـــات من عقود حدوة الفرس، يبلغ عددها في كل منها سبعة عقود محمولة على ســتة أعمدة (شكل 9).



شكل (9) مسقط افقي للجامع الكبير بالمهدية

يتوسط جدار القبلة محراب عبارة عن حنية معقودة بعقد حدوة فرس، عليه كتابة تشير إلى سنة 1334هـ/(1915م)، وتوجد خلفه وعلى بعد متر منه يوجد المحراب القديم الذي يرى من ثقوب في المحراب الحديث، وهو بذلك مشابه لما هو موجود في جامع عقبة بن نافع بالقيروان . والمحراب القديم عبارة عن حنية إتساعها 2م وعمقها 1م ، يزخرف الجزء الأسفل منها قنوات قمتها مفصصة، يعلوها أربعة أسطر من الكتابة الكوفية، ويتوج حنية المحراب طاقية مزخرفة .

وبناء على ذلك فأن ظلة القبلة الحالية مجددة في القرن العشرين . ويحيط بظلة القبلة من الناحيتين الشرقية والغربية صحن مكشوف. وبذلك يكون للجامع ثلاثة صحون مكشوفة، وإن صح نسبة هذه الصحون الثلاثة إلى فترة إنشاء الجامع فإنه بذلك يكون أقدم مثال لتعدد الصحون في العمارة الإسلامية، سابقاً بذلك لمسجد تازي الموحدي ، وبذلك تكون الأجزاء الأصلية الباقية بجامع المهدية ممثلة في :-

ـــ الواجهة الرئيسية بما تشتمل عليه من المدخل التذكاري البارز وقاعدتي الصومعتين .

ـــ جدار القبلة القديم والمحراب الذي يشتمل عليه .

وكما لاحظنا فإن الجامع يشتمل على أقدم نموذج للمداخل التذكارية في العمارة الإسلامية، إذ كانت المداخل مساوية لسمت الجدران. وقد إنتقل هذا الطراز من المداخل إلى جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ومنه إلى جامع الظاهر بيبرس 665-667هـ/ 1268-1270م . وقد ذكر كل من كريزويل، ومارسيه Creswell, Marçais أن هذا النوع من المداخل متأثر بأقواس

النصر الرومانية، إلا أن طريقة تنفيذ الأبراج ملاصقة لجدران الجامع تجعلها مختلفة عما كانت عليه أقواس النصر الرومانية، التي كانت تقام في ساحات مكـــشوفة بمفردها وغير مرتبطة ببناء. لذلك يمكن القول أن طريقة التنفيـــذ هـــذه مـــن الإبتكارات التي توصل إليها المعماري المسلم ضمن ما أضافه في مجال العمـــارة والفنون الإسلامية مستفيداً بتراث الحضارات السابقة [1] .

([1]) للمزيد عن مدينة وجامع المهدية انظر :

Lezine. A.: Mahdiya, Paris. 1965. pp 65-136 . Figs. 30-57 .

مسجد قلعة بني حماد بالجزائر

كان بنو حماد ولاة من قبل الفاطميين على المغرب الأوسط، ولكنهم ثاروا عليهم، وأعلنوا إستقلالهم عنهم، فأرسل الفاطميون بني هلال لتأديبهم، وأدى ذلك إلى تدمير الكثير من آثارهم، ولم يبق منها إلا بقايا مسجد بني حماد، الذى تبقى منه الصومعة التي ترتفع 25 م .

وقد أجرى العالم الفرنسي " بلاشيه " Plachet حفائر أمكن من خلالها التعرف على تخطيط المسجد، فكان عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها 64×56م، تنقسم إلى ثلاث عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة ، وترتكز الصومعة على الجدار الشمالي المقابل للمحراب، وتتوزع على جدار الصومعة جوفات أو طاقات شبيهه بما هو موجود في صومعة جامع أشبيلية " الجيرالدا "، ويعلو هذه الطاقات عقود ذات فصوص مستديرة ومدببة، موزعة بالتناوب يشبهها ما هو موجود بضريح أم كلثوم بالقاهرة، ويرجع إلى سنة 517-550هـ/1123-1155م. كما ظهر بهذه الصومعة استراحات بين الطوابق تستند على قباب مصلبة وقد أصبح هذا الأسلوب من خصائص عمارة الموحدين في المغرب والأندلس ومنها مأذنة الكتبية بفاس ومسجد حسن بالرباط والجرالدا بأشبيلية [1].

---

[1] عبد العزيز الدولاتلي: المرجع السابق ، ص 154.

ويتضح من هذا الوصف أن المسجد يتبع النمط التخطيطي لمساجد شمال افريقيا، وذلك من حيث البلاطات المتعامدة علي جدار القبلة، وفي وضع الصومعة في الجدار المقابل لجدار القبلة .

جامع تلمسان

بعد أن إستولى يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين علـــى مدينـــة أجادير قام بتأسيس مدينة " تارجرات " [1] عام 475هـــ/1082م. وأقـــام بها مسجدا جامعا وهذه المدينة هي التي عرفت فيما بعد بمدينة تلمـــسان ونـــسب الجامعة إليها .

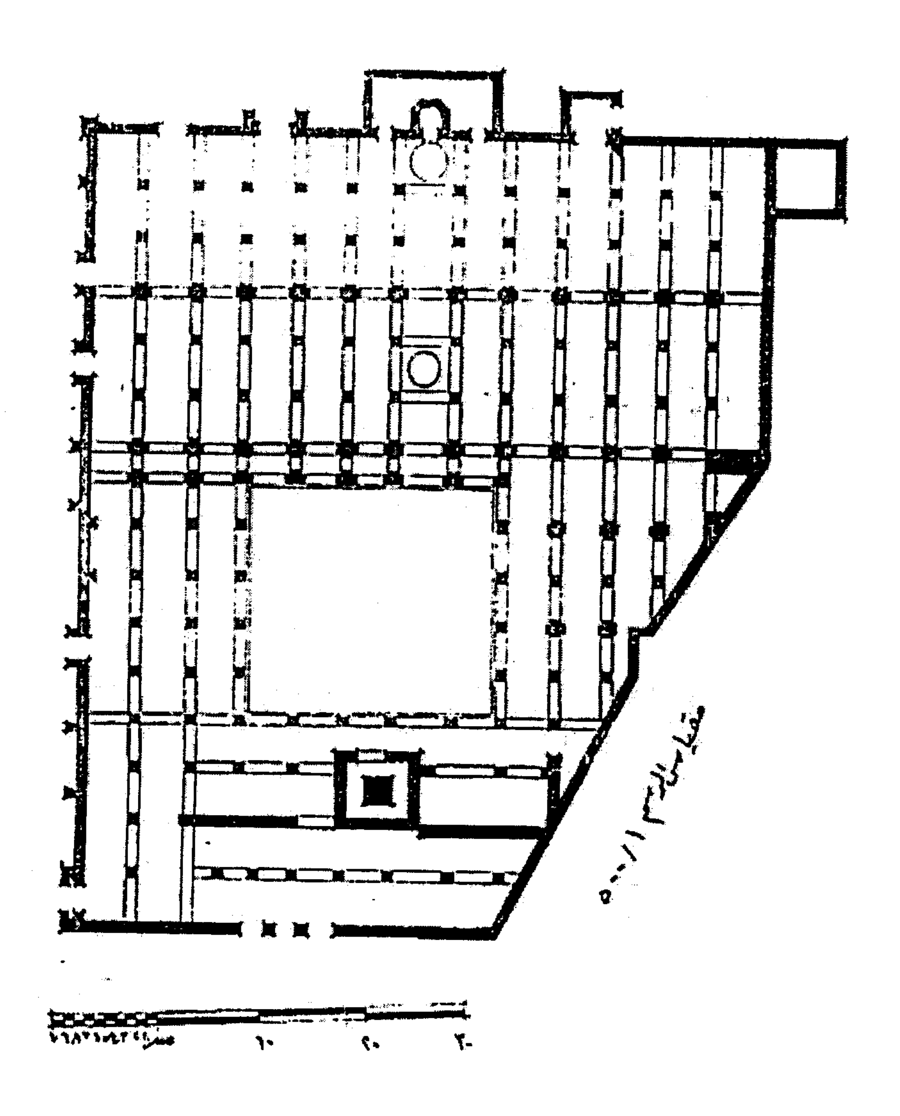
ويمثل مسجد الجزائر، ومسجد ندرومة المرحلة المبكرة من فن المرابطين، والتي تتسم بالبساطة والخشونة، بينما يظهر في مسجد تلمسان الثراء الزخـــرفي نتيجة للتأثر بالفن الأندلسي. وقد شيد هذا المسجد يوسف بن تاشـــفين ســـنة 475هـــ/1082م، ثم تناوله علي يوسف بالزيادة في عمارته وزخرفتـــه ســـنة 536هـــ/1136م، ويظهر في هذا المسجد تأثر علي بن يوسف، التي كانـــت أمه من سبايا المسيحيين، بالفن الأندلسي، وذلك من حيث السقف المسطح الذي يعلوه سقف جمالوني، وزخارف السقف الخشبي، المكونة من عناصر نباتية متأثرة بالزخارف النباتية في سقف مسجد الدباغين " كنيسة سانتا ماريا لابلانكا حالياً " بطليطلة. كما يظهر التأثر بالفن الأندلسي في كثافة الزخارف الجصية المتنوعة .

الوصف المعماري للجامع :-

يتكون من مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد، حيث يوجد إنحراف في الجدار الجنوبي الغربي. وينقسم الجامع إلى صحن يقرب من الشكل المربع؛ تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، التي تنقسم إلى ثلاث عشرة بلاطة متعامدة

([1]) تعني كلمة "تارجرات" في اللغة الأمازيغية القاعدة الحربية.

على جدار القبلة ، تفصل بينها أثنتا عشرة بائكة من عقود، تتكون كل منها من ستة عقود، ويقسم هذه المساحة بائكتان موازيتان لجدار القبلة، تتكون كل منهما من ثلاثة عشرة عقداً محمولة على دعامات،والبائكات التي تمتد موازية لجدار القبلة وتقطع البائكات الممتدة متعامدة على جدار القبلة وجد في عمارة الاغالبة في كل من جامع عقبة بن نافع بالقيروان، وجامع الزيتونة بتونس. والبلاطة الوسطى من ظلة القبلة أكبر اتساعاً عن بقية البلاطات، ويغطي مربعة المحراب قبة مسجل عليها كتابة بخط الثلث، تشير إلى تاريخ الفراغ من بنائه سنة 530هـ/1135م، وهي قبة من أضلاع متقاطعة تعد تقليدا لقباب جامع قرطبة، حيث ينتج عن تقاطع ضلوع القبة قبيبة صغيرة من المقرنصات، كما توجد قبة على المربعة قبل الأخيرة من البلاط الأوسط من ناحية الصحن، ويدل هذا على أن ظلى القلبة كانت تنتهي عند هذه البائكة حيث كان المتبع وضع قبة فوق مربعة المحراب ، وقبة على المربعة الأخيرة من البلاط الأوسط والتي تطل على البهو" قبة البهو "(شكل 10) .



شكل (10) مسقط أفقي للمسجد الجامع بتلمسان

وتشرف ظلة القبلة على الصحن من خلال بائكة مكونة من خمسة عقود .
ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن تجويف عميق معقود، وإلى يمين المحراب غرفة مخصصة للمنبر، كما توجد غرفة أخرى مخصصة للخطيب، ويوجد فى الجانب الجنوبي الشرقي من جدار القبلة فتحة باب تؤدى إلى البلاطة الرابعة، كما يوجد في الجدار الشمالي الشرقي أربع فتحات أبواب اثنتان منها تؤدى إلى ظلة القبلة. وعملاً بمبدأ التماثل الذى يميز عمائر تلك الفترة، فإنه من المرجح أنه كانت توجد أربع فتحات أبواب مماثلة فى الجدار المقابل.

وتتكون الظلة الغربية من أربع بلاطات، بينما تتكون الظلة الشرقية من ثلاث بلاطات، وتشرف كل منها على الصحن من خلال خمس فتحات عقود، بينما تتكون ظلة المؤخر من بائكتين من العقود، ويتوسطها الصومعة المربعة التي يدخل إليها من هذه الظلة، وكانت تشرف هذه الصومعة على الواجهة الشمالية الغربية غير أنه تم عمل سقيفة من بائكة واحدة من ثمانية عقود تتقدم هذا الجدار، وكذلك تم مد بلاطات الظلة الشمالية الشرقية حتى هذا الجدار المضاف (شكل 10) . وهذه الصومعة من إضافات يغمراش بن زياد من دولة بني واد التي حكمت الجزائر 633-681هـ/1235-1282م ،وهي صومعة مربعة الشكل مبنية من الآجر وعليها زخارف من شبكات المعينات التي تنطلق من رؤوس العقود، وتغطي جميع أوجه الصومعة ، وهي متأثرة في ذلك بطراز زخرفة مأذن بلاد الأندلس .

جامع القرويين في فاس

عندما بويع إدريس الأول بالولاية في المغرب سنة 172هـ/789م ، ودخلت القبائل البربرية في دعوته ، قام ببناء مدينة فاس، وبنى بها جامعاً بسيطاً كان يعرف بجامع الأشياخ . وقد عرفت فاس بعدوة الأندلسيين نسبة إلى جالية أندلسية وفدت إلى المغرب عندما طردهم الحكم الثاني سنة 202هـ/817م . وكانت هذه الجالية تتكون من ثمانية آلاف أسرة . وقد أنشأ إدريس الثاني مدينة فاس الثانية سنة 192هـ/808م ، واتصلت المدينتان، وأصبحتا بلداً واحداً، ينقسم إلى قسمين يسمى كل منهما بالعدوة ؛ عدوة الأندلسيين في الناحية الشرقية من وادي فاس ، وقد أقام بها إدريس الثاني دار الإمارة نظراً لجمال طبيعتها ، ولأنه يستطيع الوصول منها بسهولة إلى أوروبا عن طريق بلاد الأندلس، كما يستطيع الوصول إلى بلاد شمال أفريقيا نظراً لوجودها في موقع متوسط . وعدوة القرويين أي القيروانيين في الناحية الغربية من وادي فاس ، وهي تنسب إلى الأسر التي وفدت من القيروان، وكان عددهم ثلاثمائة أسرة .

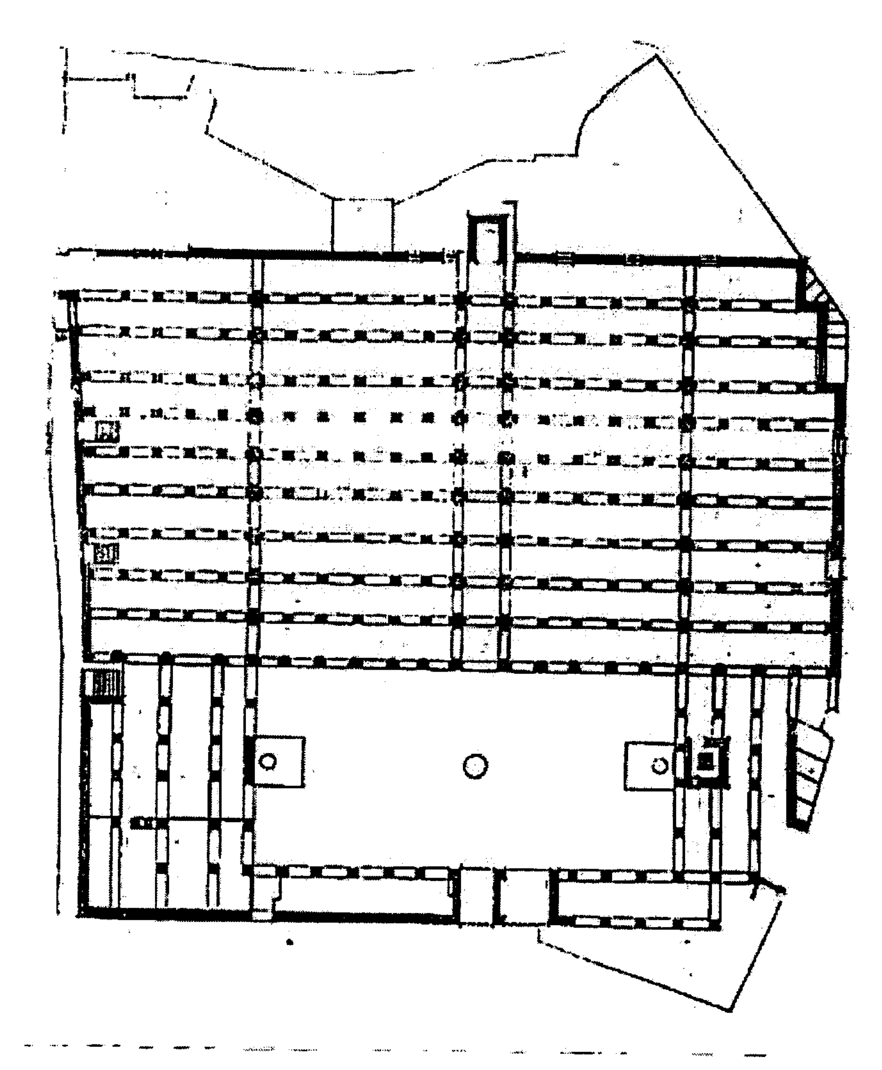
ويقع الجامع في عدوة القرويين لذلك نسب إليهم . وكان يعرف عند إنشائه بجامع الشرفاء . ويرجع تاريخ بناء الجامع إلى سنة 192هـ/808م معاصراً لجامع الأشياخ في عدوة الأندلسيين . وقامت فاطمة الفهرية سنة 243هـ/857م بتوسيع الجامع وإعادة بنائه ، فتضاعفت مساحته ، وزاد بيت الصلاة عمقاً ، ووسع الصحن وأعيد بناء المجنبات. كما أنشئ للجامع محراب ومنبر ، وبنيت الصومعة .

أما جامع الأندلس بفاس " الأشياخ " فقد جددته مريم بنت محمد الفهري أخت فاطمة سنة 245هـ/859م ، وأضيفت له صومعة شبيهة بصومعة جامع القرويين سنة 354هـ/965م . ويرجع الشكل الحالي للجامع إلى سنة 600هـ/1204م في عهد الخليفة الموحدي محمد الناصر ، إلا أنه دخلت عليه تجديدات وزيادات .

جامع القرويين على مر العصور :

- عند إنشاء المسجد على يدي فاطمة الفهرية سنة 245هـ/859م كان يتكون من ظلة القبلة . تنقسم إلى أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها أربع بوائك من عقود، تتكون كل منها من اثني عشر عقداً ، ويوجد بلاط أوسط ؛ في الجهة الغربية منه خمسة عقود ، وفي الجهة الشرقية منه ستة عقود ، ويتقدم ظلة القبلة صحن ، في نهايته وعلى نفس محور المحراب الصومعة ، وهو المكان الذي توجد فيه حالياً العترة (شكل 11) .

وتوجد عند القبة الرابعة كتابة تعد من أقدم الكتابات بالمسجد، وتشير إلى تطوع فاطمة الفهرية بالبناء ، وذلك في أول رمضان سنة 245هـ/ 859م



شكل (11) مسقط أفقي لجامع القرويين في فاس يبين الإضافات التي أضيفت إليه حتى نهاية العصر المريني .

ـــ في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي استطاع الاستيلاء على فاس، وعين أحمد بن أبي بكر الزناتي والياً عليها، قام هذا الوالي في سنة 345هـ/956م بإضافة ثلاثة أساكيب من ناحية الصحن، فأصبحت ظلة

القبلة من سبعة أساكيب بدلاً من أربعة، مما أدى إلى هدم الصومعة، وإقامة صومعة أخرى في الظلة الغربية. حيث تشغل المربعة الثانية من البلاطة الأولى التي تطل على الصحن من هذه المجنبة، بينما يقابلها وعلى نفس امتدادها في الناحية الشرقية من الصحن الفوارة، ويبلغ طول ضلع الصومعة 5م، وارتفاعها 20م ، حسب القاعدة المتبعة في بناء الصوامع في بلاد الأندلس، والذي يكون ارتفاع الصومعة أربعة أضعاف طول ضلع قاعدتها، ويتخلل جدرانها فتحات توأمية معقودة على الطراز الأندلسي، وتنتهي بقبة، وإلى جانب الصومعة حجرة للمؤذن (لوحة 13) ، وهي أقدم صومعة باقية في المغرب الأقصى، وسار على نهجها بقية صوامع المغرب .

— وفي فترة لاحقة أضيفت فوارة غرب الصحن مقابلة للفوارة التي في الجهة الشرقية من الصحن، كما مدت البائكات في ظلة القبلة بواقع أربعة عقود في الناحية الغربية، وخمسة عقود في الناحية الشرقية .

— في فترة حكم علي بن يوسف تم توسعة الجامع، وأضيف منبر من خشب الصندل والأبنوس والحور، ومطعم بالعاج من عمل صناع من الأندلس(لوحة 14).

— في سنة 524هـ/1129م أضيفت العنزة، حيث توجد عليها كتابة تشير إلى أنها عملت في سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

— في عهد الأمير علي بن يوسف المرابطي سنة 528-539هـ/1133-1143م صارت بلاطات بيت الصلاة عشر بعد أن كانت سبع ، وعمل محراب ومنبر جديد ، وأعيد بناء أبواب الجامع، وخاصة بابا الفخارين الذي يسمى اليوم بباب الشماعين ، وكسيت الأبواب بالنحاس ، وأقيم على كل

باب قبة ، كما أقيمت قبة على مربعة المحراب، مزخرفة بزخارف ملونة، ومذهبة اشترك في بنائها وزخرفتها صناع من الأندلس . ولكن عندما سقطت المغرب في أيدي الموحدين سنة 540هـ/1145م قاموا بتغطية المحراب بطبقة من الكاغد والجص .

- ومن إضافات الموحدين مجموعة الثريات ، والتي نقل بعضها من كنائس ، ومنها نواقيس ما زال عليها كتابات لاتينية منها عبارة "صوت الله جلجل في بيته " وإضافة الخصة الحسناء في الناحية الشرقية من الصحن في المكان الذي كان يشغله البئر الذي حفر في أيام فاطمة الفهرية ، وتم إضافتها في سنة 599هـ/1203م .
- أعيد العمل في الصومعة سنة 688هـ/1289م في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني، وقد أكسبت هذه الإصلاحات الوضع الذي عليه الصومعة الآن .

قد نال الجامع اهتمام بني مرين ، وأضافوا له كتبيات ، وساعد على ذلك أن السلطان أبو يوسف المريني طلب من واليه على أشبيلية تزويده بالكتب التي سلبها الأسبان من مساجد الأندلس ، فأرسل له ثلاثة عشر حملاً من المخطوطات ، كما أضاف بنو مرين الخصات ، وأقيم برج إلى جانب الصومعة للرصد الفلكي .

الوصف الحالي للجامع :-

يتكون الجامع من مساحة غير منتظمة الأبعاد، يتوسطها صحن مكشوف، فى كل جانب من جوانبه حوض مياه، تتوسطه فوارة ، وتحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، وتتكون من مساحة وسطى، مكونة من

تسعة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها بوائك، يتكون كل منها من ثلاثة عشر عقداً ، ويقطع امتداد هذه الأساكيب البلاط الأوسط المتعامد على المحراب . وقد أضيفت فى كل جانب من جانبي هذه المساحة إضافة، تتكون في الناحية الشرقية من تسعة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها بوائك مكونة من خمسة عقود، بينما الزيادة في الناحية الغربية غير منتظمة، إذ تتكون بعضها من بوائك من ثلاثة عقود، بينما يتكون بعضها الآخر من بوائك من أربعة عقود. أما الظلتان الجانبيتان فإن الظلة الشرقية تتكون من أربعة أساكيب تمتد متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها بوائك، يتكون كل منها من ستة عقود، بينما الظلة الغربية فإنها غير منتظمة الشكل، ويقطع امتداد هذه الظلة الصؤمعة (شكل 11) .

ملاحظات حول عمارة وزخارف جامع القرويين :

- إن بائكات العقود تمتد موازية لجدار القبلة ، على عكس النظام السائد في عمارة بلاد المغرب ، ويرجع مارسيه Marçais ذلك إلى التأثر بجامع الشرفاء، الذي أقيم في البداية في عدوة القرويين ، وإلى التأثر بالطراز المعماري المشرقي في بناء المساجد .
- تعدد البوائك في المجنبات ، وهو أسلوب لم يكن معمولاً به في عمارة الأغالبة، ولكنه من مميزات الطراز المرابطي ، ونجد مثالاً له أيضاً في جامع تلمسان الذي يرجع لنفس العصر .
- أن جامع القرويين عند إنشائه كان يجمع بين مظاهر العمارة الأغلبية في تونس، وخاصة في وجود الصومعة في مقابل المحراب ، كما هو الحال في

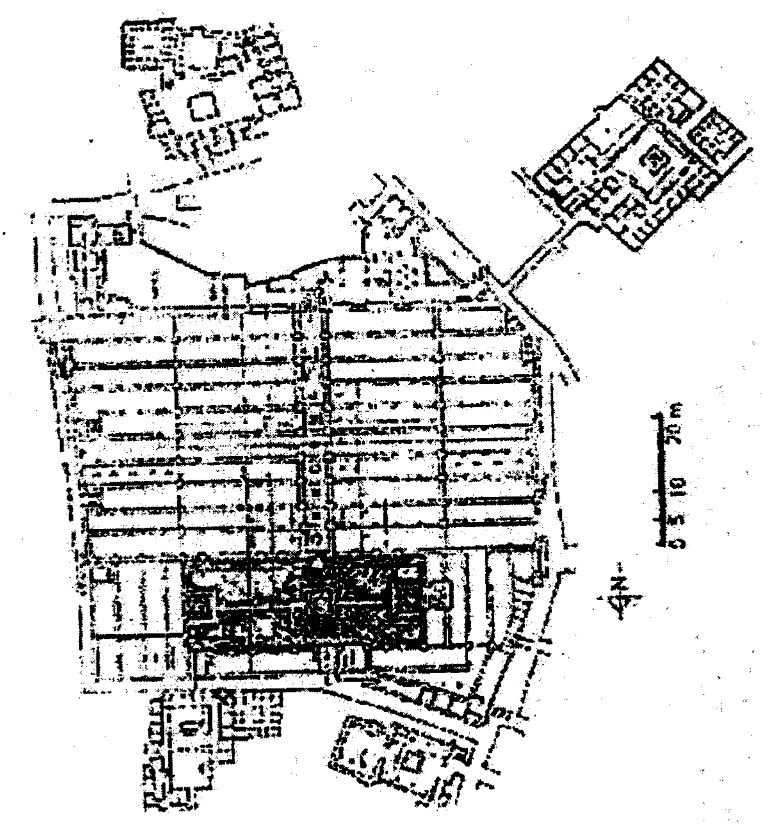
جامع عقبة بن نافع بالقيروان ، وكذلك في طراز الصومعة المربعة . كما تظهر فيه البساطة التي كانت تميز العمارة الرستمية في عاصمتهم " تاهرت " بالجزائر ، حيث ذكر أن الحاكم الرستمي عبد الرحمن قام ببناء جامع المدينة بنفسه ، وعندما زاره وفد من الكوفة وجدوا أن شخصاً يعجن الطين ، بينما يتولى هو نفسه البناء .

ـــ تتميز عمارة الجامع في القرن 4هـــ/10م بأنها تجمع بين خصائص العمارة الزناتية المتأثرة بالطراز الفاطمي ، وبين الطراز الأندلسي الذي ظهر في بعض عناصر المسجد .

ـــ ظهرت في جامع القرويين زخرفة تمتد على استدارة العقود، وهي زخارف ثعبانية تظهر لأول مرة في زخارف مساجد بلاد المغرب [1] (لوحة 15) .

ـــ ألحقت بجامع القرويين أربع مدارس وهي (العطارين، الصفارين، الشراطين ، المصباحية) (شكل 12) ، وهذا يطابق ما حدث في الجامع الأزهر بالقاهرة والذي أضيفت له ثلاث مدارس في العصر المملوكي .

([1]) للمزيد عن جامع القرويين، أنظر : سوسن سليمان يحيى (د) : جامعة القرويين ملتقى مدارس العمارة بالمغرب الإسلامي . مجلة كلية الآثار . جامعة القاهرة . العدد الثامن . 1997 م . ص ص 75 – 144 .



شكل (12) مسقط افقي لجامع القرويين في فاس والمدراس الملحقة به .

الفصل الرابع

عمارة الموحدين في بلاد المغرب

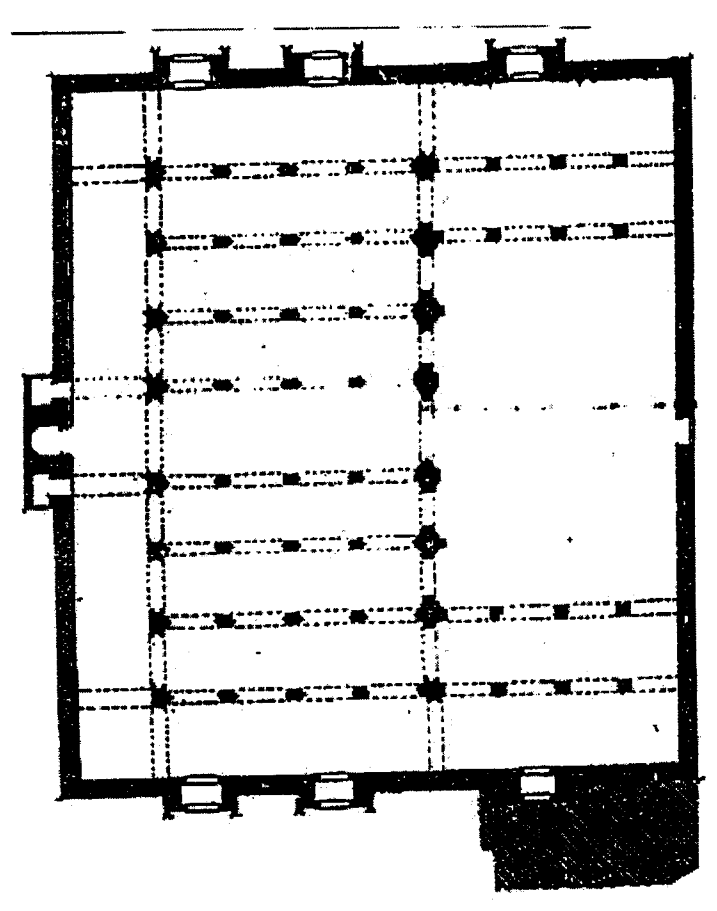
مسجد تينملل

أنشأه عبد المؤمن بن علي أول سلاطين الموحدين سنة 543هـ/1148م.

الوصف المعماري للمسجد:

يشغل المسجد مساحة مستطيلة أبعادها 48×43.60م، وله أربعة واجهات، تقع الواجهة الرئيسية في الجهة الجنوبية الشرقية منه ، وهي من الحجارة، وتحتوي الواجهة الرئيسية على ست فتحات معقودة للإضاءة وتهوية ظلة القبلة، ونستطيع أن نصل إلى داخل المسجد في هذه الجهة عن طريق مدخل منكسر يمر في داخل قاعدة الصومعة، يفضي إلى فتحة الباب التي تقع على يسار المحراب من الداخل، وكان هذا الباب مخصص لدخول الخليفة والإمام والخطيب. أما الواجهة الشمالية الغربية وهي من الحجر فإنه يقطعها مدخل بارز من الآجر، بها فتحة باب معقودة بعقد حدوة فرس مدبب ، تؤدي إلى صحن المسجد، وهذه الفتحة تقسم الواجهة إلى قسمين متساويين، وبالنسبة للواجهة الشمالية الشرقية فيوجد بها ثلاثة مداخل بارزة من الآجر، مستطيلة الشكل، تبرز عن سمت جدار الواجهة، ويفتح بكل كتلة بارزة مدخل معقود، يفضي المدخل الأول الذي يوجد يمين الواجهة، إلى الظلة الشمالية الشرقية . ويفتح كل من المدخل الثاني والثالث على ظلة القبلة، حيث يفضي إلى البلاطة الثانية، والمدخل الثالث إلى البلاطة الثالثة. في حين شغلت الواجهة الجنوبية الغربية ثلاث كتل بارزة، مستطيلة الشكل، تبرز كل منها عن سمت الجدار بمقدار 86 سم، يفتح المدخل

الأول على الظلة الجنوبية الغربية من الداخل، ويفتح كل من المدخل الثاني والثالث على ظلة القبلة(شكل 13) .



شكل (13) مسقط افقي للمسجد الجامع في تنملل .

وبالنسبة للمسجد من الداخل فيتكون من صحن مستطيل الشكل أبعاده 23.90×16.55م، يحيط به ثلاث ظلات أكبرها اتساعا وعمقا ظلة القبلة، التي تشرف على الصحن ببائكة من خمسة عقود أكثرها اتساعا وارتفاعا العقد

الأوسط، الذي يفضي إلى المحراب، وتتكون ظلة القبلة من تسع بلاطات، تفصل بينها ثمان بوائك، تتكون كل منها من أربعة عقود على شكل حدوة فرس مدبب(شكل13) .ويتوسط المحراب لجدار الجنوبي الشرقي، وهو عبارة عن حنية معقودة، وعلى جانبي المحراب مدخلان معقودان بعقد مستقيم ، الدخلة الأولى على يمين المحراب، تفضي إلى حجرة مستطيلة ذات سقف مقبى من الحجر، وهي مخصصة للمنبر بعد الانتهاء من الخطبة، أما الدخلة الثانية على يسار المحراب فإنها تفضي إلى دهليز منكسر ضيق مغطى بقبو. ويتخلل سقف المسجد ثلاث قباب، واحدة فوق مربعة المحراب ، كما توجد قبتان في ركني إسكوب المحراب .

وتطل الظلة الجنوبية الغربية على الصحن من خلال بائكة من أربعة عقود، محمولة على ثلاث دعائم مربعة القطاع. وتتكون هذه الظلة من إسكوبين غير متساويين، حيث أن الإسكوب المجاور للجدار الجنوبي الغربي أكبر اتساعا من الإسكوب الثاني الذي يشرف على الصحن. وتشرف الظلة الشمالية الشرقية على الصحن من خلال بائكة من أربعة عقود على شكل حدوة الفرس محمولة على ثلاث دعائم مربعة القطاع. وتنقسم هذه الظلة إلى إسكوبين غير متساويين في المساحة، حيث أن الإسكوب المجاور للجدار الشمالي الشرقي أكبر اتساعا من الإسكوب الذي يشرف على الصحن (شكل 13) .

ويلاحظ أنه لا يوجد بالمسجد الظلة الشمالية الغربية " المؤخر "؛ إذ أن هذا كان أسلوبا معماريا يميز عمارة الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن .أما صومعة المسجد فإنها تتوسط الواجهة الجنوبية الشرقية من الخارج خلف المحراب مباشرة، وهي بارزة عن سمت جدار الواجهة الرئيسية، وهي ذو قطاع مستطيل

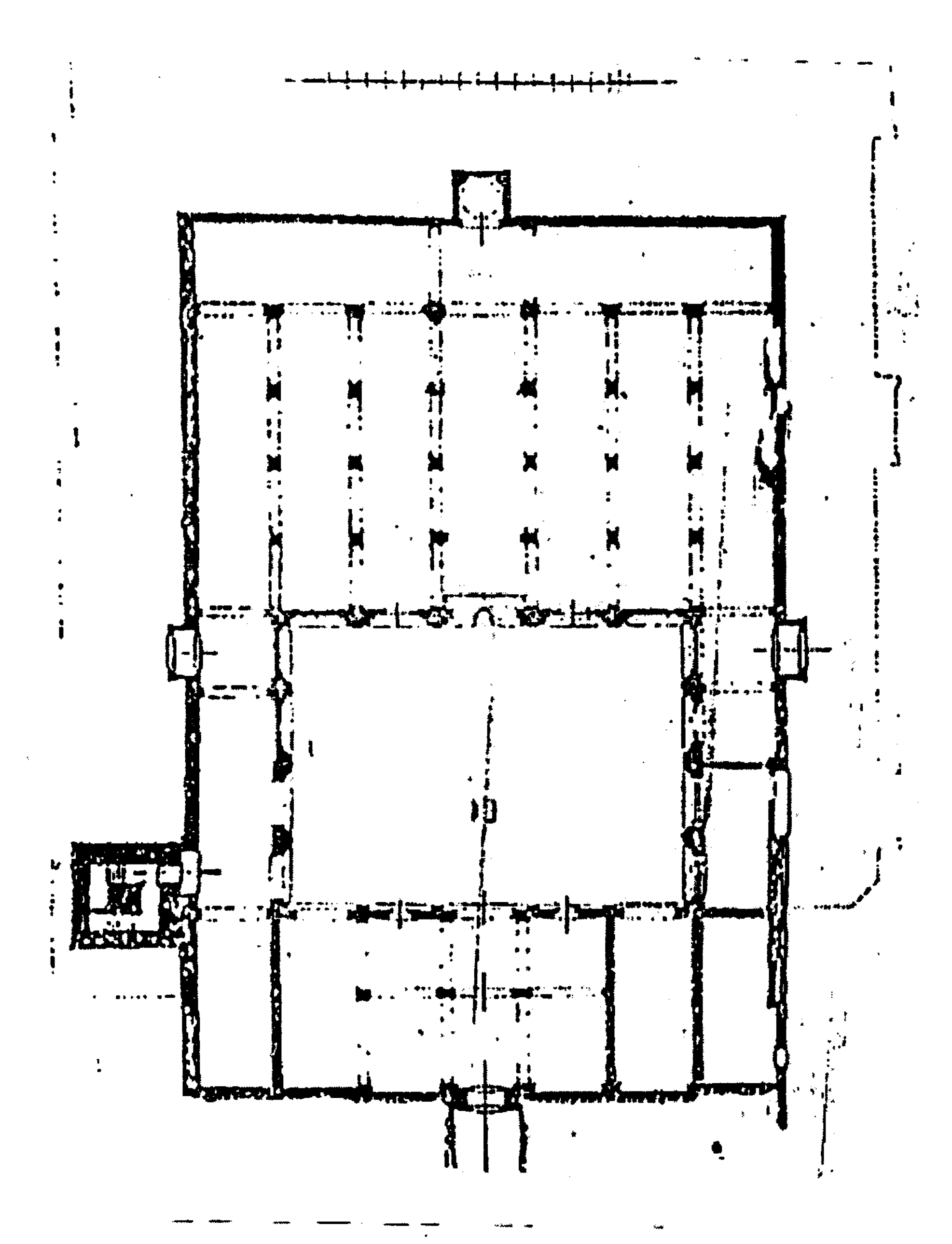
الشكل . وهذا الوضع بالصومعة يعد من الأمور التي نجد أمثلة قليلة جداً لها في عمارة بلاد المغرب، حيث أن المتبع أن تكون الصومعة في الجدار الشمالي الغربي مقابل المحراب .

جامع تازى

أسست مدينة تازى سنة 529هـ/1134م على أيدي السلطان الموحدى عبد المؤمن بن علي . كما أنشىء رباط تازى سنة 527هـ/1131م، وذلك لانها تمثل الطريق من المغرب الاقصى إلى المغرب الأوسط، الذي كان يحكمه المرابطون. ويوجد الجامع فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة. وشهد الجامع الصراع بين الموحدين والمرينيين، والذى انتهى باستيلاء المرينيين على المدينة عام 646هـ/1248م .

الوصف المعمارى :-

من خلال المسقط الأفقي الذى عمله " تيراس " يتضح أن تخطيط الجامع الموحدى كان يتكون من صحن أوسط مكشوف، مستطيل الشكل، أبعاده 14.30م× 20.40م، يلتف حوله ثلاث ظلات أكبرها ظله القبلة، التى توجد فى الجهه الجنوبية الشرقية، وتتكون من تسع بلاطات عمودية على الإسكوب الذى يتقدم المحراب. وكان هذا الإسكوب يعلوه ثلاث قباب واحدة فوق المحراب، وواحدة عند كل نهاية من نهايات الإسكوب. وتتكون ظله القبلة من تسع بلاطات متعامدة على جدار القبلة أكثرها إتساعاً البلاط الأوسط، وتتكون البوائك الثماني التى تفصل بين البلاطات من أربعة عقود، كل منها محمول على أربع دعامات من الآجر. وكما هو الحال فى المساجد الموحدية فإن العقود تنتهي عند الإسكوب الموازي لجدار القبلة، فيما عدا عقود البائكتين الجانبيتين، فإنها تمتد لتصل إلى جدار القبلة، وكذلك البائكتين على جانبي المحراب. وينتج عن ذلك مساحة مربعة غطيت كل منها بقبة(شكل14) .

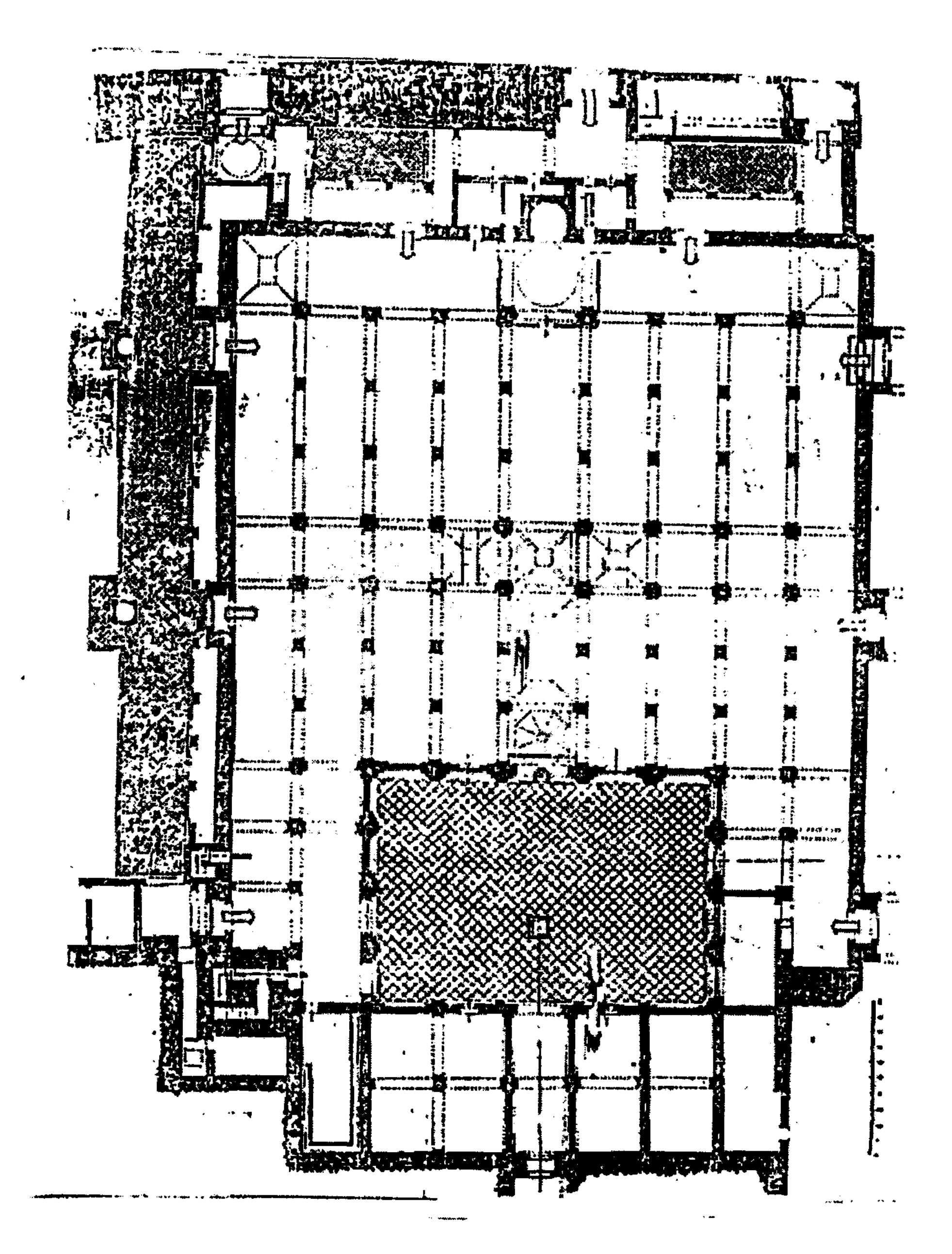


شكل (14) مسقط أفقي لجامع تازى الموحدي .

وقد أدت الزيادة التى تمت فى العصر المارينى إلى هدم القباب، ومد البوائك المتعامدة على جدار القبلة، إلا أن كوشات عقود الإسكوب الموازي المتبقى من الجامع الموحدى مازالت موجودة، وتحدد الجزء الموحدى من الزيادة المارينية بالجامع (شكل 15) .

أما الظلتان الجانبيتان فتطل كل منهما على الصحن من خلال بائكتين، كل منهما من أربعة عقود، وكانت بالجامع صومعة مربعة مبنية من الدبش. وتوجد فى الركن الغربى من الواجهة الرئيسية الشمالية الشرقية للجامع عند تقابلها مع الواجهة الشمالية الغربية . ويتخلل الجدران الثلاثة للصومعة فتحات ضيقة رأسية، كما توجد فتحات نوافذ، وتنتهي جدران الصومعة بشرفات مسننة، ويتوسط الجوسق الصومعة، ولكنه أقل اتساعاً عن بدنها. ويتوج الجوسق قبة مضلعة من الخارج يعلوها ثلاث تفافيح، كما ثبت فى أحد أركان الجوسق قضيب حديدى تعلق عليه راية وقت الأذان. وقد فتحت فى أحد اضلاع الصومعة من أعلى فتحة باب تؤدى إلى حجرة صغيرة مخصصة للمؤذن. وقد أجريت على الصومعة أعمال تجديد فى نهاية القرن العشرين.

كان يتخلل الواجهات الثلاث للجامع خمس فتحات أبواب، اثنان فى الواجهة الشمالية الشرقية، واثنان يقابلهما فى الواجهة الجنوبية الغربية، بينما يتوسط الواجهة الشمالية الغربية المواجهة لظلة القبلة فتحة باب على نفس محور المحراب. كما كان يوجد باب على يسار المحراب يؤدى إلى المقصورة مباشرة، كما هو المتبع فى معظم المساجد الموحدية .



شكل (15) مسقط أفقي لجامع تازى الموحدي والمريني .

وقد وضع ماسلو Maslow تخطيطاً مختلفاً لهذا الجامع ، حيث جعله من أربع ظلات بدلا من ثلاث، واختفت القباب التي تغطي إسكوب المحراب، كما جعل للجامع ثلاثة أبواب بدلا من خمسة، وجعل الصومعة بارزة عن سمت جدار الواجهة الشمالية الشرقية، كما ظهر فى تخطيطه عنصر "العنزة" فى البائكة التي تطل على الصحن (شكل 14).

وفى سنة 691هـ/1293م تمت إضافات على أيدي السلطان أبى يعقوب المرينى. وشملت مد البوائك التي تمتد عمودية على جدار القبلة بواقع أربعة عقود، مما أدى إلى زيادة عمق ظلة القبلة. وللتغلب على قلة الإضاءة والتهوية تم عمل صحن آخر أطلق عليه الصحن الصيفي. وقد ظهر هذا العنصر لأول مرة في جامع تازى . وبالتالي أصبحت ظلة القبلة من مساحة مستطيلة عميقة، قسمت بواسطة بوائك عمودية إلى تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها ثماني بوائك من عقود مدببة فى الجزء الموحدى، وهى أقل اتساعاً عن العقود التي أضيفت فى العصر المرينى.

وتطل ظلة القبلة على الصحن من خلال خمس فتحات عقود، الأوسط أكثرها اتساعاً، وتم حجـــب هذا الجزء بحجاب خشبي يعرف بالعنزة . ويقطع إمتداد العقود وجود إسكوبين يمتدان موازيان لجدار القبلة، إسكوب عند نهاية الجزء الموحدى، وإسكوب عند نهاية الزيادة المرينية من ناحية جدار القبلة. وقد نفذ هذا الإسكوب على نفس نظام الإسكوب الموحدى، حيث تعلوه ثلاث قباب واحدة فوق المحراب، وواحدة فى كل نهاية لإمتداد الإسكوب (شكل15).

ويرجع المنبر الموجود حالياً إلى العصر المرينى، غير أنه قد جرت عليه عدة إصلاحات فى فترات تالية أفقدته الكثير من معالمه الأصلية. كما كانت للجامع

مقصورة خشبية وضعت فى مواجهة المحراب، تؤدى إليها ثلاث فتحات أبواب، غير أنه تم رفعها من مكانها وتخزينها، وكذلك الحجاب الخشبى " العترة ". كما الحق بالجامع مصلى جنائزى موجود خلف جدار القبلة، ويتصل بالجامع عن طريق فتحتى الباب اللتين توجدان على جانبى المحراب [1].

([1]) للمزيد عن جامع تازى، انظر :

Maslow. B. : Les Mosquees de Fes et Noad de Maroc. Paris. 1934. pp. 6-31.

Terrasse.H : La Grande Mosquee de Taza. Paris . pp. 2-35 .

محمد محمد الكحلاوى (د) : مساجد المغرب الأقصى والاندلس فى عصر الموحدين ، ج1، القاهرة، د.ت. ص ص 69-102 .

جامع الكتبية في مراكش

كانت مراكش عاصمة المرابطين والموحدين، وفي عهد بني مرين إنتقلت العاصمة إلى فاس. وفي القرن 10هـ/16م أعاد السعديون العاصمة إلى مدينة مراكش .وتعرف مراكش بمدينة السبعة رجال وتربة الأولياء ، لأنه يوجد بها سبعة أضرحة تنسب إلى سبعة أولياء .

الوصف المعماري لجامع الكتبية الأول :

مر جامع الكتبية بعدة مراحل أكسبت الجامع فى كل مرحلة سماتاً مميزة. وفيما يتعلق بجامع الكتبية الأول، فقد أنشأه عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين، وذلك سنة 541هـ / 1146م ليكون إعلاناً لقيام دولة الموحدين. وهو ثالث الآثار المعمارية الموحدية الكبرى بعد جامع رباط تازى الذى أنشئ سنة 527هـ/1133م، وجامع تنملل الذي أنشئ سنة 541هـ/1146م. وقد أشرف على بناء جامع الكتبية أبو الليث الصفار، وأبو الحسن علي بن أبي حفص، وعمر بن عبد المؤمن . ولم يبق من جامع الكتبية الأول إلا أجزاء من جدار القبلة والجدار الشمالي الشرقي . وقد قام ج . موني G.Munie بحفائر فى موقع جامع الكتبية الأول، وأمكن من خلالها التوصل إلى بعض الحقائق عن تخطيط الجامع ويمكن إجمالها فيما يلى :-

ـــ أنه كان للجامع أربعة مداخل موزعة على إمتداد الجدار الشمالي الشرقي، ثلاثة منها تفتح على ظلة القبلة، والرابع يفتح على الظلة الشمالية الشرقية. وتبعاً لما هو معمول به في مساجد الموحدين من الحفاظ على التماثل فى

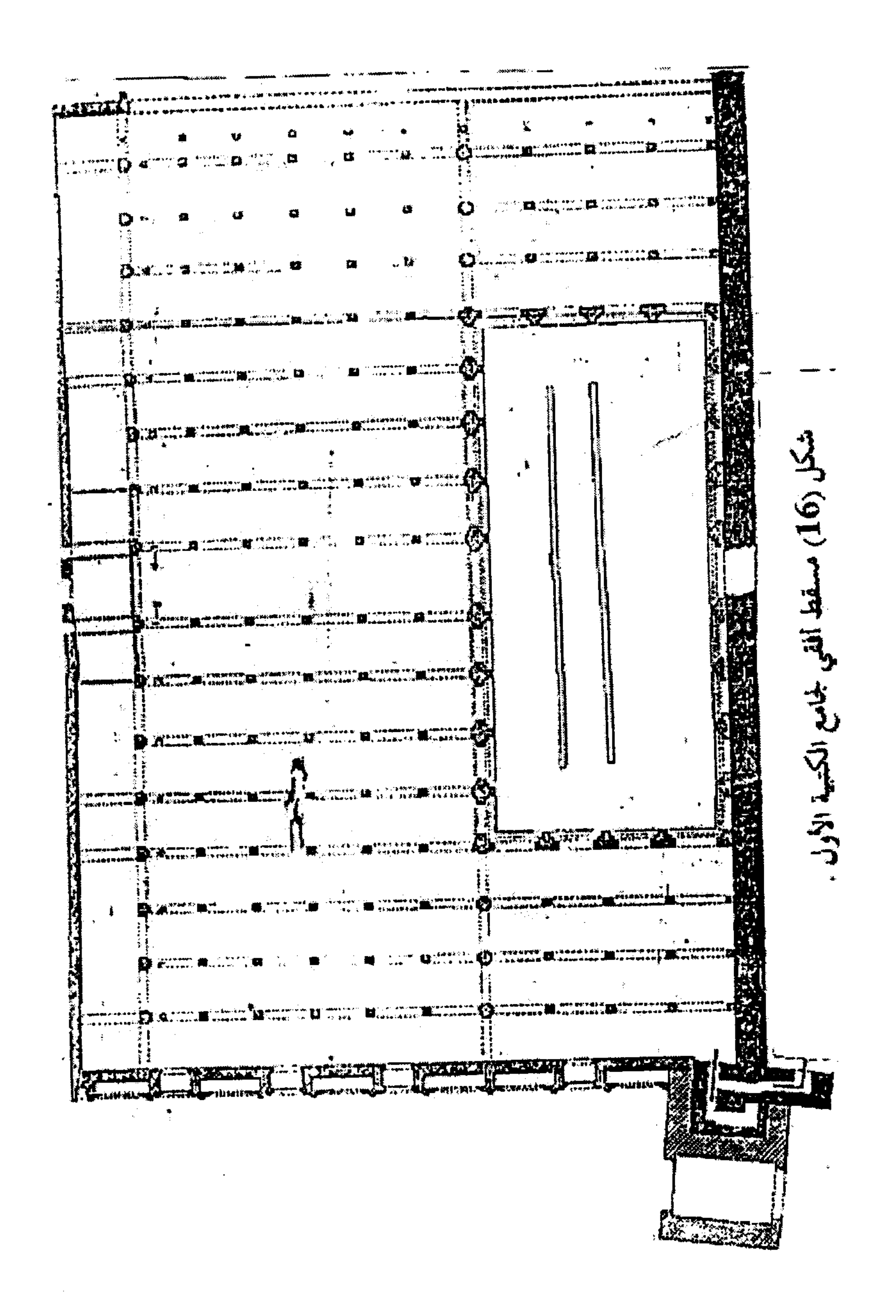
توزيع العناصر لذلك فإنه من المرجح أنه كانت هناك أربعة مداخل أخرى فى الجدار الجنوبى الغربي مقابلة للمداخل الأربعة السابقة .

ـــ أنه كان يوجد باب فى منتصف الجدار الشمالي الغربي يقابل المحراب، وعلى نفس محوره .

ـــ أن الجامع كان يتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل، تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة. ويتوسط الصحن فوارة، كما يوجد فى أرضية الصحن صهريجان .

ـــ أن ظلة القبلة تتكون من مساحة مستطيلة مقسمة إلى سبع عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها ست عشرة بائكة، تتكون كل منها من ستة عقود، لا تصل إلى جدار القبلة إلا فى الاجزاء التي تغطيها قباب، حيث يوجد إسكوب متسع موازي للمحراب، يتوزع على إمتداده خمس قباب، واحدة فوق المحراب وعلى كل جانب منها قبة أخرى، وفى نهاية الإسكوب من كل ناحية توجد قبة .

ـــ أنه توجد على كل جانب من جوانب المحراب حجرة، إحداهما مخصصة للمنبر فى غير وقت الجمعة، والأخرى مخصصة للخطيب (شكل 16، 18).



شكل (16) مسقط الفقي جامع الكتبية الأول.

ـــ أن المحاريب عبارة عن تجويف معقود يتوسط جدار القبلة .

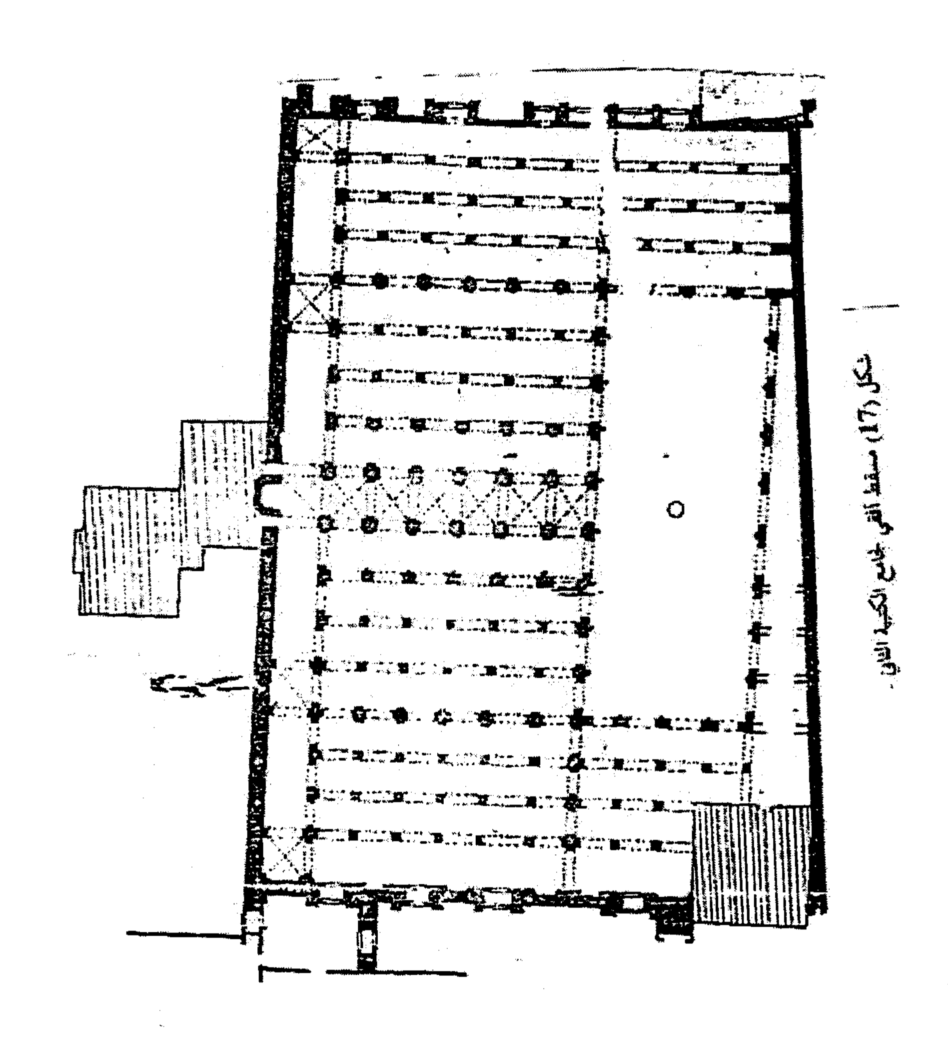
ـــ عندما تم بناء جامع الكتبية الثانى تم عمل عشر فتحات في جدار القبلة، يدخل منها إلى الإضافة التي تمت فى الجامع الجديد .

ـــ أن ظلة القبلة تفتح على الصحن من خلال تسع فتحات عقـــود، أكثرهـــا اتساعاً الوسطى منها .

ـــ أنه كان للجامع مقصورة متسعة، مكونة من ستة أضلاع، تخرج من الأرض بطريقة ميكانيكية . وقد صنع هذه المقصورة صانع أندلسي من مدينة مالقة، كما أن المنبر تم صنعه بمدينة قرطبة في الاندلس، وذلك حسبما تنص الكتابة المسجلة عليه، والتي تتضمن اسم يوسف بن تشفين، مما يدل على أن هـــذا المنبر صنع فى الأساس للجامع المرابطي، ثم نقل إلى جامع الكتبية .

ـــ تتكون كل من الظلتين الجانبيتين من أربع بلاطات متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها أربع بائكات من عقود، تتكون كل منها من أربعة عقود .

ـــ أن عبد المؤمن عندما بنى هذا الجامع اتخذ من برج الجامع المرابطي صـــومعة لجامعه. وكانت هذه الصومعة قائمة حتي بداية القرن 13هـــ/19م . وكان هذا البرج يجاور صومعة جامع الكتبية الثانى .



شكل (17) مسقط أفقي جامع الكتبية الثاني.

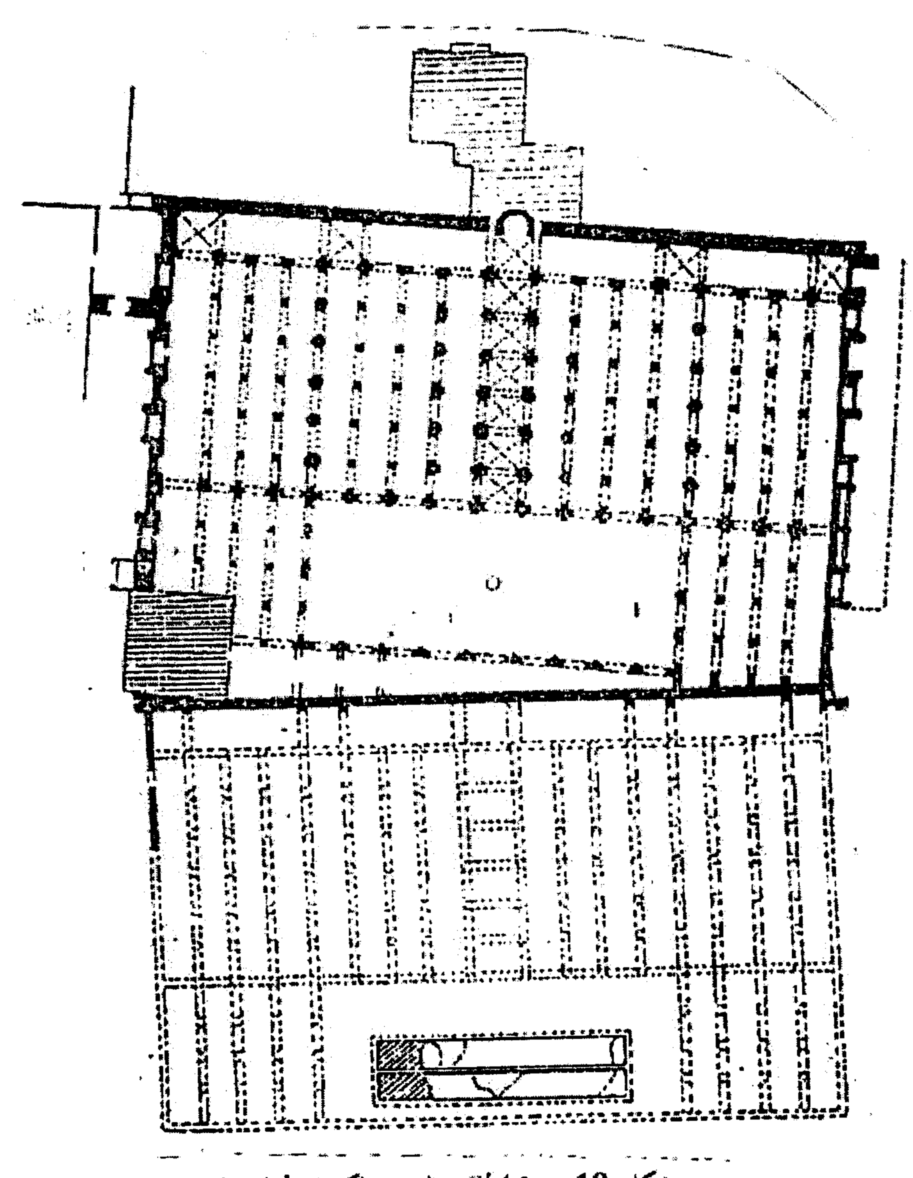
جامع الكتبية الثاني

بناه عبد المؤمن ملاصقاً لجامعه الأول من الجهة الجنوبيـــة، وذلـــك فى النصف الأول من القرن 6هـ/12م، ثم أكمل بنائه ابنه أبي يعقوب يوســـف. وقد اختلفت الآراء حول بناء هذه الإضافة، ويرجع المؤرخ المقري فى كتابـــه " نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب " سبب هذه التوسعة إلى الإحتفال بقدوم مصحف عثمان -الذى كان محفوظاً فى قرطبة- بالاندلس إلى مراكش، وذلـــك فى سنة 552هـ/1158م . ولكن ج . موني G.Munie يرجع الـــسبب إلى زيادة عدد سكان مدينة مراكش حتى ضاق بهم الجامع الأول، بالإضافة إلى ما إعتاد عليه السلاطين من إقامة المساجد تخليداً لذكراهم. وهناك مـــن يرجـــع سبب تشييد الجامع الجديد إلى انحراف قبلة الجامع الأول، ولكن هذا الأمر غـــير مقبول، حيث أنه عندما تم عمل التوسعة الجديدة وتم فتح عشر فتحات فى جدار القبلة الأول بقي المحراب على ما هو عليه ، ولو كان به إنحراف لتم اســـتبداله بفتحة مثل الفتحات العشر التي تم إحداثها فى جدار القبلة .

الوصف المعمارى لجامع الكتبية الثاني :

وصف الرحالة " الوزان" فى القرن 10هـ/16م الجامع، وقارن بينه وبين كنائس إيطاليا التي زارها سواء كان ذلك من حيث التكوين المعماري أو شكل الصومعة. أما عن الوصف الحالي للجامع فإنه يتكون من صحن أوسط مكشوف تتوسطه فوارة، وتحيط به أربع ظلات أكثرها اتساعاً ظلة القبلة، وتشغل مساحة مستطيلة عرضها 95.30م وعمقها 39.50م. وتنقسم إلى

سبع عشرة بلاطة متعامدة على إسكوب المحراب، تفصل بينها ست عشرة بائكة من العقود (شكل17، 18) .



شكل (18) مسقط أفقي لجامعي الكتبية الأول والثاني .

وكما أن إسكوب المحراب أكثر إتساعاً عن بقية البلاطات، كذلك فإن البلاط الأوسط أكثر اتساعاً عنها، كما أن عقد البلاط الأوسط المطل على الصحن عقد مفصص من خمسة عشر فصاً مخالفاً بذلك بقية عقود بيت الصلاة المدببة والمنتفخة. وتشرف ظلة القبلة على الصحن من خلال تسع فتحات عقود، تتميز البلاطة الوسطى والبلاطة التي على جانبها من كل ناحية بأنها مكونة من بائكات موازية ومتعامدة .

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية عميقة مرتفعة، معقودة بعقد حدوة فرس، يستند فى كل جانب على ثلاثة أعمدة رخامية مجزعة بالأحمر والأخضر، ويغطي تجويف المحراب قبيبة ، ترتكز على حطات من مقرنصات، كما يشتمل تجويف المحراب على زخارف ضمنها شريط كتابي يتضمن البسملة والصلاة على الرسول وآله وصحبه، يعلوه شريط زخرفي؛ عبارة عن بائكة من عقود صماء. وعلى جانبي المحراب توجد دخلتان إحداهما مخصصة للمنبر، أما الثانية فإنها تؤدى إلى الإضافة التي أحدثت بالجامع، وعلى جانبى هذه الدخلات، وكذلك في الضلع الشمالي الشرقي لظلة القبلة كتبيات .

ويغطي إسكوب المحراب خمس قباب، واحدة فوق مربعة المحراب، وواحدة على كل جانب منها، بينما يغطي كل ركن من الإسكوب قبة. وهي قباب ترتكز على مناطق إنتقال مقرنصة، ولكن مناطق الإنتقال تلك لا تظهر من الخارج. أما بقية ظلة القبلة فإنها مغطاة بسقف جمالوني من الخشب، يعلوه طبقة من القرميد، وذلك فيما عدا البلاطة الوسطى، والبلاطتين على جانبيها فإنها جميعاً مغطاة بأسقف هرمية. ويقابل ظلة القبلة الظلة الشمالية الغربية التى تمتد

بوائكها فى صفين، أحدهما مواز، والآخر متعامد، ولكن العقد الأوسط منها أكثر إتساعاً على نفس شكل ومحور بلاطة المحراب. وسقف هذه الظلة مجدد .

وتشرف الظلة الشمالية الشرقية على الصحن من خلال أربع فتحات عقود مدببة، تسير عمودية على الإسكوب العرضي، الذي يفصل بين هذة الظلة وظلة القبلة. وتشغل الصومعة جزءاً من هذه الظلة، كما تشغل السقاية جزءاً منها. وكذلك فإن الظلة الجنوبية الغربية تشرف على الصحن من خلال أربع فتحات عقود مدببة .

وتتخلل كل من الواجهة الشمالية الشرقية والواجهة الجنوبية الغربية أربع فتحات أبواب بارزة عن سمت الجدران، لكنها أكثر بروز فى الواجهة الجنوبية الغربية، بينما تتميز الواجهة الشمالية الشرقية بوجود الصومعة والسقاية "السبيل"، وهو عبارة عن فتحة معقودة تؤدي إلى حيز مربع، تتوسط أرضيته فتحة صهريج للمياه، يتصل بقناة قليلة العمق تنتقل إليها المياة من الخزانات التى توجد أعلى ظلات الجامع، كما تنتقل المياه منه إلى دورات المياه بالجامع عبر أنابيب فخارية مغيبة فى الجدران.

الصومعة :-

تعد من أجمل مآذن المغرب العربي، وتتكون من قاعدة مربعة، تؤدي إليها فتحة باب فى الظلة الشمالية الشرقية، ويؤدي الباب إلى ممر صاعد مغطى بقبو نصف برميلي، ويقطع امتداد هذا الممر ست حجرات صغيرة مربعة، موزعة على ارتفاعات مختلفة بعضها مغطى بقبو مروحى أو قبة مخروطية أو قبة ضحلة. وينتهي البدن بشرفة تنتهي حافتها العليا بشرافات مسننة، ويتوسط الشرفة جوسق مربع أقل إتساعاً عن بدن الصومعة تغطيه قبيبة صغيرة. ويبلغ إرتفاع

الصومعة 56.40م . ويتخلل جدرانها فتحات معقودة بعقود حدوة فرس مدببة أو عقود مفصصة. وينتهي البدن بشريط كتابي، كما فتحت فى أضلاع الجوسق فتحات معقودة مغشاة بقمريات [1].

وقد شيد هذه الصومعة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن . ويقال عنها أنها " العلم في الغلاة ، ومترلتها بين الصوامع مترلة والي الولاة " .

---

[1] عن مسجد الكتبية الأول والثانى ، أنظر ، محمد محمد الكحلاوى (د) : مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، ص ص 137-210 .

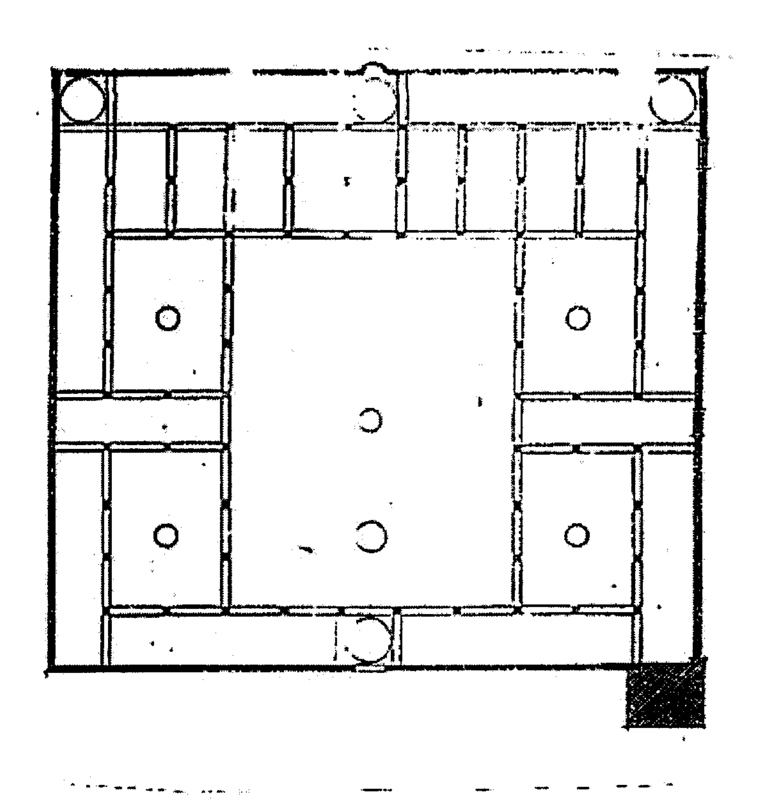
مسجد قصبة مراكش

بعد أن ضاقت مدينة مراكش بالسكان، قام المنصور يعقوب بإنشاء قصبة تتصل بالمدينة، وأنشأ بها جامعاً، وذلك سنة 591هـ/1195م.

الوصف المعماري للمسجد :

تؤدي إلى داخل المسجد فتحات أبواب في كل من الواجهة الجنوبية الغربية، وهي الواجهة الرئيسية للمسجد، حيث أنها مقسمة إلى اثنتي عشرة دخلة حائطية معقودة، فتحت في كل من الدخلات الرابعة والسادسة والثامنة ثلاث فتحات أبواب، كما تنقسم الواجهة الشمالية الغربية إلى عشر دخلات معقودة، ويشغل كل منها فتحة باب، تعلوها فتحة نافذة .

يتميز هذا المسجد بتعدد صحونه، حيث أنه إلى جانب الصحن الأوسط توجد أربعة صحون، اثنان تطل عليهما الظلة الشمالية الشرقية، واثنان تطل عليهما الظلة الجنوبية الغربية، بينما تشرف على الصحن الأوسط كل من ظلة القبلة وظلة المؤخر .تتكون ظلة القبلة من مساحة مستطيلة تنقسم إلى إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، أكثرها اتساعاً البلاط الأوسط، وتشرف ظلة القبلة على الصحن من خلال خمسة عقود، كما يوجد عقدان يشرفان على كل صحن من الصحون الجانبية (شكل19).



شكل(19) مسقط أفقي لجامع القصبة في مراكش .

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن دخلة عميقة متسعة تأخذ الشكل المثمن، وعلى جانبي المحراب فتحتي باب إحداهما مخصصة لغرفة المنبر، بينما الأخرى لدخول الخليفة إلى المقصورة .

ويغطي ظلة القبلة سقف مسطح تبرز عنه أربع قباب، ثلاث منها على إسكوب المحراب، حيث يغطي مربعة المحراب قبة، كما يوجد على نهاية الإسكوب من كل جانب قبة. وتقوم القبة الرابعة على المربعة الأخيرة من البلاط الأوسط من ناحية الصحن .

وتشرف ظلة المؤخر على الصحن من خلال خمس فتحات عقود أكبرها اتساعاً العقد الأوسط . وتشرف الظلتان الجانبيتان على الصحون الجانبية من خلال سبع فتحات عقود أكثرها اتساعاً الوسطى منها، كما تشرف على الصحن الرئيسي من خلال ممر .

توجد الصومعة في الركن الغربي من الواجهة الجنوبية الغربية، وهي صومعة مربعة القطاع على نفس طراز مآذن بلاد المغرب والأندلس .

الفصل الخامس

عمارة المدرسة

في بلاد المغرب

تاريخ نشأة المدارس في بلاد المغرب :

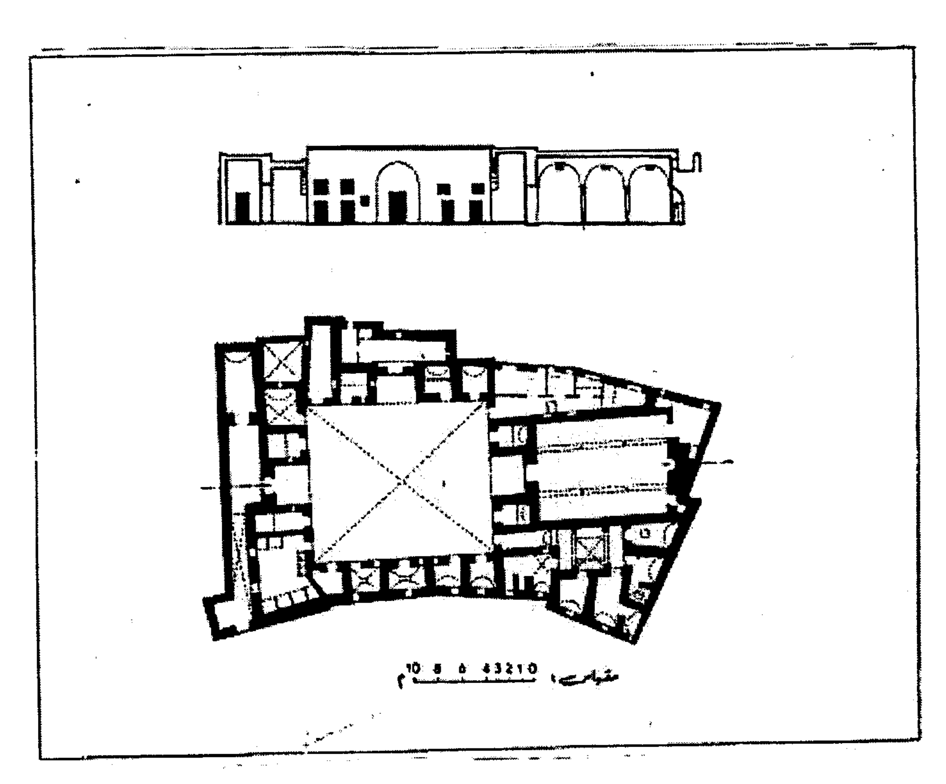
ظهرت المدارس في شرق العالم الإسلامي قبل ظهورها في غربه. وتعد المدرسة البستية التي انشأها أبو حاتم البستي سنة 345هـ/956م بمدينة بست من أقدم المدارس كمنشأة معمارية تختص بالتعليم ، وتتوفر فيها المقومات الأساسية للمدرسة، وذلك من حيث وجود أماكن لإقامة الطلاب، وتخصيص رواتب وجرايات عليهم .

وقد انتشرت المدارس بعد ذلك في أماكن عديدة من شرق العالم الإسلامي بغرض مقاومة المذهب الشيعي، ونشر المذهب السني . ومن أهمها المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك، وزير الملك السلجوقي ملكشاه، وعلى رأسها المدرسة النظامية في بغداد التي ترجع إلى سنة 459هـ/1066م . وانتقلت المدارس إلى مصر ومن أقدمها المدرسة العوفية التي انشأها رضوان بن الولخشي ، ومجموعة المدارس التي انشأها صلاح الدين الأيوبي عندما كان وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، وكذلك بعدما آل إليه ملك مصر .

أما في غرب العالم الإسلامي فقد وردت أقدم إشارة للمدارس في ليبيا فيما أورده العبدري فى رحلته في القرن 7هـ/13م ، وهي المدرسة المنتصرية أو المستنصرية التي أنشأها السلطان الحفصي محمد المستنصر بن السلطان أبو يحيى زكريا . ويبدو أن هذه المدرسة كانت على درجة من الرونق والبهاء ، حيث أن العبدري الذي تحامل على أهل طرابلس ، و لم يثن على أي شيء بها قد امتدح مدرستها وجامعها حيث قال " لم ارى بها ما يروق العيون ، وسما عن أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصنعة نصيباً ومن الإتقان سهما مصيباً " .

وإذا كان لم يتبق من هذه المدرسة شيء يمكن الإستدلال منه على طراز تخطيطها ومكوناتها المعمارية ، إلا أننا يمكن معرفة بعض من ذلك عـن طريـق مقارنتها بالمدرسة المنتصرية أو المستنصرية في مدينة تونس، والتي أقامها نفـس السلطان وفي نفس الفترة .

أما عن إفريقية (تونس) فقد عرفت المدارس قبل ليبيـا، حيـث أنـشأ السلطان الحفصي أبو يحيى زكريا بـن حفـص مدرسـة الـشماعين سـنة 635هـ/1237م ، كما أنشأت الأميرة عطف أم السلطان محمد المستنـصر مدرسة الهواء في منتصف القرن 7هـ/13م، كذلك أنـشأ الـسلطان محمـد المستنـصر المدرسـة المستنـصرية ، وذلـك في الفتـرة مـا بـين 647-675هـ/1247-1277م . ويظهر من تخطيط هذه المدرسة أنهـا كانـت تتكون من ممر يؤدي إلى باب يدخل منه إلى صحن المدرسة الذي يوجـد بـه حوض للوضوء، كما يلتف حول الصحن الوحدات المكونة للمدرسة ، وهـي عبارة عن غرف الطلاب في أربعة أضلاع . وفي الضلع المقابل لباب الـدخول توجد قاعة مخصصة للدرس، ومصلى . وفي أحد أركان المدرسة يوجد فناء آخر صغير تتجمع حوله الوحدات الخدمية للطلاب مثـل دورات الميـاة والمطـبخ (شكل20) .



شكل(20) مسقط أفقي للمدرسة المستنصرية في تونس .

ولعله يتضح من هذا التخطيط الفارق بين تخطيط المدرسة في شرق العالم الإسلامي وغربه، حيث تقتصر المدرسة في غرب العالم الإسلامي على قاعة واحدة للدرس، وذلك نظراً لأن التدريس كان يقتصر على تدريس مذهب واحد، وهو المذهب المالكي.

وقد تبقت من نماذج عمارة المدرسة في المغرب الأوسط " الجزائر" مدرسة العباد بمدينة الجزائر والتي أقامها السلطان أبو الحسن المريني سنة 738هـ/ 1337م. ويعتمد تخطيطها على عنصر الفناء الأوسط تحيط به بوائك من أربع جهات، وقد وضعت خلاوي الطلاب خلف كل من البائكتين الشرقية

والغربية في طابقين وعددها اثنتا عشرة خلوة في كل طابق، بينما يقابل بيت الصلاة المدخل وهو عبارة عن مساحة مربعة مغطاه بقبة.

أما عن المدرسة في المغرب الأقصى فقد ذكر بن مرزوق في مسنده أن المدارس لم تكن معروفة في الغرب حتى أنشأ أبو يعقوب يوسف المريني مدرسة الحلفائيين أو الصفارين في فاس ، وكان ذلك سنة 670هـ/1271م[1] . إلا أن هناك رأي بأن بلاد المغرب الأقصى عرفت المدارس منذ عصر الموحدين، وذلك اعتماداً على نص تحبيس يشير إلى وقف على المدرسة التي بناها الخليفة عمر المرتضى في مراكش في القرن 6هـ/12م . وقد أورده محمد بن عيسى محمد القرطبي المتوفى سنة 620 هـ /1221م ونصه " الأمير المجاهد في سبيل الله أبي عبد الله سيدنا ومولانا المجاهد في سبيل الله أبي حفص بن سيدنا الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين وأبقى بركاتهم على المدرسة الواقعة بقصر مراكش ". ولكن يبدو أن هذا الأمر يحتاج إلى إعادة نظر ، حيث أن الأمير عمر المرتضى لم يتولى خلافة الموحدين إلا بعد مقتل المعتضد بن المأمون، وكان ذلك سنة 646هـ/1247م، واستمر ذلك إلى سنة 665هـ/1266م . ويذكر ابن أبي زرع في أخبار يعقوب المنصور عبد المؤمن الموحدي المتوفى سنة 595هـ/1199م أنه أنشأ المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس ، وقد يكون ذلك صحيحاً لأن الموحدين كانوا أصحاب دعوة تعتمد بشكل أساسي على التقرب إلى الناس عن طريق النواحي الدينية ، كما اعتمدت الدولة الموحدية على فئة الطلاب في نشر دعوتهم الشيعية، وجعل عبد المؤمن التعليم إجبارياً، ولذلك ليس من المستبعد أن يكونوا قد انشأوا المدارس ، خاصة وأن الموحدين

(1) عبد العزيز الدولاتلي: المرجع السابق، ص **139**.

قد أنشأوا العديد من المنشآت التي كانت تتسم بالفخامة مثل القصور والبيمارستان، الذي ذكر المراكشي في كتابه " المعجب " أنه ليس له مثيل في الدنيا . ومما يذكر في ذلك أيضا أن المهدي ابن تومارت كان قد تعلم في المدرسة النظامية في بغداد ، ولابد أنه عندما عاد إلى بلاد المغرب قد انشأ مدارس مشابهة لنشر المذهب الأشعري [1] . ومن أشهر المدارس في المغرب الأقصى المدرسة البوعنانية، التي انشأها الأمير أبو عنان فارس بن أبو الحسن الماريني في مدينة فاس، وذلك سنة 750هـ/1349م، كما أتم بناء المدرسة العنانية التي كان قد بدأ السلطان أبو الحسن الماريني بناؤها بمدينة فاس .

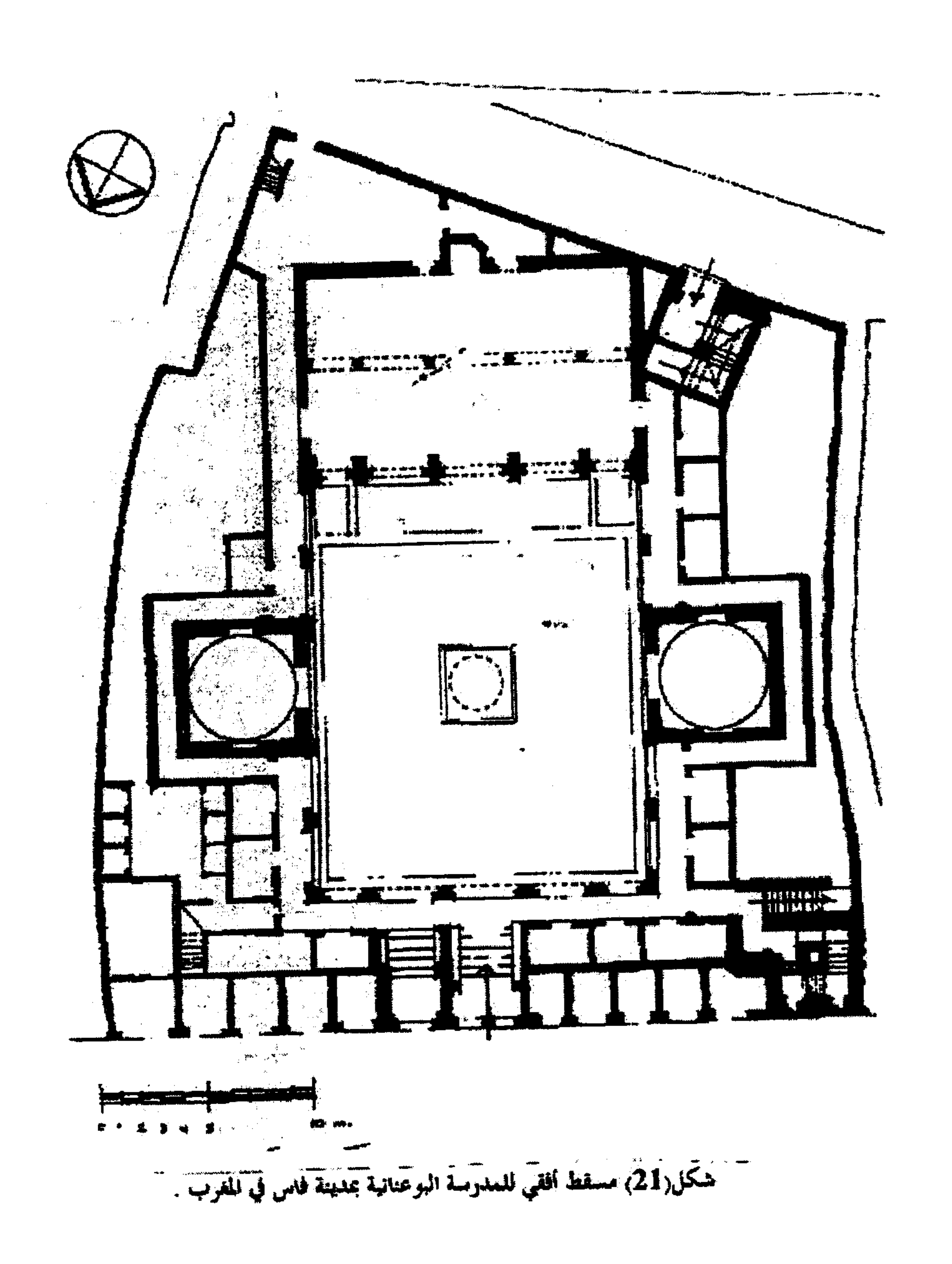
وتتكون المدرسة في المغرب الإسلامي بشكل عام من صحن أوسط مستطيل، وفي أحد الضلعين القصيرين منه توجد قاعة الدرس، بينما توجد في الضلعين الطوليين خلوات الطلاب. ويشتمل الصحن في الغالب على حوض للوضوء. كما تميزت المدارس المغربية بتعدد الصحون لتوزيع خلاوي الطلاب حولها، ومن أمثلتها مدرسة أبو الحسن بمراكش. وقد ظهرت في بعض مدارس المغرب عنصر البلاط الأوسط الأكثر اتساعا عن بقية البلاطات. ومن أمثلة ذلك مدرسة أبي يوسف في مراكش، حيث ينقسم بيت الصلاة إلى ثلاث بلاطات متعامدة على جدار القبلة أكثرها اتساعا البلاط الأوسط.

ومما تمتاز به المدرسة البوعنانية أنها تشتمل على صومعة ومنبر ، كما تشتمل مدرسة الصفارين 675هـ/1276م على صومعة تقع فوق كتلة

([1]) بن عاشور، الفاضل : أثر الحفصيين في إنشاء المدارس في المغرب، الجزء الأول، تونس — فاس، 1945 .

المدخل مباشرة متأثرة في ذلك بالمدارس المشرقية [1] ، كما أن المدرسة البوعنانية هي الوحيدة التي اشتملت على قاعتين للدرس، واحدة للحديث الشريف، والأخرى للمذهب المالكي(شكل 21).

[1]) محمد محمد الكحلاوي (د) : المدارس المغربية . دراسة أثرية معمارية . مجلة العصور . المجلد السادس . الجزء الأول . 1991 م . ص ص 87 – 90 .



شكل(21) مسقط أفقي للمدرسة البوعنانية بمدينة فاس في المغرب .

وقد ظهر البلاط الأوسط الأكثر اتساعا في بعض مدارس المغرب ومن أمثلة ذلك مسجد مدرسة أبو الحسن في مراكش 747هـ/1346م. وفي مدرسة أبي

يوسف في مراكش حيث ينقسم بيت الصلاة إلى ثلاث بلاطات متعامدة على جدار القبلة أكثرها اتساعا البلاط الأوسط.

ومن مميزات المدارس المغربية بصفة عامة :-

ــ اشتمالها على مدخل واحد فيما عدا مدرسة الشراطين بمدينة فاس القديمة، التي أنشأها مولاي الرشيد، أول سلاطين الدولة العلوية، سنة 1081هـ/1669م ، وتشتمل على ثلاثة مداخل [1] .

ــ لم تشتمل المدارس المغربية على ضريح المنشيء أو حوش جنائزي للدفن على عكس ما كان عليه الحال في مدارس مصر وبلاد الشام ، وكذلك المدارس السلجوقية ، التي اشتملت في معظمها على قبة ضريحية [2] .

ــ وجود صهريج أو حوض للمياه في وسط الصحن .

ــ تحتفظ بعض المدارس بساعات دقاقة ومن ذلك : الساعة التي توجد في المدرسة البعنانية ،التي صنعها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني سنة 758هـ/1356م [3].

---

[1] محمد محمد الكحلاوي (د) : : المدارس المغربية. ص 110 .

[2] محمد محمد الكحلاوي (د) : نفس المرجع . ص 90 .

[3] عن طراز المدارس وتخطيطها في بلاد المغرب ، أنظر : محمد محمد الكحلاوي ، عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري، "كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب" القاهرة، 1999، ص ص 599- 638.

طراز المدرسة في بلاد المغرب

في العصر العثماني

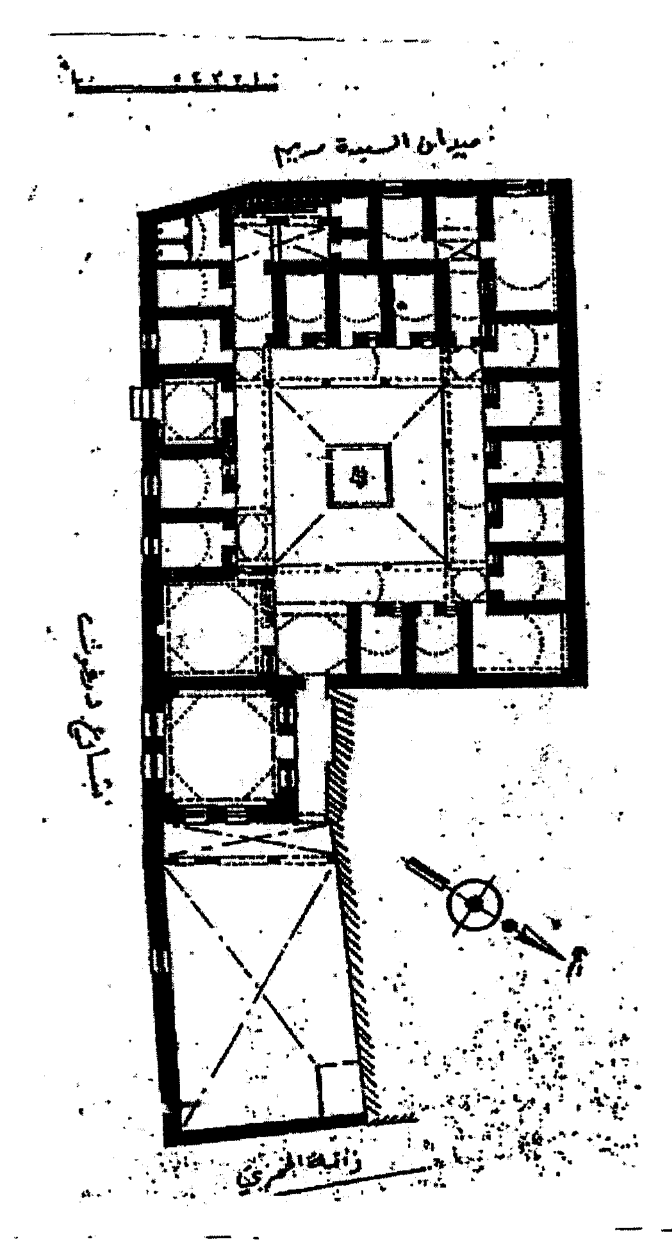
مدرسة عثمان باشا الساقزلي بمدينة طرابلس الغرب :

تعد من افخر المنشئات المعمارية بمدينة طرابلس الغرب . وقد أنشأها عثمان باشا الساقزلي والي طرابلس من قبل الدولة العثمانية سنة 1064هـ/1653م. وتقع في شارع دارغوت باشا ، كما تطل واجهتها الجنوبية الغربية على ميدان مريم .

الوصف المعماري :

يؤدي إلى مبنى المدرسة مدخل معقود بعقد نصف دائري في الواجهة الجنوبية الشرقية للمدرسة . ويعلو المدخل لوحة تأسيسية تشتمل على إسم المنشئ وتاريخ الإنشاء ، وهو غرة ذي القعدة سنة 1064هـ(1653م) . ويؤدي هذا المدخل إلى دركاه مربعة يكتنف كل جانب من جوانبها جلسة " مصطبة " ، وتعغطيها قبة قطعها مدبب . وتفضي هذه الدركاه إلى وحدات المدرسة التي تتكون من صحن أوسط مكشوف يتوسطه حوض مياه ويحيط بالصحن رواق من أربعة جهات يتكون في كل جهة من بائكة من ثلاثة عقود محمولة على أعمدة ، معظمها ذات تيجان حفصية الطراز . ويدخل من هذا الرواق إلى خلوات الطلاب وهي أربع عشرة خلوة يغطي كل منها قبوٌ طولي كما يوجد بيت الصلاة عند نهاية الرواق الجنوبي الشرقي ، وهو عبارة عن قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها خمسة أمتار ويغطيها قبة تتميز بظهور رقبتها التي تنقسم

إلى ستة عشر جزءاً كما يتميز ظاهر القبة بأنه مضلع من ستة عشر ضلعاً أيضاً ويعتبر هذا النموذج الأول للقباب المضلعة في عمائر مدينة طرابلس الغرب في العصر العثماني ، حيث أن الشائع إستخدام القباب التي لاتظهر رقابها من الخارج كما أن ظاهرها يكون أملساً . وتتشابه مع هذه القبة قبة الضريح الذي يجاور المسجد ، وهو عبارة عن قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ستة أمتار ولا تختلف قبتها عن قبة بيت الصلاة إلا في أنه قد وضع على قضبها عمامة شبيهة تماماً بالعمامة التي تعلو شواهد القبور، وذلك للدلالة عى أن هذا الجزء ضريح(لوحة 16).كما يجاور الضريح حوش دفن مكشوف. ويدخل من الرواق الشمالي الشرقي ، وكذلك الرواق الجنوبي الغربي إلى ملحقات المدرسة، وتشمل دورات المياه والمطبخ وحواصل لخزن حاجيات الطلاب (شكل 22).



شكل (22) مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقزلي بمدينة طرابلس الغرب .

ومن الملاحظ من خلال دراسة هذا النموذج أن هناك إختلاف في طراز تخطيط المدرسة في غرب العالم الإسلامي إبان العصر العثماني ، مختلفاً بذلك عما كان عليه طراز المدرسة من قبل. ومن هذه الإضافات إلحاق الأضرحة وأحواش الدفن ، وفي التغطية بالقباب. كما أن طراز تخطيط هذه المدرسة بشكل عام متأثر بتخطيط الطراز الثاني من المدارس السلجوقية ، ومن أمثلتها مدرسة "زينجرلي" في ديار بكر 592هـ/1198م، ومدرسة "هفت منار " بقيصرية 602هـ/1205م ، ومدرسة "هفت منار " بسيواس 614هـ/1217م . ومن أمثلته في المدارس العثمانية مدرسة " السلطان بايزيد الأول في الطابق الأعلى لجامع هدى فيندجار ببورصة 803هـ/1400م ، والمدرسة الخضراء ببورصة 825هـ/1412م [1] .

(1) أنظر : صلاح أحمد البهنسي (د) : طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني . دار الآفاق العربية . القاهرة . 2004. ص 73.

الفصل السادس

التأثيرات في عمارة بلاد المغرب

أولاً: التأثيرات الأندلسية :

التأثيرات الأندلسية في عمارة المغرب الأقصى :

كانت العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد الأندلس وثيقة في معظم فترات التاريخ، وبصفة خاصة في الفترة الأخيرة من حكم الدولة الأموية بالأندلس، وقد أدى ذلك إلى انتقال العديد من التأثيرات الأندلسية إلى عمارة بلاد المغرب، وأصبح هذا الأمر أكثر ظهوراً في فترة حكم ملوك الطوائف . و لم يقتصر انتقال التأثيرات على وجود علاقات بين بلاد المغرب والأندلس، بل امتد ذلك إلى ما بعد فترة سقوط المدن الأندلسية المختلفة في أيدي الأسبان، ومن ذلك على سبيل المثال أنه عندما سقطت غرناطة سنة 898هـ/1492م انتقلت مجموعة كبيرة من سكان غرناطة إلى بلاد المغرب، وانتقلت معهم بالتالي التأثيرات المعمارية والفنية. ويذكر الإدريسي أن علي بن تاشفين المرابطي أحضر من الأندلس مجموعة من المهندسين لبناء جسر على وادي "تانسيفت". كما تتجلى التأثيرات الأندلسية بوضوح في قبة البورود‌يين في مراكش .

وقد توثقت العلاقات بين بلاد المغرب والأندلس بشكل خاص في عصر الموحدين، ويظهر ذلك في جامع حسان بالرباط، وجامع الكتبية في مراكش، وجامع قصبة الرباط، ومن أشهر المهندسين أو العرفاء الذين استعان بهم ملوك الموحدين، وبصفة خاصة عبد المؤمن وإبنه أبي يعقوب يوسف، المهندس أحمد بن باسة الذي ينتسب إلى أسرة الباصة المستعربة بطليطلة، وكذلك العريف يعيش المالقي الذي ينتسب إلى مدينة مالقة. وقد اشترك هذان المهندسان في بناء جامع جبل الفتح، كما بنى الحاج "يعيش" المقصورة الشهيرة الملحقة بالمسجد الجامع في

مراكش، والذي استخدم فيها حيلاً ميكانيكية بديعة، وهي مقصورة مكونة من ستة أضلاع، كما أن المنبر تم صنعه فى مدينة قرطبة بالاندلس، وذلك حسبما تنص الكتابة المسجلة عليه، والتي تتضمن اسم يوسف بن تاشفين، مما يدل على أن هذا المنبر صنع فى الأساس للجامع المرابطى، ثم نقل إلى جامع الكتبية. وفي فترة حكم علي بن يوسف أضيف لجامع القرويين منبر من خشب الصندل والأبنوس والحور، ومطعم بالعاج من عمل صناع من الأندلس.

وكان للظروف السياسية دورها في انتقال التأثيرات الأندلسية إلى بلاد المغرب، ويظهر ذلك بوضوح بعد انهزام الموحدين في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م، حيث ترتب على ذلك هجرة أعداد كبيرة من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب، كما انتقلت أعداد من الصناع من الأندلس إلى بلاد المغرب بعد موقعة سلادو سنة 741هـ/1340م، والتي هزم فيها المسلمون .

وتظهر التأثيرات الأندلسية في الأبراج المستديرة والسور الأمامي في قلعة "أمرجو" بالمغرب الأقصى، والتي ترجع إلى عصر المرابطين . واستخدام مادة الطابية التي تتكون من التراب والجير وفتات الحجر في البناء، وهي طريقة استخدمت في بلاد الأندلس وانتقلت إلى بلاد المغرب. ونجد أمثلة لها في العديد من المباني، ومنها أسوار مدينة مراكش، وأسوار مدينـــة رباط الفتح، وأسوار مدينة فاس .

وكما انتقلت التأثيرات الأندلسية إلى بلاد المغرب، فقد كان لمهندسي المغرب أثارهم في أعمال البناء في الأندلس، ومنهم المهندس علي الغماري، الذي تولى إعادة بناء صومعة جامع أشبيلية بعد وفاة المهندس أحمد بن باسة.

التأثيرات الأندلسية في الجزائر :

في عهد بني زيان انتقل كثير من مهندسي الأندلس إلى تلمسان، وذلك في النصف الأول من القرن 7هـ/13م حتى منتصف القرن 8هـ/14م، كما حضر عدد كبير من مهندسي غرناطة في هذه الفترة إلى تلمسان، وتظهر التأثيرات الأندلسية في المسجد الجامع بتلمسان، وذلك من حيث السقف المسطح، الذي يعلوه سقف جماولني، وزخارف السقف الخشبي المكونة من عناصر نباتية متأثرة بالزخارف النباتية في سقف مسجد الدباغين " كنيسة سانتا ماريا لابلانكا حالياً " بطليطلة. كما أن القبة التي تعلو المحراب والمكونة من أضلاع متقاطعة تعد تقليداً لقباب جامع قرطبة، حيث ينتج عن تقاطع ضلوع القبة قبيبة صغيرة من المقرنصات، تعد أقدم مثال لقباب المقرنصات في بلاد المغرب. كما يظهر التأثر بالفن الأندلسي في كثافة الزخارف الجصية المتنوعة .وتم بناء مجموعة من القصور في عهد "بني حمود"، وكذلك في عهد خليفته أبي تاشفين، ومن المباني التي يظهر فيها التأثير الأندلسي واضحاً مجموعة من الدور، منها دار السرور، ودار الملك، كما يظهر هذا التأثير في المساجد التي أقيمت في عصر بني زيان، ومنها مسجد "بلحسن" الذي جاء مشابهاً إلى حد كبير لمسجد الحمراء في الأندلس، كما يظهر التأثير الأندلسي واضحاً في واجهة مسجد العباد الذي يرجع للعصر الماريني، كما يظهر التشابه الواضح بين صومعة جامع المنصورة، وجامع أشبيلية سواء كان ذلك من حيث طراز البناء، أو الزخارف التي تكسو جدرانها .

التأثيرات الأندلسية في تونس :

بعد أن استولى خيمي ملك أرغون على بلنسيا انتقل كثير من أهل الأندلس إلى تونس، وبصفة خاصة في عهد السلطان أبي زكريا الحفصي، ويظهر

التأثير الأندلسي في بناء قصر رأس الطابية، الذي اقيم في عهد السلطان الحفصي المستنصر، وكذلك في الزخارف التي تزين باب لالة ريحانة في جامع القيروان، ومسجد باب الدرب بالمنستير، الذي يرجع أيضاً إلى العصر الحفصي .

التأثيرات الأندلسية في ليبيا :

في سنة966هـ/1559م قام درغوت حاكم طرابلس بغارة على اسبانيا وتمكن من حمل 2500 موريسكي من أهل الأندلس إلى طرابلس ، كما كان لخجرة أعداد كبيرة من أهل الأندلس بعدما أجلاهم الملك فيليب عنها سنة 1018هـ/1609م أثره على كثير من مظاهر الحياة ومنها العمارة والفنون في مختلف بلاد المغرب . ويمكن أن نلحظ التأثير الأندلسي في العمارة الليبية في تغطية بعض العمائر بالأسقف الجمالونية ، ومنها بعض ملحقات مجمع أحمد باشا القره مانلي في طرابلس . كما يظهر التأثير الأندلسي في إستخدام العقود على شكل حدوة فرس والذي إنتقل من بلاد الأندلس إلى مختلف بلاد المغرب ومنها ليبيا [1].

---

[1] محمد محمود الجهيني : مساجد درنة الأثرية وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ، ضمن كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثاريين العرب . القاهرة 1999.ص 656

ثانياً: التأثير العثماني في عمارة بلاد المغرب :

فيما يتعلق بالتأثير العثماني في العمارة الليبية، فقد ذكر ميسانا أن ليبيا في القرن 10هـ/16م لم تكن تثير اهتمام أهل الفن، بل كانت تستقطب الساسة والعسكريين، وأن سكان ليبيا اعتمدوا في مجالات العمارة والفنون على أنفسهم، وعلى بعض العمال من الأسرى المسيحيين، وبعض المهارات من بلاد المغرب، كما يعتبر أن عدم وجود حنايا ركنية أو مثلثات كروية مزدانة بمقرنصات دليل على أن الصناع الأتراك لم يعملوا في ليبيا . بينما يرى البلوش أن تأثيراً عثمانياً قد ساد معظم بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها ليبيا في مجالات الثقافة والفنون والعمارة ، إلا أن المحمودي يذكر أنه بينما كان التأثير العثماني واضحاً في كل من مصر والجزائر وتونس كان غائباً عن ليبيا، ثم يذكر في موضع آخر أن التأثير العثماني يمكن أن يرى في كل مكان، وذلك لظهور العناصر المغربية والعثمانية معاً في الأثر الواحد مثل جامع أحمد باشا القره مانلي .

و لم يقتصر الأمر على ليبيا، فقد اختلفت أراء الباحثين في مجال الفنون والآثار الإسلامية حول مدى التأثير العثماني في عمارة وفنون شمال إفريقيا، فبينما يذكر سليمان مصطفى زبيس في كتابه " آثار المغرب العربي " أنه لا يجوز القول بأن هناك فن تركي في تونس، بل ظهر في العصر التركي فن يمتاز بمسحة أندلسية تأثرت بالفن المحلي بتونس، والفن المرابطي في الجزائر. كما حصر مظاهر هذا التأثير في عدة عناصر مثل المنارات المثمنة، بعدما كان الطراز السائد في تونس هو طراز الصوامع المربعة ، وإلحاق ضريح للمنشئ في صحن الجامع، وإحاطة بيت الصلاة بصحن من ثلاث جهات، بينما لم يكن يتجاوز الصحن الناحية الجوفية، وفي إستعمال المنابر الرخامية بعد أن كانت من الخشب، سواء كان ذلك في

المساجد التي استحدثت في هذه الفترة، أو ما كان منها قائماً من قبــل. فقــد أضاف الأتراك منبرا رخاميا إلى مسجد الموحدين الحفصي ويرجع إلى الفترة من سنة 629-633هــ./1231-1235م.كما أن المساجد الــتي أنــشئت في تونس في الفترة العثمانية تتميز بمنابرها الرخامية ومن ذلك منبر الجماع الجديــد بمدينة تونس (لوحة17) .

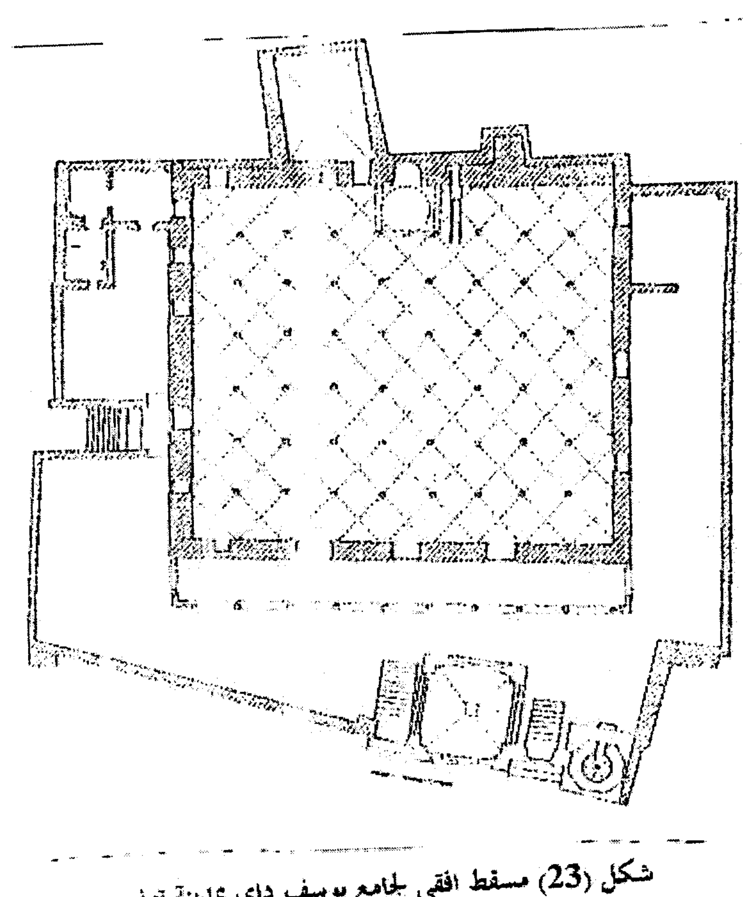
والمتتبع لتطور طرز العمارة في بلاد شمال إفريقيا، وخاصة في كل من ليبيا وتونس والجزائر، التي خضعت للحكم العثماني يلاحظ أن هناك عــدة مظــاهر للتأثير في عمارتها ظهرت مرتبطة بفترة الوجود العثماني في كل منها، ويمكن أن نجمل ذلك في :

ــ المجمعات المعمارية " الكليات " :

تشتمل هذه المجمعات على أكثر من وحدة معمارية مختلفة الغرض، ومن أمثلتها في العمارة الليبية جامع مراد أغا في تاجوراء، الــذي يرجــع إلى ســنة 960هــ/1553م، إذ كان يضم إلى جانب المسجد مدرسة في الجانب الشمالي الشرقي، كما يضم ضريحاً في الجهة الشمالية الغربية من الصحن، ويضم جــامع درغوت باشا في مدينة طرابلس، الذي يرجع إلى سنة 973هــ/1565م مدفناً يشتمل على مجموعة من التراكيب الرخامية والحجرية، وثلاثة أضــرحة منــها الضريح الخاص بالمنشئ، وضريح خاص بمحمد باشا الساقزلي، وضريح لمجموعة من كبار موظفي إيالة طرابلس الغرب، وحجرة الشعرة النبوية الشريفة، وحجرة ضبط المواقيت، وحمام في الجهة الجنوبية الشرقية من المنشأة. ويشتمل مجمع أحمد باشا القره مانلي، الذي يرجع إلى سنة 1150هــ/1738م إلى جانب الجامع على مدرسة من طابقين في الركن ما بين الضلع الشمالي الغربي والجنوبي الغربي

للمجمع، بالإضافة إلى ضريح المنشئ، ومدفن يضم مجموعة من التراكيب الرخامية، كما تشتمل الجدران الخارجية للمجمع على مجموعة من الحوانيت موقوفة عليه .ويشتمل مجمع مصطفى قورجي، الذي يرجع إلى سنة 1250هـ/1834م في مدينة طرابلس على مدرسة من طابق واحد، وضريح للمنشئ . ويضم مجمع ميزران بمدينة طرابلس جامعاً ومدرسة، بالإضافة إلى ضريح المنشئ، ومقبرة للدفن تضم مجموعة من التراكيب والشواهد.

ومن أمثلة المجمعات المعمارية في تونس جامع يوسف داي، ويرجع إلى سنة 1025هـ/1616م، إذ أنه يشتمل على جامع ومدرسة وضريح(شكل23)،



شكل (23) مسقط افقي لجامع يوسف داي بمدينة تونس .

كما يشتمل جامع باجة، الذي يرجع إلى سنة 1076-1086هـ/ 1666- 1675م على مسجد ومدرسة وحمام وحوانيت، كذلك يضم الجامع الجديد في مدينة تونس، الذي يرجع إلى سنة 1129هـ/ 1716م مدرسة وضريحاً وسبيلاً.

ـ الشرفة الداخلية " المحفل " :

تحيط هذه الشرفة بالجزء العلوي من بيت الصلاة من ثلاث جهات فيما عدا جهة القبلة، مكوناً طابقاً ثانياً، ومن أمثلتها في طرابلس الشرفة في جامع محمد باشا شائب العين، وجامع أحمد باشا القره مانلي، وجامع مصطفى قورجي. ونجد أمثلة لها في العمارة التونسية، ومنها الشرفة في جامع حمودة باشا بتونس، الذي يرجع إلى سنة 1066هـ/1655م (لوحة18) ، وجامع محمد باي المرادي المعروف بجامع سيدي محرز، الذي يرجع إلى سنة 1104-1108هـ/ 1692- 1696م، والجامع الجديد. ونجد أمثلة لهذه الشرفة في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر العثماني، ومنها جامع علي بشنين، الذي يرجع إلى سنة 1031هـ/1621م، وشرفة جامع بشير، التي ترجع إلى سنة 1071هـ/1669م، وشرفة جامع محمد باشا المعروف بجامع السيدة، والتي ترجع إلى سنة 1179-1206هـ/1765-1791م، وشرفة جامع حسن باي المعروف بجامع سفير، والتي ترجع إلى سنة 1242 هـ/ 1836 م .

ـ التغطية بقبة كبيرة تحيط بها قباب أصغر أو أنصاف قباب :

لم تستخدم هذه الطريقة بشكل واضح في العمارة العثمانية في ليبيا خلال العصر العثماني الأول، وكذلك العصر القره مانلي . غير أنه ظهرت أمثلة لها في العصر العثماني الثاني ، ومن أمثلة ذلك جامع رشيد " عثمان بوقلاز " ببنغازي، وتغطيه قبة مركزية كبيرة، تحيط بها ثماني قباب أصغر منها، أربع منها نصف كروية تشغل الأركان الأربعة للجامع، وأربع قباب بيضاوية على جوانب القبة المركزية. ونجد نفس الطراز من التغطية في الجامع العتيق ببنغازي،

الذي يرجع إلى سنة 1311-1322هـ/1893-1904م، غير أن القباب الثماني المحيطة بالقبة المركزية جميعها بيضاوية الشكل، كذلك فإن جامع ميزران بطرابلس مغطى بقبة مركزية كبيرة تحيط بها قباب نصف كروية صغيرة.

وإن كان نظام التغطية بقبة مركزية تحيط بها قباب أصغر لم يكن شائعاً في العمارة الليبية في العصر العثماني، حيث كان الغالب التغطية بقباب متساوية متعددة وذلك بتقسيم مساحة بيت الصلاة إلى مساحات مربعة عن طريق بوائك العقود التي تمتد موازية ومتعامدة على جدار القبلة ،يغطي كل منها قبة. لكن هذه الطريقة ظهرت في عمارة تونس والجزائر في العصر العثماني ، ومن أمثلتها في تونس جامع يوسف داي، وجامع مدينة باجة، وجامع الغرباء بحومة السوق بجزيرة جربة، الذي يرجع إلى سنة 1086هـ/1675م، وجامع سيدي محرز . ومن أمثلتها في الجزائر جامع علي بشنين بمدينة الجزائر، حيث تغطيه قبة كبيرة ترتكز على دعائم ضخمة، ويحيط بها عشرين قبة صغيرة . وجامع الحواتين الذي أنشئ في سنة 1070هـ/1666م، حيث تغطيه قبة ضخمة، ترتكز على أربع دعائم ضخمة، ويحيط بها قباب أصغر.

ـ الصوامع المثمنة البدن التي تنتهي بقمة مدببة :

ظهر هذا الطراز من الصوامع في عمارة شمال إفريقيا مواكبا للوجود العثماني بها . ونجد أمثلة له في كل من جامع محمد باشا شائب العين، وجامع أحمد باشا القره مانلي ، وجامع مصطفى قورجي، وجامع ميزران بمدينة طرابلس، وصومعة الجامع العتيق بمدينة درنة ق 12هـ/ 18م، وصومعة جامع الباشا بمدينة الخمس 1325هـ/1907م . وتتميز هذه الصوامع بأنه

يمتد بطول كل ضلع من أضلاع البدن شكل معقود بعقد على شكل حدوة الفرس. كما يتخلل البدن شرفة واحدة، فيما عدا صومعة جامع مصطفى قورجي، التي يتخلل بدنها شرفتان.

ومن أمثلة الصوامع المثمنة البدن في تونس صومعة جامع يوسف داي(لوحة 19)، والجامع الكبير في بترزت 1060هـ/ 1650م، وجامع حمودة باشا، وجامع سليمان حمزة بمدينة المهدية ق 11هـ/17م، وصومعة زاوية سيدي مخلوف بمدينة الكاف ق 11هـ/17م، وصومعة جامع الصباغين بمدينة تونس، التي ترجع إلى سنة 1136-1140هـ/ 1723-1727م، وصومعة جامع الحلفائيين "صاحب الطابع "، التي ترجع إلى سنة 1223-1230هـ/1808-1814م. وتميز هذه الصوامع بأنه يمتد بطول بدنها شكل معقود كما أن الشرفات محمولة على كوابيل ومغطاه. كما استخدمت الصوامع الإسطوانية على نطاق ضيق في كل من تونس والجزائر ، ومن أمثلتها جامع الترك بجزيرة جربة، ومن أمثلتها في الجزائر صومعة سيدي الخضر بقسطنطينة 1156هـ/1743م، وصومعة جامع الباشا في وهران 1207هـ/1792م .إلا أنها كانت أكثر ظهوراً في مساجد مدينة طرابلس الغرب في العصر العثماني الأول ، ونجد أمثلة لها في كل من جامع دارغوت باشا (أنشأها إسكندر باشا سنة (1013هـ/1604م) وجامع سيدي سالم المشاط(1083هـ/1672م) ، وجامع محمود خازندار (1091هـ/1680م) (لوحة 20) .

ـ التكسية بالبلاطات الخزفية :

إستخدمت البلاطات الخزفية في تكسية العمائر الإسلامية منذ النصف الأول من القرن 3هـ/9م، وتنفرد منطقة الشمال الإفريقي بوجود عمائر مغطاة ببلاطات ترجع إلى فترات مبكرة، مثل البلاطات التي تغطي جانبي محراب جامع عقبة بن نافع بالقيروان 248هـ/ 862م، وصومعة قلعة بني حماد بالجزائر 398هـ/1007م.

وعلى الرغم من قدم استعمال البلاطات في الشمال الإفريقي، إلا أن استخدام البلاطات في تكسية جدران العمائر الليبية يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالوجود العثماني في ليبيا . وقد مر ذلك بثلاث مراحل اقتصرت في الأولى على تكسية بواطن المحاريب، وفي الثانية على تكسية أجزاء من الجدران، أما المرحلة الثالثة فقد أصبحت التكسية تشمل الجدران بكاملها خارج وداخل بيت الصلاة حتى ارتفاع بداية أرجل العقود، ومن أمثلتها التكسية الخزفية في جامع أحمد باشا القره مانلي، وجامع مصطفى قورجي، وجامع ميزران . ومن أبرز أمثلتها في العمارة التونسية في العصر العثماني تكسية جدران بيت الصلاة في الجامع الجديد بمدينة تونس .

****

ومن الملاحظ أن عمارة شمال إفريقيا وإن كانت قد تأثرت بالتأثيرات العثمانية، إلا أنها احتفظت في نفس الوقت بكثير من العناصر المميزة لها، ومن أهمها طراز الصوامع المربعة .

دراسة لنموذج من العمائر
المقامة من العصر العثماني فى شمال أفريقيا

جامع أحمد باشا القره مانلى بطرابلس الغرب :-

يقع وسط مجموعة من أسواق مدينة طرابلس القديمة، فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة طرابلس " السراى الحمراء "، وتطل واجهة الجامع الشمالية الشرقية على سوق المشير، وتطل الواجهة الشمالية الغربية على سوق الرباع، وفى الجهة الجنوبية الشرقية يوجد سوق العطارة، وفى الناحية الجنوبية الغربية سوق النساء . ويقال أن المكان الذى يشغله جامع أحمد باشا كان يضم من قبل مساكن جنود الإنكشارية من الترك ومكان إجتماعاتهم، كما كان يوجد بنفس المكان مسجد يعرف بمسجد الديوان [1] .

شيد الجامع أحمد باشا القره مانلى، الذى استطاع الإستقلال بحكم طرابلس إستقلالاً اسمياً عن الدولة العثمانية، وأسس الدولة القره مانلية، التي استمرت تحكم طرابلس من سنة 1123هـ/1711م حتى سنة 1250هـ/1835م. وتشير اللوحات التأسيسية والكتابات التى تتوزع فى أجزاء كثيرة من الجامع، ومن أهمها اللوحة التى تعلو المدخل الرئيسي فى الجدار الشمالي الشرقى والمكتوبة بخط الثلث المغربي، وهى تلك اللوحة التي على المدخل

---

(1) ميكاكي ، رودلفو : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القره مانلى، تحقيق كمال الخربوطلى، مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى، القاهرة، 1961م، ص79 .

فى الناحية المطلة على سوق المشير أن الجامع أنشىء سنة 1146هـ/1736-1737م .

الوصف المعمارى للجامع :

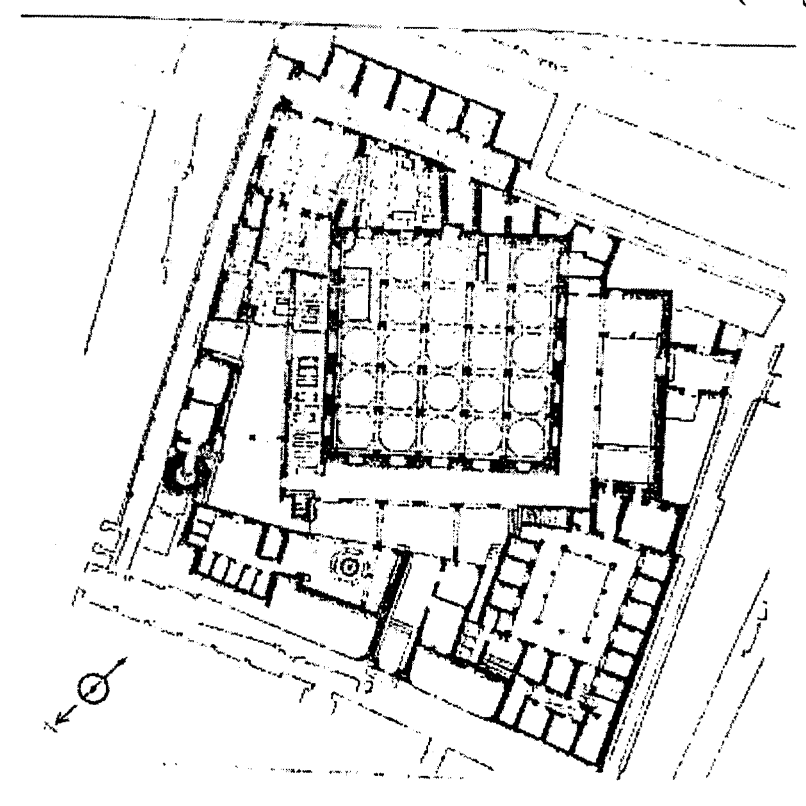
يعد الجامع من أهم مساجد مدينة طرابلس، ومن أكبرها مساحة، إذ يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها 53×49م . كما أنه يعد من أحسن نماذج المجمعات المعمارية فى العمارة الليبية، إذ أنه يضم إلى جانب بيت الصلاة مدرسة في طابقين، وضريح المنشىء، ومدفن لأفراد أسرته، وسبيل. كذلك فإن الجامع من أغنى مساجد طرابلس زخرفة، حيث تزخرف جدارن بيت الصلاة من الداخل والخارج حتى إرتفاع مآخذ العقود بلاطات خزفية متنوعة فى زخارفها ومصادرها، إذ أن بعضها مجلوب من " تكفور سراى " فى تركيا، والبعض من تونس، والبعض أوربي الصنع . ويعلو التكسية الخزفية زخارف جصية دقيقة من زخارف نباتية وهندسية وكتابات منفذة بطريقة " نقش حديدة " الشائعة فى إعداد الزخارف الجصية فى عمائر مناطق شمال أفريقيا، وتمتد هذه الزخارف وتغطي الأجزاء العليا من جدران بيت الصلاة ومناطق إنتقال القباب وبواطنها .

ونظراً لهذا الثراء المعمارى والزخرفى الذى يتمتع به الجامع ، فقد نال إعجاب كل من شاهده من الرحالة، فقد أثنت عليه "توللى"، التى عاشت عشرة أعوام فى طرابلس. أما الرحالة أبو العباس أحمد بن محمد الفاسى، الذي زار طرابلس سنة 1210هـ/1796م، أى بعد بناء الجامع بما يزيد عن نصف قرن من الزمان، فقد ذكر أن الجامع " غاية لم ير مثله " [1] .

---

(1) **على فهمى خشيم (د) : الحاجية من ثلاث رحلات فى البلاد الليبية، ط1، طرابلس، 1974م، ص145 .**

ويشغل بيت الصلاة مساحة مربعة طول ضلعها 23م، تنقسم بواسطة أربع بوائك من العقود موازية لجدار القبلة، وأربع بوائك عمودية على جدار القبلة إلى خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة، وخمس بلاطات متعامدة عليه، ينتج عن تقاطعها وجود خمس وعشرين مربعة، يغطي كل منها قبة نصف كروية (شكل 24).



شكل(24) مسقط أفقي لجامع أحمد باشا القره مانلي بمدينة طرابلس الغرب .

وترتكز القباب على مناطق انتقال مثمنة بواسطة مثلثات كروية مقلوبة، فيما عدا القبة التي تغطي مربعة المحراب، فإنها ترتكز على حنايا ركنية. وتتميز

قبة المحراب والقبة التي تقابلها بأنهما أكثر إرتفاعاً عن بقية القباب، كما إنهما مضلعتان من الخارج بضلوع بارزة شبيهة بتضليعات القباب فى مدرسة عثمان باشا الساقزلى بطرابلس، والتي ترجع إلى سنة 1064هـ/1653م .

ويشتمل الجامع على محراب مجوف، يكسو الجزء الأسفل منه بلاطات خزفية، أما الجزء الأعلى فإنه مغطى بزخارف جصية دقيقة عبارة عن أشكال نجمية متداخلة تشتمل على زخارف دقيقة، ويفصل بين الجزئيين شريط كتابي يتضمن الآية الكريمة "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قنتين" . أما المنبر فإنه من الرخام الملون الملبس بقطع من المرمر تكون زخارف نباتية منفذة حسب طراز الرومى المتبع فى زخرفة المنتجات الفنية العثمانية، وتمتد هذه الزخارف على ريشتي المنبر، ويغطي الجوسق قبة معدنية، مقامة على أربعة أعمدة، وهو بذلك مخالف لما هو متبع فى تغطية جواسق المنابر فى العصر العثماني، حيث أنها تتخذ الشكل المخروطي المدبب الذي يماثل نهايات قمم الصوامع العثمانية .

ويحيط بالجزء العلوى من بيت الصلاة فوق تيجان الأعمدة من ثلاث جهات فيما عدا جدار القبلة شرفة خشبية، يحدها سياج من برامق من الخشب الخرط . وهذا التقليد فى عمل الشرفة الداخلية "المحفل" وجد فى العديد من المساجد الجامعة فى بلدان المغرب إبان العصر العثماني، متأثرة فى ذلك بالعمارة العثمانية. كما أنها من العناصر التي أنشئت عند بناء الجامع، وليست مضافة في تاريخ لاحق، حيث أنها تشتمل على كتابة تشير إلى صانعها، وهو الحاج محمد

بن على الشريف المرادي، وتاريخ عملها في ربيع الثاني سنة 1150هـ/ إبريل 1738م [1] .

([1]) El- Mahmoudy. A : Post Fifteenth Century A.D Architecture in Libya. M.A Thesies. Victoria univ. Canada-1985. p. 87 .

الصومعة :

تقع فى الجدار الشمالي الشرقي على يمين المدخل الرئيسي، وتتكون من قاعدة مربعة يقوم عليها بدن مثمن، يزخرف كل ضلع من أضلاعه أشكال مستطيلات معقودة تمتد بطول البدن، يعلو هذا الطابق شرفة مثمنة، تستند على كوابيل حجرية، وينتهي بدن الصومعة بقمة مخروطية مدببة من الخشب، ويوجد على الصومعة كتابة تتضمن تاريخ بنائها فى سنة 1150هـ/1738م . وهذه الصومعة وإن كانت مشابهة لصومعة جامع شائب العين، التي ترجع إلى نهاية العصر العثماني الأول، وذلك من حيث الشكل المثمن للبدن، وزخرفة البدن بأشكال معقودة، إلا أن هذه الصومعة تختلف عنها فى أن الشرفة تستند على كوابيل.

وفى الجهة الجنوبية الغربية من بيت الصلاة وخلف جدار القبلة توجد حجرتان ، يغطي إحداهما قبة نصف كروية، وهى خاصة بضريح المنشيء، يتصل بها حجرة أخرى مغطاة بقبو متقاطع، مدفون فيها بعض أفراد الأسرة القره مانلية. ويغطي جدران هاتين الحجرتين بلاطات خزفية، وزخارف جصية شبيهة بزخارف بيت الصلاة، ومنفذة بنفس الأسلوب المتبع في إعداد الزخارف الجصية " نقش حديدة " .

ويلحق بالجامع مدرسة في طابقين تعد أقدم مثال باق للمدارس الملحقة بالمساجد في العمارة الليبية . وتحتل المدرسة الركن المحصور بين الضلع الشمالي الغربي، والضلع الجنوبي الغربي من الصحن. وتشبه هذه المدرسة في تخطيطها مدرسة عثمان باشا الساقزلي ، إلا أنها تختلف عنها في أنها من طابقين [1] .

([1]) عن جامع أحمد باشا، أنظر أيضاً :

- ميسانا ، غاسبري : المعمار الإسلامي في ليبيا، ترجمة علي الصادق حسنين، طرابلس، 1973م، ص ص 183-194 .

- **Warfilli, M.S ; The old city of Tripoli (AARP). Tripoli. 1976 PP. 11-12 .**

- مسعود رمضان شقلوف ، وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، منشورات مصلحة الآثار الليبية، طرابلس، د.ت، ص ص 98-107 .

الفصل السابع

عمارة بلاد الأندلس

في عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف

الجامع الكبير بقرطبة

تم تشييد مسجد قرطبة الجامع سنة 169هـ/785م في مكان كنيسة كان المسلمون قد اشتروا في البداية نصفها، ثم إشتروا نصفها الآخر على أن يبني المسيحيون كنيسة أخرى خارج مدينة قرطبة[1]. وهناك من يعتقد أن قصة شراء الكنيسة غير واقعية؛ حيث أنها تكررت عند الحديث عن كثير من المساجد، ومنها الجامع الأموي في دمشق.

تم تشييد المسجد في عهد عبد الرحمن الداخل الذي بنى بالمدينة قصر "الرصافة". وقد أشرف على تشييد المسجد "حنش بن عبد الله الصنعاني" و "أبو عبد الرحمن الجبلي". ويطلق على جامع قرطبة الجامع الأعظم والمبارك والمكرم.

مر المسجد الجامع بقرطبة بمراحل من التطور والإضافة استمرت حتى القرن 5هـ/11م، ولكن كل هذه الأعمال سارت على وتيرة واحدة، لذلك احتفظ الجامع بطرازه المتميز (لوحة 21).

عمارة المسجد في عهد عبد الرحمن الداخل " الأول " :

بني جامع قرطبة في البداية على غرار الجامع الأموي في دمشق. وكان يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها 75×65م، يشغل بيت الصلاة مساحة مستطيلة أبعادها 65 × 37م، يتقدمه صحن مكشوف تفوق مساحته مساحة بيت الصلاة . وبناءاً على نتائج أعمال الحفر الأثري، فقد ذكر "جوميث

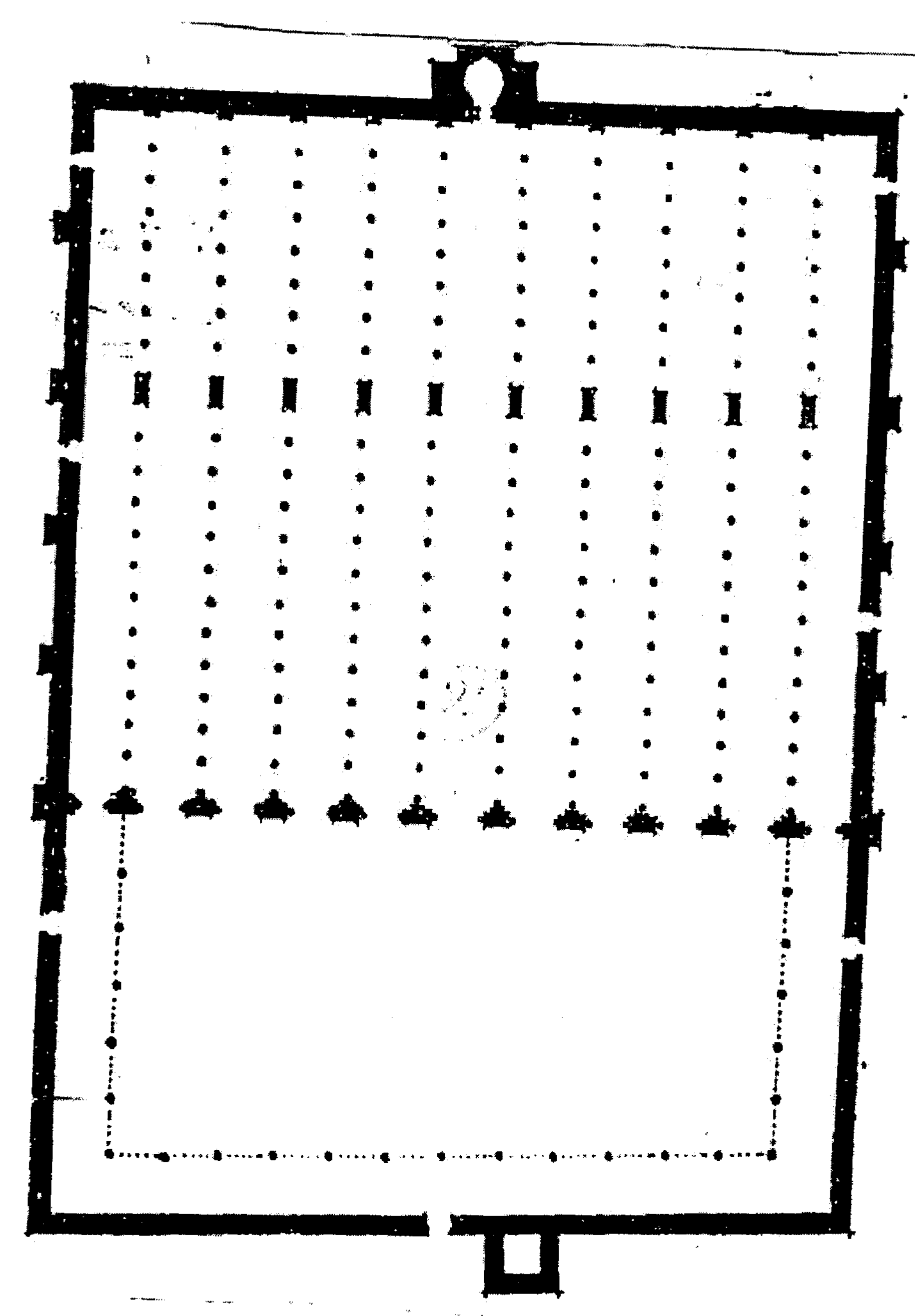
([1]) شاك، فون: الفن العربي في أسبانيا وصقلية، ترجمة الدكتور / أحمد مكي. دار المعارف 1985. ص 22.

موريبنو" أن المسجد عند إنشاؤه كان يتكون من إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، أكبرها اتساعاً البلاط الأوسط " المجاز القاطع " [1]. بينما تشير المصادر التاريخية إلى أن بيت الصلاة كان مكوناً من تسع بلاطات فقط. و لم يكن يحيـــط به أية مجنبات، كما لم تكن له صومعة، حتى أضاف هشام بن عبد الرحمن الصومعة سنة 177هــ/793م، كما أضاف حوضًا للوضوء. والعقود المزدوجة في مستويين السفلي منها على شكل حدوة فرس، والعلوي أقل من نصف دائرة. وترتكز العقود على دعامات.

زيادة عبد الرحمن الثاني " رابع أمراء بني أمية في الأندلس " :-

- في سنة 218هــ/833م، وكما ذكر ابن عذاري في الجزء الثاني من كتابه البيان المغرب، فقد أضاف عبد الرحمن زيادة في رواق القبلة .
- في سنة 234هــ/848م زاد عمق رواق القبلة، وذلك بمد بائكات العقود بواقع ثمانية عقود، وقد ترتب على ذلك نقل جدار القبلة، وعمل محراب جديد. وبذلك أصبح عدد العقود في كل بائكة عشرون عقداً (شكل 25).

([1]) عن جامع قرطبة ، أنظر : مورينو ، مانويل جوميث : الفن الإسلامي في اسبانيا .ترجمة لطفي عبد البديع (د) ، السيد محمود عبد العزيز سالم (د) . مراجعة جمال محمد محرز . الدار المصرية للتأليف والترجمة .د.ت. ص ص 16- 64.



شكل(25) مسقط أفقي لجامع قرطبة في عهد عبد الرحمن الثاني .

- وهناك رأي بأن العقود المزدوجة ظهرت أثناء هذه الزيادة حتى يتناسب ارتفاع السقف مع اتساع مساحة بيت الصلاة. ويعتقد البعض أن العقود المزدوجة في جامع قرطبة مقتبسة من نظام قناطر المياه الرومانية ذات الطابقين، مثل سقايات مدينة مريدا في أسبانيا، ولكن نظام المعالجة مختلف، مما يدل على أن هذا الشكل ابتكار إسلامي ظهرت بوادره الأولى في الجامع الأموي في دمشق، ولكنه اكتمل في جامع قرطبة .

أعمال محمد بن عبد الرحمن :

- في سنة 241هـ/855م قام بزخرفة الجامع وعمل مقصورة إلى يمين المحراب تعد أول مقصورة في مساجد الأندلس، كما أقام قنطرة فوق الشارع المؤدي إلى المسجد، حتى ينتقل من القصر إلى المسجد دون أن يمر في الشارع .

أعمال عبد الرحمن الناصر " الثالث " :

- في سنة 340هـ/951م أنشأ صومعة في شمال الصحن، مكونة من بـــدن مربع على هيئة برج، وبها شرفتين للآذان. وهي تمثل برج الأجراس الموجود حالياً(لوحة 22) . وتشتمل الصومعة على سلمين لا يرى الراقـــي علـــى أحدهما الآخر، كما استعملت فيها رمانات من الذهب والفضة .
- أقام إلى جانب المنارة حجرة للمؤذنين [1].
- لم تكن هناك ظلات تحيط بالصحن، ولكن في سنة 951/346م أضـــيفت الظلات الجانبية. ويبلغ عمق كل منها ستة أمتار، ويغطيها سقف مسطح .

---

(1) شاك،فون: المرجع السابق، ص 24.

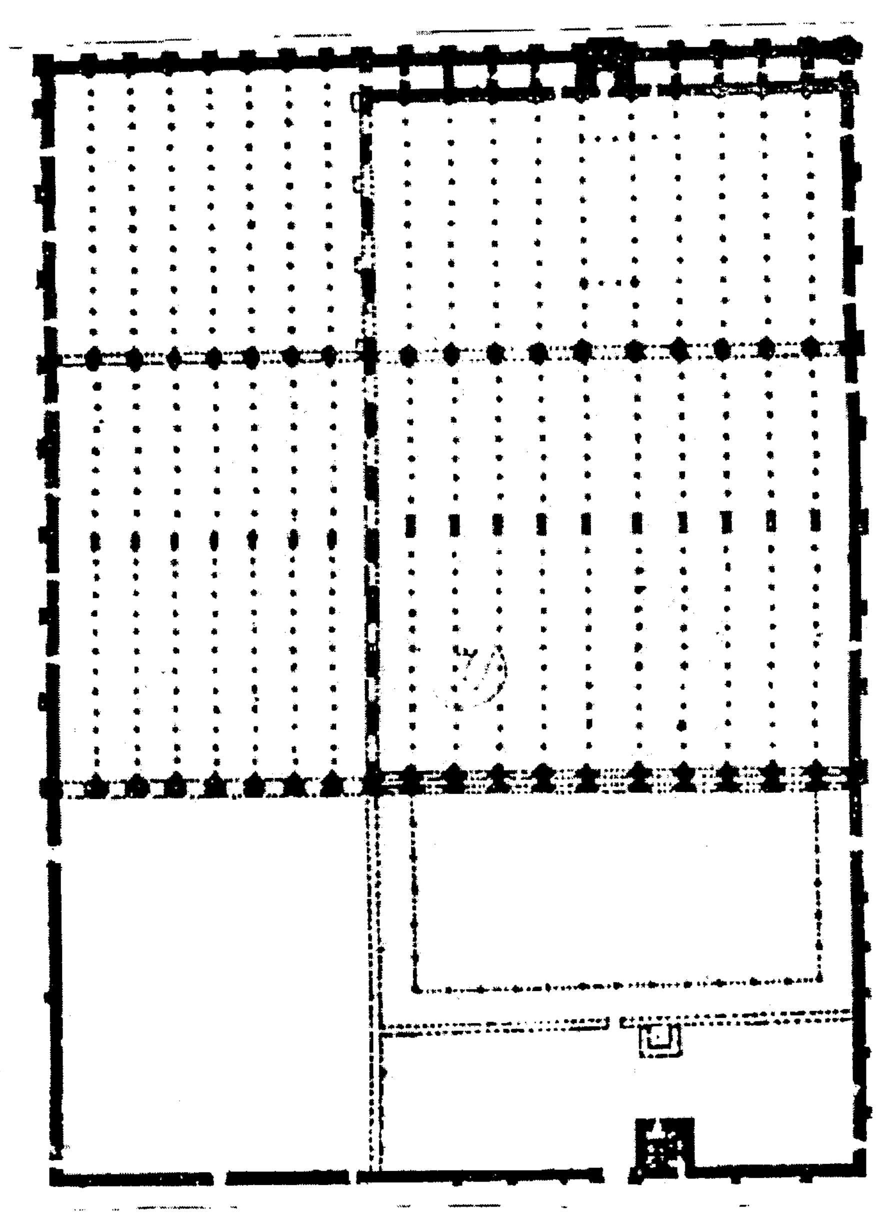
ـ تمت سنة 351هـ/961م زيادة في عمق ظلة القبلة تبلغ 35م، وذلك بمد بوائك العقود المتعامدة على جدار القبلة بواقع اثنى عشر عقداً. فأصبح عدد عقود كل بائكة اثني وثلاثين عقداً. وقد أشرف ابنه الحكم – المستنصر – على هذه الزيادة.

ـ ترتب على زيادة عمق رواق القبلة هدم جدار القبلة، وإقامة جدار قبلة جديد، أضيف فيه محراب يعد من أجمل المحاريب في تاريخ العمارة الإسلامية. بما يشتمل عليه من زخارف الفسيفساء، التي يقال أن حاكم القسطنطينية البيزنطي أرسل بها كهدية إلى عبد الرحمن الناصر [1]. كما أقام قبة على مربعة المحراب، على جانبيها قبتان أصغر منها. وتجويف القباب من عقود نصف دائرية تتقاطع في قمة القبة مكونة عقودًا مدببة، وهو طراز العقود الذي شاع في قباب الفن القوطي، أي أنه ابتكار اسلامي ظهر لأول مرة في قرطبة.

زيادة المنصور محمد بن أبي عامر " في عهد هشام الثاني " :–

ـ كانت الزيادات السابقة كلها في عمق رواق القبلة، أما هذه الزيادة التي تمت في سنة 377هـ/987م فكانت في الناحية الشرقية من ظلة القبلة؛ حيث أضيفت ثماني بلاطات متعامدة على جدار القبلة مساوية في طولها بامتداد البلاطات السابقة، والتي أصبحت مكونة من اثنين وثلاثين عقداً، كما أصبح عدد البلاطات المتعامدة تسع عشرة بلاطة(شكل 26)،

([1]) شاك، فون، المرجع السابق ص 39.



شكل(26) مسقط الفقي لجامع قرطبة بعد زيادة المنصور محمد بن علي في عهد هشام بن الحكم.

فأصبحت مساحة ظلة القبلة وحدها ثلاثة أفدنة، وهو بذلك أضخم بيت صلاة في المساجد الإسلامية.

ـــ أنشأ ميضاءة تصلها المياه عبر قناة تصب في تسعة أحواض كان يعلو كل منها قبة .

ـــ يحيط بالصحن سور تتخلله سبعة أبواب ، وتحتل الصومعة الركن الشمالي من الصحن، وفي الناحية الشرقية منه الميضاءة .

الوصف الحالي للجامع :ـ

يتكون من مستطيل تبلغ أبعاده من الشمال إلى الجنوب 178م، ومـــن الشرق إلى الغرب 125م. يتكون من صحن أوسط متسع تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، وتتكون من تسع عشرة بلاطة متعامدة على جـــدار القبلـــة، تفصل بينها ثماني عشرة بائكة، تتكون كل منها من اثنى وثلاثين عقداً من عقود حدوة الفرس. وكانت عقود بيت الصلاة مفتوحة على الصحن، ولكنها سدت بجدار، وأصبح يدخل إلى بيت الصلاة من أبواب(لوحة 23) (شكل26) .

التعديلات التي طرأت على الجامع :

ـــ بعد إستيلاء الأسبان على قرطبة سنة 634هـــ/ 1236م حول المسجد إلى كاتدرائية .

ـــ في القرن 8هـــ/14م أمر فرناندو وزوجته إيزابيلا ببناء كاتدرائية صغيرة على الجزء الذي يمثل زيادة عبد الرحمن الأوسط .

ـــ في سنة 930هـــ/1523م أنشئت كاتدرائية كبيرة، ممـــا أدى إلى إغـــلاق واجهة أروقة بيت الصلاة، فأظلم هذا الجزء وجاء متمـــشيا مـــع المعمـــار المسيحي.

– في سنة 1061هـ/1650م أضاف هرنان لصومعة عبد الرحمن الثالث قمة من طراز عصر النهضة [1] .

****

ويعتبر جامع قرطبة من أروع ما أنشأ المسلمون من عمائر في بلاد الأندلس، وواحداً من قمم الفن المعماري العالمي على مر العصور. ولا تقتصر أهميته على روعته المعمارية بل إن له أهمية علمية، فقد كان واحداً من أهم المراكز التي يقصدها طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي، كما كان داراً للقضاء . كما يعتبر جامع قرطبة ممثلاً لطراز عصر الخلافة بالأندلس، والذي يظهر أيضاً في جامع باب مردوم في طليطلة، وفي عمارة مدينة الزهراء التي أنشأها عبد الرحمن الناصر، كذلك في الجزء الأسفل من صومعة مسجد أشبيلية، والجزء الأسفل من صومعة غرناطة القديمة. كما اتخذ جامع أشبيلية مظهره الخارجي من جامع قرطبة، وذلك في اتساع الصحن، والعقود السبعة في أروقة المجنبات بدلاً من الأربعة عقود التي نراها في جامع الكتبية في مراكش وتنملل بالمغرب، كذلك فقد سار على نمط تخطيطه جامع تلمسان بالمغرب الأوسط بعد الإضافات التي قام بها المنصور محمد بن أبي عامر، إذ أصبح مكونا من ثلاث عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، أكثرها اتساعا البلاط الأوسط، كما أنه يشتمل على قبتين إحداهما فوق المحراب، والأخرى في منتصف البلاط الأوسط في جامع القصبة الموحدي في مراكش وأشبيلية. وكذلك وجود صف الدعامات التي تقطع البلاطات الطولية عرضاً، وتقسم بيت الصلاة إلى قسمين، يشتمل كل

(1) أحمد فكري (د) : المرجع السابق . ص ص 242- 248.

منها على ثلاثة أساكيب، وهي مشابهة لصف الدعائم والعقود التي تفصل بين بيت الصلاة القديم، وزيادة الحكم المستنصر بالله في جامع قرطبة .

ومن أهم الإبتكارات المعمارية في جامع قرطبة، والتي انتقلت منه إلى الطرز المعمارية الأخرى :-

- التشبيكات البنائية للعقود وخاصةالعقود التي تمثل عنصراً زخرفياً متميزاً لواجهات المسجد (لوحة 24).
- العقود التوأمية الثلاثية الفتحات، والتي ظهرت لأول مرة في صومعة المسجد الجامع بقرطبة، وفي إحدى قاعات قصور مدينة الزهراء .
- نظام القباب ذات العقود البارزة المتقاطعة على نحو يتشكل منه مثمن في الوسط، تغطيه قبيبة مفصصة، وقد انتقلت إلى جامع باب مردوم بطليطلة، كما انتقل إلى الكنائس المنفذة حسب الطراز الرومانسكي، وإن كان في النماذج الأخيرة يغلب عليها الطابع الزخرفي .
- لم تظهر الأساليب المعمارية العباسية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي، مما يدل على استقلال الشخصية الأندلسية .

التأثيرات السورية في جامع قرطبة :

- العقود على شكل حدوة الفرس .
- العقود المتعامدة على جدار القبلة (مثل المسجد الأقصى القديم) .
- الأسقف الجمالونية المتوازية .
- الأروقة حول الصحن .

تفنيد لآراء المستشرقين حول جامع قرطبة :-

مما ذكره المستشرقون حول هذا المسجد أنه بني مكان كنيسة تم تحويلها إلى مسجد، غير أن الحفائر التي أُجريت بالمسجد أثبتت أن نظام تخطيطه لا يرتبط مطلقاً بنظام تخطيط الكنيسة التي كانت في نفس المكان. وقد نشر "ديولافوا" رسمًا لجزء مقتطع من مسجد قرطبة، وقارن بينه وبين مخطط الكنيسة، ولكن المخطط الذي رسمه "ديولافوا" يمثل جزءا فقط من 22 جزءا تمثل المسجد بكامله.

يشتمل جامع قرطبة على عقود مزدوجة تعد ظاهرة فريدة في تاريخ العمارة، ولا يوجد مثال سابق لتاريخ بنائها سنة 169هـ/785م (لوحة 25). ويذهب البعض إلى أن هذه العقود ليست ابتكاراً إسلامياً، وأنها مستمدة من قناطر "مريدا" في أسبانيا، ولكن الحقيقة غير ذلك لاختلاف النسب في كل منها.

جامع بن عدبس

أقام عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " مسجداً في أشبيلية ، وذلك سنة 214هـ/829م ، وهو المسجد الذي كان يعرف بمسجد بن عدبس. وقد عهد عبد الرحمن بن الحكم إلى وليه على أشبيلية عمر بن عدبس ببنائه، وكما يشير النص التأسيسي للمسجد، والمحفوظ في متحف مدينة أشبيلية فإن البناء تم سنة 214هـ/829م . وكان ذلك المسجد يشبه في تخطيطه المسجد الجامع في قرطبة، حيث كان يتكون من صحن مكشوف تحيط به ثلاث ظلات، أكبرها ظلة القبلة، والتي كانت تتكون من إحدى عشرة بلاطة أكثرها إتساعاً البلاطة

الوسطى . وقد ظل هذا المسجد مسجداً جامعاً لأشبيلية إلى أن أسس الموحدون جامع قصبة أشبيلية سنة 577هـ/1182م فتحولت الخطبة إلى جامع قصبة أشبيلية [1] . وعندما تمكن النورمانديون من دخول أشبيلية أحرقوا هذا المسجد، كما هدموا العديد من القصور والمنشآت بها. وبعد استيلاء الأسبان على أشبيلية سنة 646هـ/1248م حول المسجد إلى كنيسة تعرف باسم كنيسة "سان سلفادور".

ومن منشآت عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " في أشبيلية دار صناعة السفن ، حيث أن المسلمين في الأندلس لم يكن لديهم أسطول يواجهون به الجيوش المغيرة .وقد ظلت هذه الدار قائمة حتى أحرقها "ألفونسو" عندما استولى على المدينة سنة 646هـ/ 1248م، وأقام مكانها دار أخرى لصناعة السفن.

وفي سنة 434هـ/1042م اتخذ بني عباد أشبيلية حاضرة لهم، وبلغت في عهدهم مبلغاً لم تصل إليه من قبل لا في عهد الرومان ولا في عهد القوط . وقد أنشئت في عهد المعتمد بن عباد في أشبيلية العديد من القصور وغيرها من المنشآت.

****

ومن أهم آثار فترة عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف بعض آثار مدينة طليطلة التي تمكن المسلمون من ضمها إلى دولتهم وقام الحكم بن عبد الرحمن في سنة 181هـ/797م، بإنشاء قصبة للمدينة وتحولت بعد ذلك إلى قصر. وفي سنة 318هـ/930م دخلت طليطلة ضمن الخلافة القرطبية.

([1]) أسامة طلعت عبد النعيم (د) : مرجع سابق . ص ص 36 – 37 .

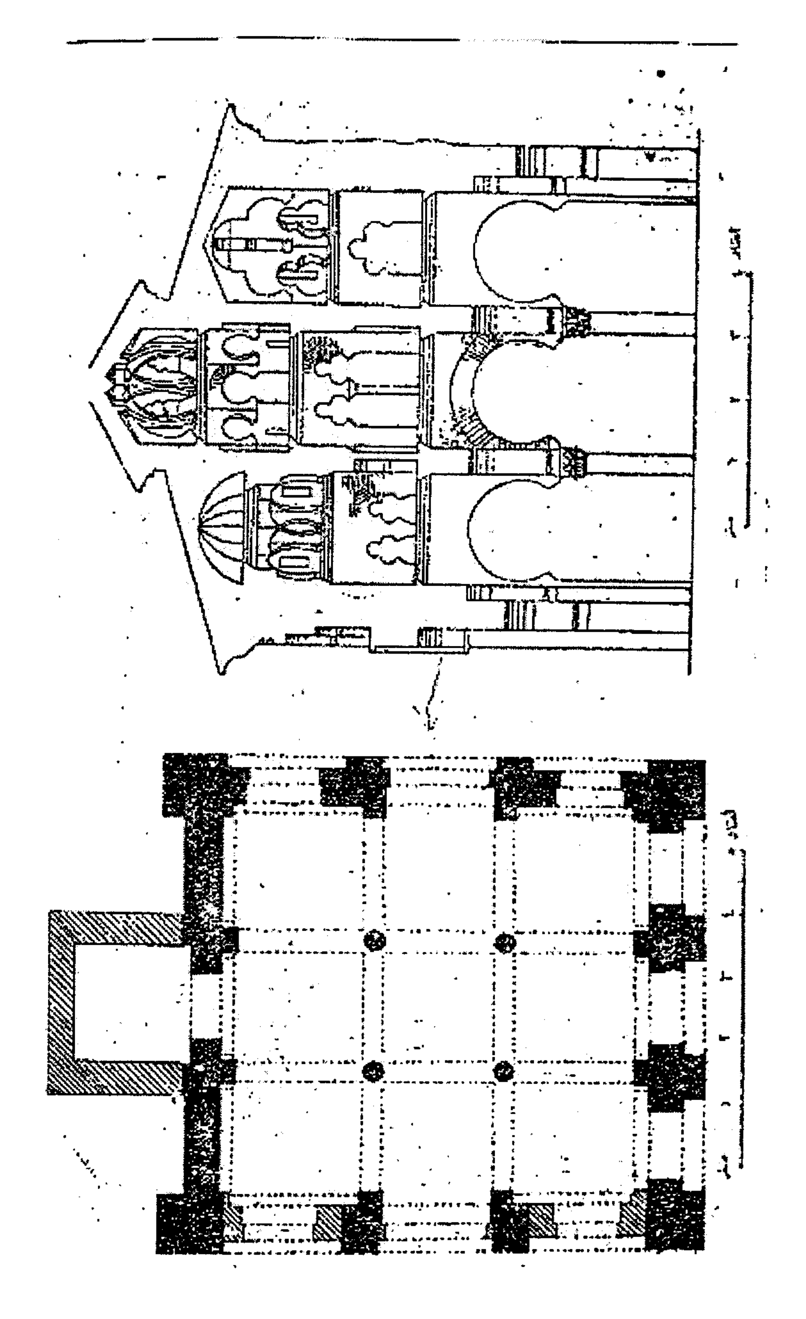
ومن أهم الآثار الإسلامية بمدينة طليطلة،والتي ترجع إلى عــصر ملــوك الطوائف مسجد باب مردوم (والذي يعرف الآن بأسم الكريستو دي لالوث)

مسجد باب مردوم

يوجد على الواجهة نقش كتابي يدل على أن المسجد قد إنتهى بناؤه في شهر محرم سنة 390هـ/ديسمبر999م، وقام ببنائه أحمد بن حديــدي وزيــر إسماعيل ذي النون الذي كان والياً على طليطلة في عصر ملــوك الطوائــف . والكتابة مكونة من قطع من الآجر على النمط العراقي والفارسي، ولا يوجــد مثال سابق لها في عمارة المغرب الإسلامي .

الوصف المعماري :

يشغل المسجد مساحة مربعة طول ضلعها 8م، وقد أضيفت إليه زيادة في الناحية الشمالية الشرقية عبارة عن حنية كنسية أضيفت بعد تحويل المــسجد إلى كنيسة. وهو عبارة عن قاعة صلاة مقسمه بواسطة بائكتين من العقود كل منها من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين وأكتاف حائطية إلى ثلاثة أساكيب موازية وأخرى متعامدة على جدار القبلة وهى مساحات مربعة(شكل27) يغطي كل منها قبة من ضلوع متقاطعة أي تسع قباب تتميز بثراء لا مثيل له كمــا يتميــز البناء بالإرتفاع إذ يبلغ حوالي عشرة أمتار .



شكل (27) مسقط أفقي لمسجد باب مردوم في طليطلة

تتكون الواجهة من ثلاثة عقود، الأيسر على شكل حدوة فرس صنجاته من قطع آجر متبادلة بينما العقد الأيمن من خمسة فصوص، أما العقد الأوسط فقد تم توسيعه فإختلف عما كان عليه من قبل. ويعلو فتحات العقود هـــذه عقـــود زخرفية مكونة من عقود حدوة فرس متقاطعة يعلوها زخرفة من خطوط متقاطعة (لوحة26).

والواجهة الأخرى للجامع بها ثلاثة عقود حدوة فرس يعلوهـــا عقـــود نصف دائرية، وفي الجزء العلوي صف من عقود من ثلاثة فصوص تضم بداخلها عقود على شكل حدوة الفرس مكونة من الآجـــر الأحمـــر وقطـــع الحجـــر الرملي(لوحة 27).

ويعتقد مانويل جوميث مورينو أن تخطيط مسجد باب مـــردوم يعتـــبر إبتكار لا يقاربه مسجد آخر في الشرق أو الغرب إلا مسجد الـــدباغين الـــذي أنشئ كتقليد له، وأن كلاهما مقتبس من تخطيط الكنائس البيزنطيـــة، كمـــا أن إستعمال قوالب صغيرة من الآجر يدل على التأثر بنماذج غربية حيث لم يستعمل هذا الحجم في العمارة الأندلسية [1]. وبالإشارة إلى ما ذكره مانويل جوميـــث مورينو، فإنه يجدر الإشارة إن كان هذا النوع من التخطيط وجدت أمثلة له في تخطيط الكنائس البيزنطية، إلا أنه توجد أمثلة من عمائر إسلامية ســـابقة لبنـــاء مسجد باب مردوم مقسمة إلى مربعات متساوية بواسطة بوائك تمتد موازيـــة وعمودية على جدار القبلة، ومن ذلك مسجد بوفتاته في سوسه، مع إخـــتلاف نظام التغطية وكذلك مسجد بلخ بغيران، وضريح نـــابي جـــريس في الموصـــل وكلاهما يرجع إلى القرن 3هـــ/9م . وأيضًا نظام تخطيط وتغطية مشهد طباطبا

---

[1]) مورينو ، مانويل جوميث : المرجع السابق .ص ص 237– 250 .

بمصر ويرجع إلى سنة 332-339هـ/943-950م، وضريح السبعة وسبعين ولي نهاية ق 4هـ / 10م، وتغطيه تسع قباب أيضا.

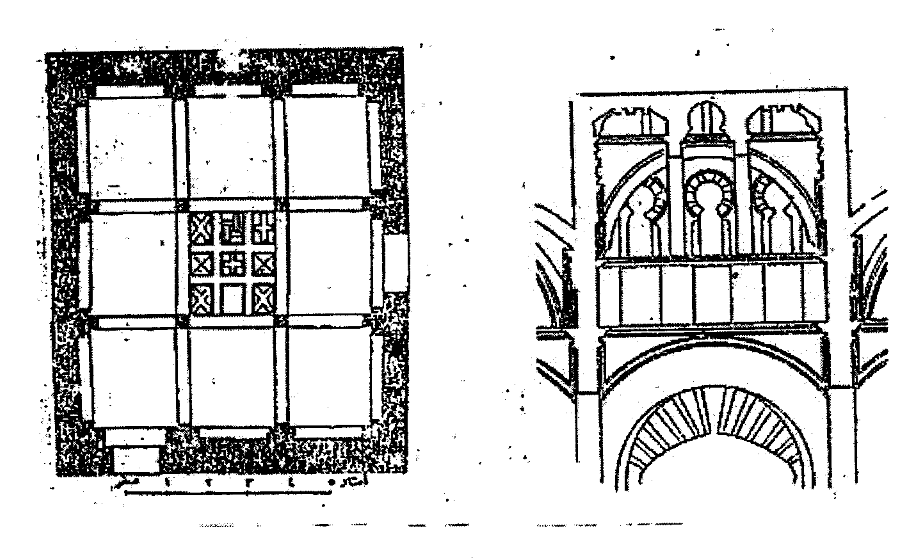
كما يظهر في مسجد باب مردوم التأثر بطرز العمارة في غرب وشـرق العالم الإسلامي، ومن ذلك أن أعمدة المسجد والمجلوبة من عمائر سابقة كانت بدون قواعد كما هو الحال في جامع عقبة بن نافع، ولكن أضيفت إليها قواعـد حجرية في تاريخ لاحق. كما يجمع بين عناصر الفن القرطبي وبين عناصر الفـن الوافد من شرق العالم الإسلامي وبخاصة من إيران والعراق وسوريا، ويظهر ذلك في طريقة تنفيذ الكتابة بقطع من الآجر. وفي إستخدام الأحجار في بناء المسجد بالتبادل مع الآجر. وفي أشكال العقود على شكل حـدوة الفـرس، والعقـود الزخرفية المكونة من ثلاثة فصوص أعلى المحراب.

وهذا المسجد على الرغم من صغر مساحته فإنه يمثل أهميـة كـبيرة في تاريخ العمارة كما أنه كمثال لعمارة فترة ملوك الطوائف في طليلة التي كان لها تأثير كبير في العمارة المدجنية في قشتالة.

مسجد الدباغين

وقد أثر تخطيط مسجد باب مردوم في مسجد الـدباغين بطليطلـة . ويرجع بناؤه إلى فتح بن إبراهيم الأموي (ويعرف بابن القشاري)، كما يكنى بأبي نصر. ويعرف المسجد الآن باسم " كاسادي لاس تـونير يـاس (مـترل الدباغين) .

حيث ان المسجد الذي يقع في الطابق الثاني ، مكون من مساحة مستطيلة أبعادها 8.90×7.65م وأقصى إرتفاع 6.60م . ويشبه المسجد في تخطيطه مسجد باب مردوم مع إستبدال الأعمدة الأربعة التي تتوسط مساحته إلى أربع دعامات وكذلك شكل الأكتاف الحائطية، كما أن الأساطين التي ينقسم إليها المسجد مستطيله بينما كانت في مسجد باب مردوم مربعة(شكل28).



شكل(28) مسقط أفقي لمسجد الدباغين في طليطلة .

ولكن المسجد يتفق مع مسجد باب مردوم في نظام تقسيمه الـــداخلى ووجود أكتاف حائطية تستند عليها عقود وجميعها شبيهة بما في مسجد بـــاب مردوم وكلها من نوع حدوة الفرس. وفي نظام التغطية بالقباب نصف كروية من عقود متقاطعة . ويتوسط جدار القبلة محراب معقود بعقد حدوة فـــرس مـــن صنجات مختلفة الإرتفاع. وتوجد في جدار القبلة نوافذ صماء (مضاهيات) من

عقود ثلاثية الفصوص أو على شكل حدوة الفرس أو عقد مستقيم أو من عقدين توأمين على شكل حدوة الفرس .

وقد حدثت على المسجد عدة تغييرات نتيجة لما لحق به من خراب، إذ سدت بعض العقود الحائطية، وعقد المدخل . وبعد أن كان المدخل يتوسط الجدار الشمالي الغربي مواجهاً للمحراب فقد أصبح في أحد أركان هذا الجدار. كما كان المسجد يتميز بزخارفه الجصية، ولكن غُطيت بطبقات من السناج نتيجة لإستعمال المسجد كمصنع للشموع. كذلك فقد ضمت أحد أساطين المسجد إلى المترل المجاور.

قصر الناعورة

أنشأه المأمون بن ذي النون ملك طليطلة سنة 455هـ/1063م . وقد سمي بقصر الناعورة لأنه كانت توجد ناعورة إلى جانب قبة الزجاج التي أنشئت في وسط البحيرة التي عملت بالقصر. وكانت تجلب الماء من نهر طليطلة إلى روض القصر. وقد اندثر هذا القصر. ويعتقد البعض أن آثار القصر الذي يعرف بقصر جوليانا بمدينة طليطلة هي آثار قصر الناعورة، وأمكن من خلال هذه الآثار التعرف على طريقة بنائه، والتي تتناوب فيها مداميك الحجر مع مداميك الآجر. وهي الطريقة التي استخدمت في بناء مسجد باب مردوم، كما تعرفنا على أشكال عقوده التي كانت من النوع النصف دائري والمفصص، والتي وجدت أمثلة لها في مداخل الغرف .

الفصل الثامن

عمارة الموحدين في بلاد الاندلس

يقترن الوجود الموحدي في بلاد الأندلس بمدينة أشبيلية الـــتي تقـــع في جنوب أسبانيا، ويرجع إسمها إلى الكلمة القديمة إشبالي أو Hispalli . وهي التي تسمى الآن سيفيليا Sevillia . وترجع الأصول الأولي لهذه المدينـــة إلى عصر الأيبريين، ثم تطورت في العصر الفينيقي، والعصر الإغريقي، وكـــذلك في عصر القرطاجانيين. وإن كان طارق بن زياد قد إستطاع الإستيلاء على العديد من مدن أيبرية بعد إنتصاره على القوط في معركة لوكة سنة 93هـــ /712م ، إلا أن أشبيلية لم تسقط في أيدي المسلمين إلا على أيدي موسى بن نصير، الذي ظل يحاصرها لعدة أشهر نظراً لحصانتها ومناعتها . وقد اتخذها موسى بن نصير عاصمة لملكه . وذلك نظراً لموقعها على البحـــر، وســـهولة إتـــصالها بالمـــدن الأندلسية، بالإضافة إلى سهولة الوصول منها إلى بلاد المغرب ، حيـــث تمركـــز الجيوش الإسلامية . إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً، حيث تحولت العاصـــمة إلى قرطبة سنة 98هـــ/717م على أثر مقتل عبد العزيز بن موسى في أشبيلية.

وقد نال أشبيلية ما تعرضت له بقية عواصم ومدن الخلافة الإسلامية من الإضطراب والفوضى نتيجة للصراع بين العرب والبربر والمولدين، إلا أن ذلـــك قد إنتهى مع دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس حيث استطاع التغلـــب على الفوضى ونشر الأمن والإستقرار في مختلف البلاد .

وقد شهدت اشبيلية اثناء فترة الحكم الإسلامي بعض التغيرات الدينيـــة والإجتماعية ، فبعد أن كانت مركز المسيحية في أيبرية أصبحت مـــن المراكـــز الإسلامية المتميزة .كما كان لسياسة التسامح التي اتبعها حكام الأنـــدلس مـــن المسلمين أكبر الأثر في إقبال أعداد كبيرة من سكان أشبيلية على إعتناق الإسلام ، وبذلك أصبحت من أكبر المراكز الإسلامية ، كما حدث بها تغير اجتمـــاعي

وذلك نتيجة للتزاوج الذي حدث بين العرب الوافدين والأسبانيات، ونشأ جيل جديد " المولدين " من آباء عرب وأمهات أسبانيات. وقد زاد عدد المولدين في أشبيلية حتى أصبحوا يمثلون الغالبية العظمى خلال القرن 3هـ/9م .

وفي سنة 484هـ/ 1091م قام المرابطون بالزحف على أشبيلية بحجة حمايتها من هجمات " الفونسو " ملك قشتالة ، إلا أن المرابطين إنغمسوا في الترف ، فأتاحوا بذلك الفرصة لمنافسيهم من الموحدين للزحف على الأندلس .

وفي سنة551هـ/ 1156م بايع أهل أشبيلية عبد المؤمن بن علي الموحدي أميراً لهم ، فاختار أشبيلية حاضرة لبلاد الأندلس ، ثم تولى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الخلافة بعد أبيه في سنة 560هـ/1164م . ومن المعلوم أنه ولد في قرطبة، وقضى شطراً من حياته في أشبيلية، لذلك فإنه فضل أشبلية على مراكش التي كانت عاصمة للموحدين في بلاد المغرب ، وقام بإعمار عاصمته أشبيلية بمختلف العمائر التي اتسمت بالضخامة والجمال والثراء الزخرفي الذي أخذوه عن أهل الأندلس .

وفي سنة 609هـ/1212م استطاعت القوات الأسبانية الإنتصار على الموحدين في معركة "العقاب" ، ومن أهم أمراء الموحدين الذين كان لهم فضل في تجميل أشبيلية أبو العلاء إدريس بن أبي يوسف يعقوب الذي حكم في الفترة من سنة 615هـ/ 1218م إلى سنة 628هـ/1230م . وقد حاول أن يعيد لأشبيلية بناؤها الذي كان على عهد أبيه ، كما اهتم بتحصينها، فأقام بها سنة 618هـ/1221م برجاً ضخماً، وهو برج الذهب الذي لا يزال قائما حتى اليوم، ويتكون البرج من طابقين كل منهما من اثنى عشر ضلعاً ، وتؤدي إليه فتحة باب في الجهة الشمالية الشرقية منه . وقد أضيف إليه في القرن 19م

جوسق مغطى بقبة مكسوة ببلاطات خزفية مذهبة (لوحة 28). وربما يكـون ذلك السبب في تسميته ببرج الذهب، أو أن يكون المسمى نتيجة لأنه كان مكاناً مخصصاً لحفظ الذهب. كما جدد أسوار المدينة، وأقام أبو العلاء إدريس بن أبي يوسف يعقوب سورا أمامياً ،وحفر خندقاً حول الأسوار. وبمـوت أبي العـلاء إدريس توارى الأمل في الحفاظ على أشبيلية ، خاصةً وقد سقطت المـدن الـتي تشكل خط دفاع لها مثل قرطبة وقرمونة وحصن الفرج وحصن القصر والقلاع وقلعة جابر. وفي سنة 646هـ/ 1248م دخلت قوات قشتالة مدينة أشـبيلية بعد حصار طويل دام لمدة سبعة عشر شهراً .

وعلى الرغم من ضياع الكثير من المعالم الإسلامية في إشبيلية ، إلا أنهـا مازالت تحتفظ بتخطيطها الإسلامي القديم . فلم يستطع الأسبان طمس الهويـة الإسلامية لهذه المدينة . إذ أنها تتبع النظام السائد في تخطيط المـدن الإسـلامية، حيث تنقسم إلى قصبة أو شارع أعظم، تتفرع منه مجموعة من الأحياء، ويحيط بالمدينة بكاملها سور حصين(لوحة 29) ، كما تنتشر حولها الأرباض . وكانت المدينة تشتمل على مسجدين الأول وهو مسجد بن عدبس – السابق الإشـارة إليه –، أما المسجد الآخر فهو المسجد الجامع بالقصبة الذي أسسه أبو يعقـوب يوسف ، والذي تقوم عليه الآن كاتدرائية أشبيلية . وكان هذا المسجد يتوسط المدينة ، وتتفرع منه كافة الشوارع المؤدية إلى مختلف أنحاء المدينـة . كمـا أن العمائر التي أقيمت على منشآت إسلامية قامت على نفس تخطيطها مع بعـض التغييرات التي تتناسب والغرض من المنشأة ، كما احتفظت هذه المنشآت بالكثير من الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية بعد إعادة توظيفها ، ومـن ذلـك الكنائس التي أقيمت على أساسات المساجد الإسلامية. والتي استخدمت صوامع

هذه المساجد كأبراج للأجراس، إلا أن أبدانها ظلت تحتفظ بالزخارف المستمدة من زخرفة التوريق العربية ، وأشكال العقود التوأمية التي تفتح في جدرانها.

ومن مظاهر التأثر بالطراز المعماري الإسلامي في أشبيلية تخطيط الدور أو المنازل التي تعتمد في تخطيطها على عنصر الفناء الداخلي، وكـذلك في خلـو جدرانها الخارجية من الزخارف، بينما تغطى جدرانها الداخلية بأنواع مختلفة من الزخارف.

نظراً للأهمية التجارية لمدينة اشبيلية التي نشأت من موقعها فقد تعـددت بها المنشأت التجارية ومن أهمها الفنادق. كما تبقى بالمدينة جزء من الجسر الذي أقامه أبو يعقوب يوسف سنة 568هـ/1172م ، وكان يصل عن طريقه الماء إلى باب قرمون، ثم يتوزع على الدور وغيرها من منشآت المدينة. أما عن العمارة الحربية الإسلامية في مدينة أشبيلية، فقد ابتكر المرابطون نظاماً جديداً في عمـل أسوار مدينة أشبيلية، يتمثل في انكسار في الزوايا الداخلية والخارجية للـسور، بحيث تشكل أشكال خطوط متعرجة ومنكسرة، ويؤدي ذلك بالتالي إلى سهولة حصار المهاجمين، وما زال قطاع من هذا السور قائما بمدينة أشبيلية حتى اليوم ، ويعرف باسم سور مقارنة ، ويمتد من باب مقارنة حتى باب قرطبـة، وتوجـد بعض بقاياه في حديقة معهد الوادي، ويتقدم السور أسوار أمامية أقل ارتفاعـاً تعرف باسم البرباكانة أو البربخانة. وإن كانت الأصول الأولى لهذا السور ترجع إلى المرابطين ، فقد كان للموحدين دورهم في تحصين هذا السور ،فقد شيد سور أشبيلية الأمامي السلطان الموحدي أبو العلاء إدريس سنة 626هـ/1228م ، وحفر أمامه خندقاً مازالت آثاره باقية ، وهو الذي مد من سور أشبيلية سـوراً قليل الإرتفاع يعرف باسم " الفورجة "، ينتهي إلى نهر الوادي الكبير، وإلى برج

الذهب القائم حتى العصر الحديث. وكانت الأسوار الأصلية لمدينة أشبيلية قد شيدت في عهد عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " في سنة 230 – 234هـ/844 – 848 م . وقد هدم هذا السور وأقيم سور آخر سنة 414هـ/1043م . وفي سنة 520هـ/1126م قام المرابطون ببناء السور . وقام الموحدون بإصلاح الضلع الجنوبي والضلع الغربي من السور وبناء سور خارجي وتعليته . وقد تبقى من أبواب أسوار مدينة أشبيلية باب قرطبة، والذي ترجع عمارته إلى عصر المرابطين، وذلك للتشابه بينه وبين باب لبلة الذي يرجع إلى نفس العصر . كما تبقت أجزاء من السور في كل من الجهة الشمالية والجهة الشرقية ، ويتخلل السور أبراج مربعة مصمتة، يشغل الجزء العلوي منها غرفة مغطاة بقبو متقاطع ، فتحت في ثلاثة أضلاع منها مزاغل . وهذه الأبراج المربعة المصمتة شبيهة بالأبراج المربعة المصمتة في سور قصبة ماردة التي أنشأها عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " سنة 220هـ/835م .

ومن أهم الآثار التي خلفها الموحدون في أشبيلية بقايا القصر الإسلامي، وكذلك بقايا المسجد الجامع بأشبيلية .

مسجد القصبة بأشبيلية

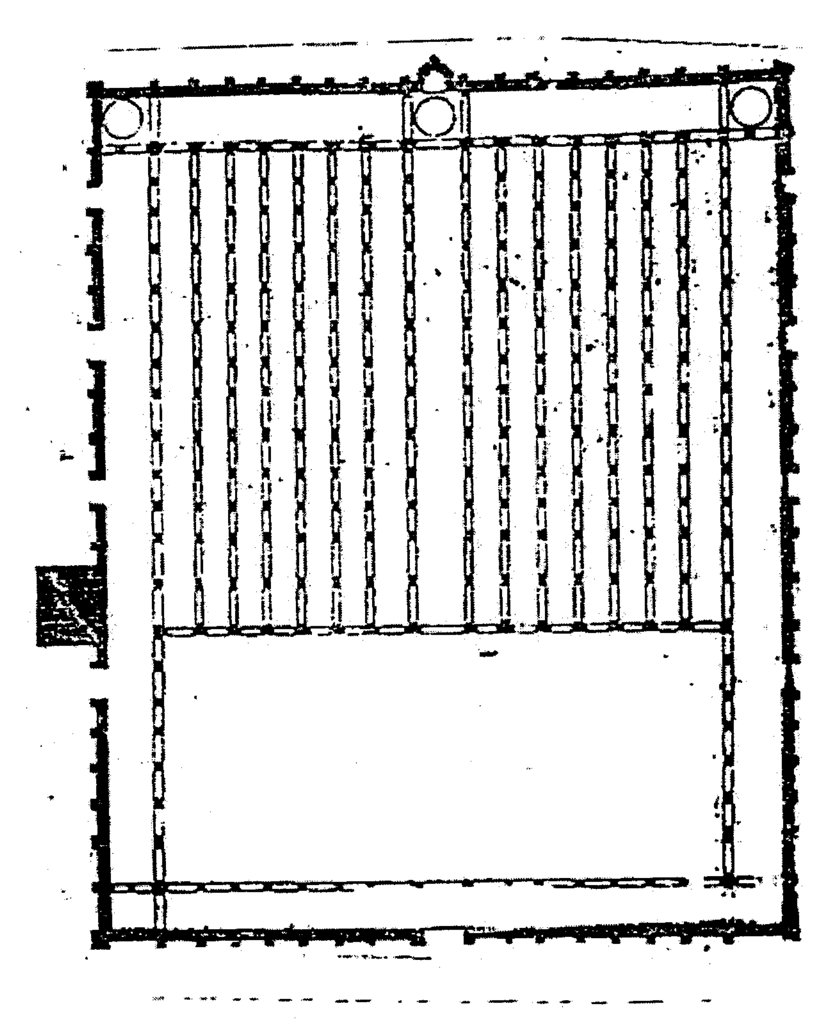
أمدنا المؤرخ ابن صاحب الصلاة، الذي عاصر بناء هذا الجامع بمعلومات تاريخية هامة عنه ، وما ارتبط به من أحداث. وقد ذكر أن الجامع بناه أبو يوسف يعقوب الموحدي على أنقاض المسجد الموحدي القديم، وذلك في سنة 564هـ/1168م، بعدما ضاق المسجد القديم " جامع عدبس " بالمصلين،

وأشرف على البناء العريف أحمد بن باسة. وكان لهذا الجامع ساباط على يسار المحراب يصل منه الخليفة من القصر إلى الجامع، وله باب على يمين المحراب، كما كانت توجد حجرة للمنبر، كما كان للجامع مقصورة خشبية بديعة . وانتهى بناء الجامع سنة 577هـ/1181م .

الوصف المعماري :-

يتكون من مساحة مستطيلة، تتخللها تسعة أبواب، أربعة فى كل من الضلع الشرقي والغربي، كما يوجد باب فى منتصف واجهة ظلة المؤخر على نفس محور المحراب. وينقسم الجامع إلى صحن مستطيل مكشوف فى مكان غير متوسط من الجامع، تفتح عليه ظلة القبلة والمؤخر من خلال خمس عشرة عقداً، أما المجنبتان فتشرف كل منهما على الصحن من خلال سبع فتحات من عقود متجاوزة منكسرة، وقد هدمت المجنبتان سنة 1028هـ/ 1618م .

وتتكون ظلة القبلة من خمس عشرة بلاطة متعامدة على إسكوب المحراب، ولا تصل إلى جدار القبلة إلا في المواضع الثلاثة المخصصة لإقامة القباب، حيث يتخلل سقف إسكوب المحراب ثلاث قباب، واحدة فوق مربعة المحراب، وواحدة فى كل ركن من أركان الإسكوب. والبلاطة الوسطي أكثر البلاطات اتساعاً، وتفصل بين البلاطات ست عشرة بائكة، تتكون كل منهما من ثلاثة عشر عقداً، فيما عدا البائكتين على جانبي البلاطة الوسطى، والبائكتان الجانبيتان، إذ تتكون كل منهما من أربعة عشر عقداً (شكل29). ويغطى ظلة القبلة سقف جمالونى مغطى بطبقة من القرميد المزجج .



شكل(29) مسقط أفقي لجامع القصبة في أشبيلية .

الصومعة :-

بناها أبو يعقوب سنة 580هـ/1184م، وأشرف محمد أبي مروان الغرناطي والي أبي يعقوب على أشبيلية على البناء، وقام بالإشراف عليها العريف أحمد بن باسة. وعندما تصدعت سنة 584هـ/1188م أشرف على اصلاحها

العريف علي الغمارى المغربي. وتشغل الصومعة مكاناً بارزاً عن الجدار الشرقي للجامع فى مقابل العقدين الأخيرين من ناحية الصحن بين بلاطات ظلة القبلة . وتتكون من بدن مربع يبلغ ارتفاعه 96م، يشتمل على ممر داخلي منحدر، تقطعه ست حجرات صغيرة حتى يصل إلى الشرفة . ويتوسط الشرفة جوسق، تغطية قبة كان يعلوها ثلاثة كرات ضخمة مذهبة تعتبر أبدع ما عمل للصوامع، إلا أنه بعد أن احتل الأسبان أشبيلية قاموا بوضع تمثال سان تاف بإرتفاع 5م وهو تمثال دوار لذلك أطلق على الصومعة " الخيرالدا " أي الدوارة (لوحة 30).وكما هو المتبع في صوامع بلاد الأندلس فإن بدن الصومعة مغطى بكامله بزخارف هندسية متقنة ، كما شملت هذه الزخارف سماعة باب الصومعة والتي تعد تحفة فنية رائعة الجمال ومعبرة عن جوانب الأبداع في الفن الإسلامي في الأندلس ، وذلك من حيث تكوينها العام وتشكيل حوافها بشكل مفصص وما تشتمل عليه من زخارف دقيقة وكتابات متقنة (لوحة31).

وقد حول الأسبان الجامع إلى كاتدرائية، كما حفروا تحت قبة المحـــراب قبراً للرحالة كريستوفر كولمبوس . إلا أنه تبقت بالجامع بعض المعالم الإسلامية، ومنها بعض البوائك والعقود والباب الذي يوجد فى شمال الصحن، ويطلق عليه الأسبان باب الغفران [1].ومدخل الصومعة

([1]) للمزيد عن جامع قصبة أشبيلية انظر :-

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله آئمة وجعلهم الوارثين، ج2، تحقيق عبد الهادي التاذى، بيروت، **1964**م، ص ص **271-286** .
- عبد الله عنان (د) : الآثار الأندلسية الباقية فى آسيا والبرتغال، القاهرة، **1961**م، ص ص **38-39** .

الفصل التاسع

عمارة بلاد الأندلس

في عصر بني نصر

يرتبط تاريخ أسرة بني نصر " بني الأحمر بمدينة غرناطة [1]. وكانت غرناطة عندما فتحها المسلمون مدينة صغيرة لا أهمية لها، وتابعة لولاية البيرة، ثم حلت غرناطة محل البيرة، وسميت الولاية باسمها . أخذت أهمية غرناطة في الازدياد في القرن 5هـ/11م حينما اتخدها بنو زيري عاصمة لهم، فأحاطوها بسور، وأقاموا بها القصور والمساجد إلى أن انتزعها منهم المرابطون . وقد بلغت المدينة أقصى اتساعها في عصر الموحدين، وبنى بها اسحق بن يوسف عبد المؤمن " والي غرناطة " من قبل المستنصر قصرا يعرف اليوم باسم " قصر الشنيل " ، نسبة إلى نهر شنيل الذي يحد غرناطة من الجنوب متفرعا من نهر الوادي الكبير، كما أقام رباطاً للعبادة.

وقد شهدت غرناطة ازدهارا معمارياً في عصر بني الأحمر [2] الذين استقروا بها منذ سنة 635هـ/1238م وحتى سقوطها في قبضة فرناندو وايزابيلا في 1 ربيع الأول سنة 897هـ/2 يناير 1492م، أي أنها ظلت عاصمة لبني الأحمر " بني نصر " لما يزيد عن مائتين وستين عاماً قاموا خلالها

---

(1) اسم غرناطة نسبة إلى ثمرة الرمان الذي يعرف في اللغة القشتالية بـ Granada. (أنظر: شاك، فون: المرجع السابق، ص 114).

(2) سمي بني الأحمر بهذا الاسم نسبة إلى جدهم عقيل بن نصر والذي كان يلقب بالأحمر . نظراً لشقرته .

بإنشاء العديد من المنشآت مثل الحصن " قصبة الحمراء " الذي شيده محمد بن نصر ، والمسجد الجامع بالحمراء الذي أقامه أبي الجيوش نصر، وهدمه الأمبراطور فيليب الثاني في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م ، وأقام مكانه كاتدرائية . وترجع معظم مباني الحمراء الباقية إلى يوسف بن إسماعيل، سابع حكام بني نصر.

وكانت غرناطة ملجأ لمسلمي الأندلس عندما اشتدت هجمات الأسبان عليهم، وأخذت المدن الأندلسية تسقط بأيدي الأسبان، ففي الفترة من سنة 625هـ/1227م حتى سنة 641هـ /1243م سقطت مدن مارده وبطليموس وقرطبة وأشبيلية وبلنسيه وجزائر البليار وشاطبة ودانية ومرسيه. وظلت غرناطة مأوى للفارين إلى أن سلم أبو عبد الله محمد المدينة، وبكى فقالت له أمه قولتها الشهيرة " لك أن تبكي كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال "، وانتهى بذلك الوجود الإسلامي بالأندلس بعد أن استمر بها قرابة ثمانية قرون .

قصور الحمراء بغرناطة

أطلقت كلمة الحمراء على حصن صغير بني في القرن 3هـ/9م، يقع على الطرف الغربي لهضبة السبيكة. وبعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة سنة 635هـ/1238م بدأ في تشييد قصر الحمراء ليكون قاعدة لـ " بني نصر " . ولا يرتبط اسم الحمراء ببني الأحمر، فقد سميت هذه المنطقة فى القرن 3هـ/9م بالحمراء، نسبة إلى لون تربتها الذي يغلب عليه اللون الأحمر لزيادة أوكسيد

الحديد بها، ومثل هذه التسمية أطلقت على مدينة مراكش أيضا لأنها حمراء التربة والأسوار، فمنذ تأسيس المدينة في عصر الموحدين أطلق عليها " حمــراء لمتونــة الموحدين " وحمراء الحوز لوقوعها وسط سهل الحوز.

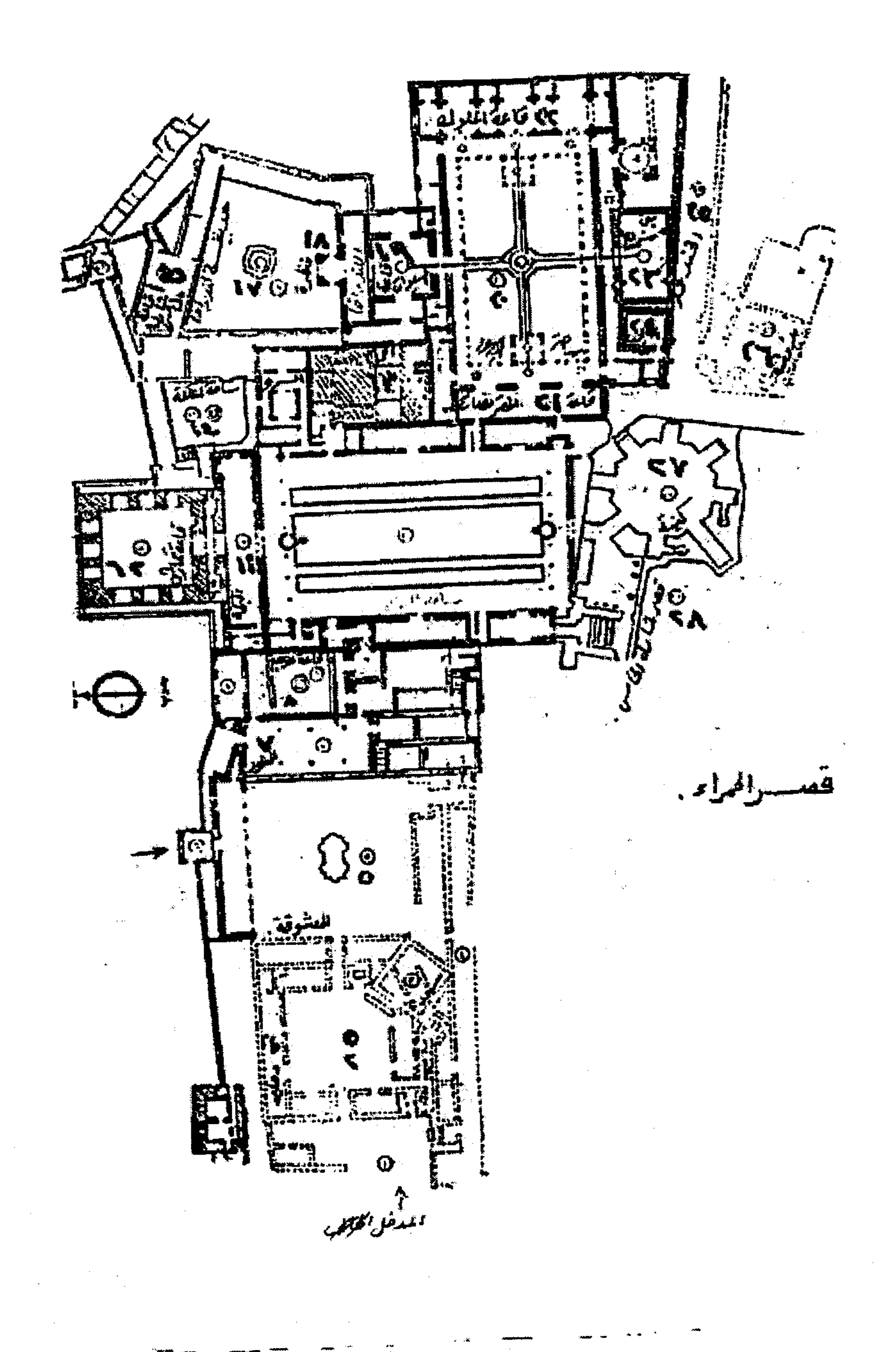
ويعد قصر الحمراء من أحسن القصور الإسلامية بالأندلس حالاً، وربما يكون من عوامل بقاءه أنه استعملت في بنائه الطابية "Tapia "، وهي مــزيج من التراب والجير والأحجار الصغيرة، وهي طريقة مستخدمة في البناء في إفريقيا وأسبانيا منذ العصر الروماني، فقد ذكر بلينيو Plinio صلابة الجدران التي تقام من هذا الخليط، وأنها تدوم طويلا، وتقاوم المطر والعواصف والنيران، وأصــلب من كل ألوان الملاط . وقد سبقه في ذكر هذه المادة ابن خلدون [1] .

الوصف المعماري :

تتكون قصور الحمراء من مجموعات معمارية يتوسط كل منــها بهــو فسيح وتربط بينها دهاليز أو غرف. وقد تبقى من هذه المجموعــات مجموعــة المشور ومجموعة ساحة الريحان وبها برج قمارش الذي يعلوه قاعة السفراء وقــد بني هاتين المجمعوتين أبو الحجاج يوسف 733-755هـ/1333-1354م.

أما المجموعة الثالثة فهي مجموعة ساحة السباع ويحيط بها أربع قاعــات وهي قاعة المقرنصات ويقابلها رواق الملوك العرب، وقاعة بني سراج في الــيمين يقابلها قاعة الأختين في اليسار. وقد بني هذا البهو السلطان محمد الملقب بالغني بالله ثامن سلاطين بني الأحمر من سنة 755-793هـــ/1354-1391م. **إضافة إلى مجموعة البرطل التي زال معظمها(شكل 30).**

([1]) ابن خلدون. عبد الرحمن : المقدمة ، جـ 2، ص 320 .



شكل(30) مسقط أفقي لقصر الحمراء في غرناطة .

هذا من حيث التكوين العام، أما من حيث التفاصيل فإنه كان يـؤدي للقصر مدخل رئيسي يعرف باسم "باب الشريعة " ، عليه كتابة تشير إلى المنشئ وهو أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبي الوليد بن نـصر كافي " كافئه الله " في الإسلام صنائعه الذاكية، وتقبل أعماله الجهادية، فتيـسر ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة (1348م). وأطلق عليه باب الشريعة لوجود مصلى بالقرب منه مخصص لصلاة العيدين، وصـلاة الاستسقاء، كما يسمى باب العدل لوجود رسم يد ومفتاح عليه، واليد ترمز إلى العدل، والمفتاح يرمز إلى دخول العرب مدينة الحمراء[1]. وهناك رأي بأن إليـد ترمز إلى أركان الإسلام الخمسة . وكان السلطان يصدر الأحكام عنـد هـذا الباب . يؤدي الباب إلى ممر معقود، في الناحية اليمنى منه محـراب، وفي نمايتـه مصلى به لوحة رخامية مضافة تشير إلى تاريخ تسليم المدينة للأسبان . وينتـهى الممر بباب يعرف باسم باب النبيذ، عليه نقش باسم محمد الخامس الغالب بالله، وآيات من سورة الفتح. ويؤدي الباب إلى ساحة الجب، على اليمين منها قصر شارل الخامس الذي حل محل قسم من قصور الحمراء ، وإلى إليـسار قـصبة الحمراء .

كان الدخول للقصر عند إنشاء من باب في نماية ميدان الجب . أما الآن فيتم الدخول إلى القصر من ممر يؤدي إلى دهليز، ينتهى إلى قاعة المشور ، الـتي كانت وسط سلسلة من القاعات لكنها تهدمت .

وتتكون مجموعة قصور الحمراء الحالية من قسمين :

([1]) محمد السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور ، ص **144** .

1ـ **المشور** : وهو عبارة عن قصر صغير، تبقت منه القاعة الكبرى، وتـــشتمل على كتابات تتضمن اسم السلطان محمد الملقب بالغني بالله . وخلف هذه القاعة يوجد مصلى ما زال يحتفظ بمحرابه الأصلي، كما توجد القاعة الذهبية المشتملة على زخارف مذهبة، وتوجد ساحة إلى جنوبها سقيفة بها بابان أحدهما " الأيمن " يؤدي إلى المدخل الأصلي للقصر لكنه سد الآن .

وكان قسم المشور مخصصاً للموظفين الذين يعاونون السلطان . وقـــد زالت معظم أجزاء القصر الرئيسية، وتبقت فقط بعـــض الزخـــارف الجـــصية والفسيفساء الرخامية . وكما ذكرناأعلاه فإن تخطيط قصور الحمراء يقوم علـــى نظام الساحات المكشوفة، التي يحف بها في بعض الأحيان بوائك مـــن العقـــود، خلفها ممـــرات يدخل منها إلى القاعات التي على جوانب هذه الساحة، ومـــن ذلك :-

ـــ ساحة الريحان وتتوسطها بركة مستطيلة، وأحواض تحف بجوانبـــها أشـــجار الريحان، وقد بنها محمد الخامس . ويؤدي باب ساحة الريحان الـــشمالي إلى بهو صغير يسمى " بهو البركة "، يدخل منه إلى معظم قاعات قصور الحمراء، والتي تشتمل على قاعة السفراء داخل برج قمارش(لوحـــة 32). ويـــرى البعض أن كلمة قمارش جمع أسباني لكلمة " قمرية "، وذلك لوجود عـــدد كبير من القمريات بهذه القاعة . وهناك رأي أن الاسم مأخوذ مـــن اســـم مكان بالقرب من مالقة، ربما يكون سكانه هم الذين بنو قصر الحمراء، أو كانوا مكلفين بالدفاع عنه [1] . ومن أهم ملامح القاعة الزخارف الكتابية

([1]) **المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج1، ص ص 282-284 .**

التي تشير إلى أبي الحجاج، وأبيات من الشعر، وآية الكرسي، وشعار بـــني نصر(لوحة 33) ، بالإضافة إلى زخارف نباتية دقيقة متقنة .

ـــ ساحة السرو يدخل إليها من يمين بهو البركة، وهي مـــستحدثة في العهـــد الأسباني، ويعرف بفناء السرو لوجود أشجار السرو على جوانبه .

ـــ الحمامات السلطانية تقع إلى جانب بهو السرو . وتعتبر هذه الحمامات مـــن أروع الحمامات العربية. ويتكون الحمام من قاعة استقبال ، وهـــي ردهـــة تشتمل على نافورة وسريرين من الطوب المكسو بالقرميد في داخل مساحة معقودة بعقدين على ثلاثة أعمدة، يلي قاعة الاستقبال الغرفة الدافئة، بهـــا حوض كبير يتصل من خلال أنابيب ببيت النار، وهناك أنبوب ينشر العطر في الغرفة . والغرفة الساخنة بها حوض كبير .

ـــ قاعة الأختين تقع شرق بهو البركة، وأطلق عليها هذا الاسم لأنها تشتمل على قطعتين متشابهتين وفريدتين من المرمر .أو لأنها توجد بها حنيتان [1]، ويحيط بالقاعة مجموعة من الشرفات، تسمى الشرفة الرئيسية بدار عائشة – نـــسبة إلى عائشة زوجة السلطان النصر بن أبي الحسن الغالب بالله بن سعد، الذي تولى العرش سنة 868هـــ/1463م، وأم أبو الحجاج يوسف وعبد الله بن محمد آخر سلاطين بني نصر بغرناطة[2]– والقاعة معقودة بعقدين حدوة فرس حافتهما مفصصة، يرتكزا على عمود أوسط، وتملأ كوشتي العقد زخارف

([1]) شاك، فون : المرجع السابق، ص **168**.

([2]) قام زوجها أبو الحسن بسجنها مع ولديها في برج قمارش وذلك بعد أن تزوج من أسيرة أسبانية جميلة أنجبت له ولدين " سعد" و" نصر"، والتي استطاعت أن تؤثر على زوجها أن يجعل الملك لإبنها.

نباتية دقيقة، كما يحيط بهما إطار من كتابات، تعلـوه مسـاحة مملـوءة بزخارف موضوعة داخل أشكال هندسية .

2ـ **ساحة السباع "الأسود"** : من أجمل أجنحة قصر الحمراء، ويدخل إليهـا من الباب الجنوبي لقاعة الأختين ، كما يؤدي إليها باب صغير مفتوح في الجدار الفاصل بين ساحة السباع، وساحة الريحان، الذي كان المقر الرسمي لسلاطين بني الأحمر للإستقبالات والحفلات. وقد أنشأ ساحة السباع السلطان محمد الخامس " الغني بالله " 755-793هـ/ 1354 -1391م . وقد بقيت هذه السـاحة محتفظة بمعظم معالمها، وذلك لأن الملك فرناندو وزوجته إيزابيلا اتخذاها مسكناً لهما.

وساحة السباع عبارة عن فناء مستطيل تتوسطه نافورة السباع الشهيرة، التي يحمل حوضها إثنى عشر أسداً رخامياً، يخرج الماء من أفواههم إلى نافورتين(لوحة34) ، إحداهما بغرفة بني سراج، والأخرى بغرفـة الأخـتين . ويحـف بالساحة في الضلع الشرقي والغربي كشكين ، يتكون كل منهما من اثنى عـشر عقداً محمولة على عشرين عموداً، ويغطيه قبة نصف كروية مزخرفة بأشـكال هندسية (لوحة 35) . ويحيط بالفناء مائة وأربعة وثلاثين عمودا مـن الرخـام الأبيض، موزعة فرادى ومثنى وثلاث ورباع. وبعض تيجانها تشتمل على شعار بني الأحمر " لا غالب إلا الله " . وخلف أعمدة الفناء والكشكين يوجد ممـر. ويدور حول الفناء رفرف خشبي محمول على كوابيل مزخرفـة، وفى سـاحة السباع توجد بعض التأثيرات المسيحية مثل امتزاج الرنوك بالزخارف، وتعقـد الزخرفة، وقرب الزخارف من الطبيعة، وهى عناصر نجدها فى العمائر المسيحية. وخلف الممر توجد القاعات مثل قاعة بنى سراج، التي يدخل إليها من منتـصف

الضلع الجنوبي للفناء، وبنى سراج وزراء بني نصر في غرناطة، وكان لهم دور هام فى أحـــداث الفترة الأخيرة من حكم بني نصر لغرناطة [1] .

وقاعة الملوك فى الناحية الشرقية من ساحة السباع " تعرف أيضا بقاعـــة العدل "، وهي مكونة من مجموعة من الحجرات المربعة والمـــستطيلة، وتعـــرف الوسطى منها بحجرة الملوك، وذلك لأنها تشتمل على رسم عشرة فرسان بملابس وهيئات عربية. هى تمثل ملوك غرناطة العشرة الذين تولوا الحكم من محمد الغني بالله إلى أبي الحسن والد أبو عبد الله، ونلاحظ بهذه الصور تأثيرات إيطالية ممـــا يرجح إشتراك فنانين إيطاليين فى رسمها.

ـــ قاعة اللندراخا سميت كذلك لأنها تطل على حديقة لندراخا، ويقـــال أنهـــا تحريف لجملة "عين دار عائشة"، وعين تعني النافذة، وعائشة هى والـــدة أبى عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة. تقع شمال قاعة ساحة السباع وشمـــال قاعة الأختين.

ويوجد ين قاعة الأختين وقاعة اللندراخا رواق به بـــاب، يـــؤدى إلى ساحة مستطيلة أنشأها الملك شارلمان، يتصل بها رواق ضيق، يؤدى إلى"متـــزين الملكة "، وهو يقع فى الطرف الشمالي لقصر الحمراء تحت البرج المسمى" بـــرج المتزين ". وقد أنشئى البرج فى عهد يوسف أبو الحجاج، بينما أنشئى المتزين فى القرن 16م، وهو قاعة صغيرة منخفضة السقف، تشتمل على صور وزخـــارف مسيحية (شكل 30).

---

[1]) يوجد على النافورة التي توجد في قاعة بني سراج نقاط حمراء يقال أنها من دم بنى سراج عندما قضى عليهم بني الأحمر .

ملحقات قصر الحمراء :

الروضة والمسجد :

خارج قصر الحمراء توجد الروضة وهي مدفن ملوك بنى نصر. وكان يوجد فى ذلك المكان مسجد الحمراء فى جنوب الروضة، والذي أنشأه السلطان محمد الثالث 709 - 720هـ/1309-1320م، وكان مسجداً صغيراً لكنه من أفخم مساجد غرناطة. وعندما احتل الأسبان غرناطة أقاموا به هيكلاً، ثم هدم سنة 984هـ/1576م فى عهد فيليب الثانى ابن شارلمان، وأقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ذات البرج الشاهق . ولم يتبق من آثار هذا المسجد سوى مصباح برونزى بديع محفوظ فى متحف مدريد.

قصر جنة العريف [1] :

يقع شمال شرق قصر الحمراء. بني فى أوآخر القرن 7هـ/13م، يتكون من مدخل بسيط يؤدى إلى ساحة كبيرة، يتصدرها ممر ذو ثلاثة عقود، نقشت عليه أبيات من الشعر. وكان هذا القصر مصيفاً لسلاطين غرناطة، حيث أنه محاط بحدائق غناء، تتوسطها البركة والنوافير.

وقد اضافت الملكة " أيزابيلا " طابقا علوياً كان جزءاً منه متحفاً، ولكن حالته ساءت الآن وخرب، بينما بقي الطابق السفلي الأندلسي الأصيل. ويبدو أنه لا يعود إلى عصر بنى نصر، لأنه يشتمل على نص يشير إلى أن أبا الوليد إسماعيل الأول بن فرج جدده سنة 719هـ/1319م بعد انتصاره على don

---

([1]) تعني كلمة العريف في بلاد المغرب والأندلس المعماري ، فيقال عرفاء البناء أي المعماريين .

pedro, don juan [1] الوصيين على ملك قشتالة، وكـان ذلـك سـنة 718هـ/ 1319م، وانتصر فيها المسلمون رغم قلة عددهم. وقـد وصـف الرحالـة الإيطـإلى نافـارو navagero قـصر جنـة العريـف سـنة 933هـ/1526م، وغيره من أجزاء قصور الحمراء قبل أن يقوم الإمبراطـور كارلوس الخامس بتغيير الكثير من معالمها.

قصر البرطل :

يقع شرق ساحة السباع، وهو عبارة عن مجموعة من المبانى تشمل برج السيدات، وقاعة أمامها رواق، وأمام هذه المجموعة بركة ماء . ويلاصق الـبرج عدة منازل .

****

ومن آثار أسرة بني نصر بمدينة غرناطة :-

ـ فندق الفحم :

بني في القرن 8 هـ/14م ، وسمي بهذا الاسم لأنه خصص في القـرن 17م لتجارة الفحم، بينما كان يعرف من قبل بالفندق الجديد. ويتكون مـن مساحة مربعة يؤدي إليهـا مـدخل تـذكاري بـارز في الـضلع الـشمالي الغربي.(لوحة36) ويفضي المدخل إلى ممر مسقوف على أحد جانبيـه غرفـة الحارس، و على الجانب الآخر غرفة الفندقي، ويؤدي الممر إلى فناء مكـشوف يتوسطه حوض مياه. ويحيط بالفناء رواق خلفه مجموعة الغرف في ثلاثة طوابق، وتشرف هذه الأروقة على الصحن ببوائك من عقود (لوحة 37).

---

(1) شاك، فون : المرجع السابق، ص 145.

الفصل العاشر

تعريف ببعض طرز العمائر الإسلامية في الأندلس

المترل :

جاء تخطيط المترل في بلاد الأندلس متمشياً مع الظروف البيئية لهذه البلاد. وقد خضع تخطيط المترل في الأندلس للشكل الذي كان عليه المترل في عصور ما قبل الإسلام . إلا أنه قد حدث تطوراً كبيراً في بناء المنازل منذ عهد عبد الرحمن الداخل وبنيه . و لم يتخذ المترل الأندلسي طابعه المميز إلا في عهد ملوك الطوائف ، وبلغ أوج إزدهاره وتطوره في عهد الموحدين وبني نصر . وقد وصف ابن سعيد المغربي دور الأندلس بأنها في غاية الجمال حتى أنه عندما قارنها بما شاهده من البيوت المصرية جعلها في مرتبة أعلى منها بكثير، حيث وصف البيوت المصرية بأن منظرها يكدر العيون .

ويتكون البيت الأندلسي من جزءين أساسيين ؛ الجزء الأول ويمثل الواجهة الخارجية، ويغلب عليه طابع البساطة ، حيث كان يخلو من الزخرفة ، ويأتي ذلك مخالفا لما كان عليه الوضع في داخل المترل، حيث كان يهتم بزخرفته إلى درجة كبيرة، وذلك لأن القسم الداخلي كان يمثل محور النشاط في المترل، كما أنه يكاد يكون مقر الإقامة الدائمة للنساء .

أما القسم الثاني فيتمثل في داخل البيت ، ويؤدي إليه مدخل يفضي إلى الفناء، بينما كان المدخل في البيوت البسيطة يشكل على هيئة ممر منكسر. وقد حدث تطور في شكل الواجهات، وبصفة خاصة في عصر بني نصر في القرن 7هـ/13م، ويتمثل ذلك في الإهتمام بالجانب الزخرفي، الذي كان يتركز بشكل أساسي على كتلة المدخل، حيث كان المدخل يحاط بأطر وأعتاب مليئة بالزخارف، كما كان يوضع على جانبيه عمودين صغيرين من الرخام، ويعلو العتب فتحات نافذة مزدوجة معقودة ترتكز على عمود أوسط . كما كان

يوجد رفرف يستند على كابولي ؛ نصفه السفلي من الجص، ونصفه العلوي من الخشب، وكلاهما مزخرف بزخارف دقيقة . وكان هذا الرفرف أو المظلة يعمل بهدف حماية الزخارف الجصية، وبلاطات الزليج التي تغطي الواجهة من حرارة الشمس . كما كانت الواجهات الخارجية للمترل تزود في بعض الأحيان "بشراجيب" أو شماسات ، وهي أشبه بالمشربيات في المنازل المصرية. وكانت مثل هذه الشراجيب أو المشربيات تعمل لحجب النساء، كما أنها كانت تغطي الشرفات البارزة ، والتي تعمل على توفير حيز من الظل في الشوارع التي تطل عليها . كما كانت تطل على الواجهة حجرة كبيرة بارزة، تستند على مساند وتعرف بالغرفة البرانية . وكانت مثل هذه الغرف تحجب الضوء، وتخفف حرارة الجو، حيث أنها كانت تمثل ممرات مسقوفة للشوارع التي تعلوها . كما أنها تؤدي في نفس الوقت إلى إستغلال مساحة من الشارع .

ويعتبر الفناء عنصراً أساسياً في عمارة المترل الأندلسي، وكانت تمتد على جوانبه البائكات، التي تستند على أعمدة رخامية رشيقة . كما كانت جدران الممرات، والتي توجد خلف هذه الأروقة تغطى بالزليج، بينما يتوسط الفناء فوارة أو نافورة للمياه. وقد اقتصرت البيوت البسيطة على وجود آبار للمياه دون وجود الفوارة، وجاءت مثل هذه الفوارت أو الآبار وما يحيط بها من الأشجار متمشية مع طبيعة بعض المدن الأندلسية التي كانت تخلو من الأنهار مثل أشبيلية ومالقة .

وكانت توجد في الأحياء التجارية منازل بسيطة، تتكون من غرفة واحدة تعلو الحانوت يؤدي إليها درج يوجد إلى جانب الحانوت . وكانت تتخلل هذه الغرف فتحات صغيرة للإضاءة والتهوية. ويطلق على هذه الغرف

في مصطلح أهل الأندلس " لفظ مصرية ". ومازال هذا التعبير مستخدما في اللغة الأسبانية .

ومن أمثلة المنازل في بلاد الأندلس مترل يرجع إلى القرن 9هـ/15م في غرناطة، وكان موجودًا حتى القرن الماضي، إلا أنها هدمت . وتدل الأساسات على أن المترل كان مكوناً من بهو مربع يبلغ طول ضلعه خمسة أمتار، وعلى جوانبه بائكتين، تتكون كل منهما من ثلاثة عقود، بينما كانت الجدران التي توجد خلفها تغص بالزخارف الجصية المتنوعة، التي تشتمل على بعض الكتابات مثل عبارة "التوحيد"، وشعار بني نصر "لا غالب إلا الله"، كما كان يعلو عتب الباب نوافذ توأمية معقودة بعقود نصف دائرية، ترتكز على عمود أوسط، وكان يحلي إطارت هذه العقود زخارف جصية متنوعة، بالإضافة إلى بعض الكتابات منها "العزة لله" . وقد وصف " روبيلز " مترلاً في غرناطة يرجع إلى عصر بني نصر، وذكر أنه مكون من فناء مستطيل، على ثلاثة جوانب منه بوائك من عقود، تستند على أعمدة ، ويؤدي إلى المترل فتحة باب معقودة . وتغطي جوانب العقد زخارف نباتية . ويغطي الحجرات أسقف جمالونية منحدرة . كما عثر في المرية على أساسات مترل ترجع إلى القرن 8هـ/14م.

مما سبق يتضح أن تكوين المترل في بلاد الأندلس لم يختلف من حيث التصميم العام عما هو عليه تصميم المترل في العالم الإسلامى، حيث أنه يعتمد اعتماداً أساسياً علي الفناء الداخلي "البهو" الذى تتوزع حوله بقية وحدات المترل. إلا أنه يتميز ببعض العناصر مثل الغرفة البرانية، التي تغطي جزءاً من الشارع، والرفرف الذي يعلو لواجهات .

القصر:

عندما فتح المسلمون بلاد الأندلس أقاموا في القصور التي كانت موجودة بها، حيث كان لكل مدينة قصبة بداخلها قصر يقيم به الأمير، ويدير شؤون الحكم منه. وقد استولى المسلمون على هذه القصاب مثل قصبة غرناطة، وقصبة باجة . إلا أنه في عهد بني أمية بدأ المسلمون في بناء القصور منذ عهد عبد الرحمن الداخل، وكذلك في عصر عبد الرحمن الناصر، وبلغت مبلغاً كبيراً في عهد الحكم المستنصر. وفي عصر ملوك الطوائف الذي خلف العصر الأموي ازداد الإهتمام ببناء القصور، ومن أهمها قصر الناعورة في طليطلة، وقصر الجعفرية بسرقسطة، وقصر القصبة بمالقة، وقصر السمادحية بالمرية، وقصر الشراجيب بشلب، وقصر ابن عباد في أشبيلية (لوحة 38) .

وقد عثر على بقايا قصر يرجع إلى عصر المرابطين أمكن من خلاله التعرف على الشكل العام الذي كانت عليه عمارة القصر في تلك الفترة، وكانت المصادر التاريخية قد حفلت بأوصاف القصور التي أقامها حكام المرابطين في المدن المختلفة، ومنها قصر البحيرة بالقرب من باب أشبيلية والذي أمده بالمياه من قلعة جابر والقصر الموحدي بقصبة أشبيلية. أما في عصر بني نصر فقد ازداد الإهتمام ببناء القصور، ويعتبر قصر الحمراء، وقصر البرطل، وقصر جنة العريف من أهم نماذج القصور في هذه الفترة. وقد تبقت بمدينة أشبيلية قاعة الجص من القصر الذي أقامه أبو يوسف يعقوب الموحدي على أنقاض أحد القصور من عصر المرابطين، والذي كان يتكون من بهو ضيق مستطيل المساحة، في أحد ضلعيه القصيرين يوجد عقد أوسط منكسر، على كل جانب منه ثلاثة عقود صغيرة، وتستند هذه العقود على أعمدة مجلوبة من أحد قصور بني عباد، ويلتف

حول تقوس العقود خطوط متماوجة. أما الجدار المقابل فيتألف من ثلاثة عقود على شكل حدوة الفرس، تستند على عمودين، كما تبقى من هذا القصر قبـــة مكونة من إثني عشر ضلعاً متقاطعة، وهي تشبه قبة المحراب في جامع تلمسان .

الفندق :

كانت المنشأت التي تخصص لإيواء التجار وعرض بضائعهم تسمى عند اليونان أجورا ، وعند الرومان باسم هوريا . وقد تأثر المسلمون في الأندلس بهذا النمط من المنشآت واتخذوه في مدنهم، وكانت مثل هذه المنشآت تسمى في بلاد الأندلس باسم " فونديجا "، وانتقلت إلى الأسبانية باسم " فوندا "، وهو المكان الذي يأكل فيه النزلاء وينامون . ويماثل الفندق في بلاد المغرب والأندلس الخان أو الوكالة ، أو السمسرة في بلاد المشرق الإسلامي ، حيث أنها كانت أماكن تخصص لمبيت التجار، وخزن بضائعهم أو عرضها للبيع ، وكانت تسمى بأسماء السلع التي تباع فيها أو بأسماء أصحابها. وقد كثرت الفنادق في أماكن النشاط الإقتصادي من المدن الأندلسية، والتي تتركز بشكل أساسي في المكان الذي يوجد به الجامع الكبير . وقد ذكر الإدريسي أن مدينة المرية كان بها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م تسعمائة وسبعون فندقا .

أما عن تخطيط الفندق في بلاد الأندلس فإنه يتكون من فناء أو بهو غالبا ما يتخذ الشكل المستطيل، ويتوسط البهو فوارة للسقاية، تحيط به بوائك من العقود، خلفها ممرات يدخل منها إلى الحجرات. وتخصص حجرات الطابق الأرضي لخزن البضائع، كما يوجد بها إسطبل لإيواء الدواب . أما حجرات الطوابق العليا فإنها تخصص لإقامة التجار وعرض بضائعهم. ويؤدي إلى الفندق باب معقود بعقد متجاوز أو منكسر على شكل العقود الموحدية، ويؤدي المدخل إلى ردهة يغطيها قبو نصف اسطواني. وتقوم غرفة الفندقي فوق هذه الردهة، وكان المتبع عدم وجود فتحات نافذة أو شرفات في الجدران الخارجية لكافة الغرف التي يتكون منها الفندق، وذلك تجنبا للسرقة ، بينما تستمد الضوء والهواء

من فتحات الأبواب والنوافذ التي تطل على الممرات التي تفتح على البهو، بينما كان من المتبع أن تفتح في الجدار الخارجي لغرفة الفندقي فتحة نافذة معقودة بعقدين، ترتكز على عمود أوسط حتى يمكنه من خلالها مراقبة باب الفندق.

وكان المتبع في فنادق الأندلس عدم إشتمالها على مطابخ لإعداد الطعام، بل كان على النزلاء أن يشتروا طعامهم من الخارج. كما لم تكن توجد بالغرف أسرة، بل كان الفندقي يزود النزلاء بحصير للنوم عليها .

ويظهر مما سبق أن التكوين المعماري بالفندق لا يختلف من حيث الشكل العام أو التفاصيل المعمارية عن نظيره من المنشآت التجارية "الوكالات-الخانات-السماسر" في بلاد الشرق الإسلامي . ومن أهم أمثلة الفنادق في العمارة الإسلامية بالأندلس فندق الفحم بغرناطة [1] .

التحصينات:

وصلنا من بلاد الأندلس مجموعة من الحصون ، حيث كان للظروف التي مرت بها هذه البلاد، والصراع مع القوى المسيحية التي كانت تتربص لإستعادة سيطرتها عليها ، بالإضافة إلى وجود فترات من الصراع بين بعض الأسرات الحاكمة لبلاد الأندلس ، أكبر الأثر في الإهتمام بالعمارة الحربية وتحصين المدن .

ومن أهم الحصون التي وصلتنا حصن القصر، ويوجد في منطقة الشرف جنوب غربي أشبيلية . وكان هذا الموقع من الأماكن التي اعتاد المعتمد بن عباد أن يقضي فيه أوقات نزهته. وقد أثبتت الحفريات التي أجريت في هذا المكان أن الحصن أقيم على بقايا مبان رومانية قديمة. أما البقايا الإسلامية فيه فتتمثل في

([1]) عن فندق الفحم انظر ، الجزء الخاص بالعمارة في عصر بني نصر ، من هذا الكتاب .

بقايا الأسوار، ومن الحصون الأخرى حصن المدور الذي يقع على الطريق ما بين قرطبة وأشبيلية، وقد بني هذا الحصن سنة 142هـ/759م. وبنيت أسواره الخارجية بشكل متعرج، حتى تتوافق مع شكل النشز المقام عليه الحصن، كما تتخلل جدرانه أبراج مصمتة.

ومن أشكال الحصون التي وصلتنا القصاب، ومن أهمها قصبة المرية التي تقع في الجزء الشمالي من مدينة المرية على قمة جبل مرتفع، وتمتد القصبة إمتداداً كبيراً من الشرق إلى الغرب، وعلى طول هذا الإمتداد توجد أبراج موزعة بشكل غير منتظم، وكما هو الحال في معظم القصاب فإنه كان يوجد بها باب يصلها بالمدينة، كما كانت تشتمل على مسجد مازالت آثاره باقية. وتمتد القصبة على ثلاثة مرتفعات غير متساوية في ارتفاعها. كما أسفرت أعمال التنقيب عن كشف حمام كان مكونًا من خمس غرف تمتد على صف واحد . ويلاحظ في هذه القصبة أنها تتبع في بعض أجزائها أسلوب البناء المتبع في طراز عصر الخلافة .

ومن القصاب قصبة مالقة، التي أقامها الأمير عبد الرحمن الداخل لحماية مدينة مالقة من غارات النورمانديين، ثم أعيد بناؤها على أيدي باديس الصنهاجي، وذلك في الفترة من سنة 449هـ/1057م، حتى سنة 457هـ/1064م . ويتخلل أسوارها مجموعة من الأبراج مشيدة من الأحجار مع ملاط بسيط، كما أن الأسوار تجمع في بنائها بين الحجر والآجر. وقد اكتشفت بقايا القصر ومجموعة من الغرف التي كانت مخصصة للعاملين في البلاط.

وعندما توطد ملك المسلمين في بلاد الأندلس قاموا بإنشاء مجموعة من القلاع، وذلك لمواجهة أطماع الأسبان المستمرة، ورغبتهم في طرد المسلمين من

الأندلس. وتدل معظم المدن التي أسسها المسلمون في الأندلس على أنها اكتسبت الصبغة الحربية، ومنها قلعة جابر، وحصن الفرج .

تقع قلعة جابر على بعد 12كم من أشبيلية. وتعد هذه القلعة من أهم أمثلة الحصون الإسلامية في الأندلس، وتشكل القلعة مدينة صغيرة، تشتمل على كافة المنشآت الخدمية. وقد عرفت باسم قلعة جابر في عهد الموحدين، بينما كان يطلق عليها من قبل اسم قلعة " الرعواق ". وقد جدد الموحدون هذه القلعة وأسوارها، وزودوها بالخنادق، وتشبه أسوارها أسوار أشبيلية. وكانت القلعة تتكون من سياجين، بينهما سور فاصل، يتوسطه باب، وعندما إستولى فرناندو على المدينة أجرى إصلاحات بالقلعة، كما أجريت بها إصلاحات في القرن 10هـ/16م، وعندما استولى الفرنسيون على المدينة في القرن 12هـ/18م خربوا أسوارها، كما فتحوا فيها العديد من الفتحات للمدافع، مما أدى إلى تغيير مظهر القلعة، إلا أن أبراج الموحدين مازالت تحتفظ بالكثير من معالمها الأصلية .

الخاتمة

مما سبق يتضح ما يلي :

- ينطبق على عمارة بلاد المغرب والأندلس خاصية الوحدة والتنوع التي تعد من أهم خصائص الفن الإسلامي ، إذ أن هذه العمائر وإن كانت تتبع في تخطيطها النمط التقليدي الذي ساد في معظم بلاد العالم الإسلامي ، إلا أنها تتميز بخصائص تميزها مثل وضع القباب على أجزاء من إسكوب المحراب ،والبلاط الأوسط . وتميزت معظم هذه القباب بأن ظواهرها مضلعة ، بينما كانت بواطن بعضها من ضلوع بارزة ، وهو الطراز الذي ظهر أولاً في بلاد الأندلس ثم انتقل إلى عمارة بلاد المغرب ومنها قبة المحراب في جامع تلمسان. كما تميزت عمارة بلاد المغرب والأندلس بالمآذن المربعة الأبدان المزخرفة بثراء والمداخل التذكارية البارزة. وإنفردت عمارة بلاد الأندلس بالعقود المتراكبة.
- قدمت بلاد المغرب والأندلس تراثاً من العمائر الدينية والمدنية التي تتميز بفخامة البناء وثراء الزخارف ، مما يجعلها من مفاخر الحضارة الإسلامية .
- وفدت على عمارة بلاد المغرب والأندلس تأثيرات متبادلة بينها.كما كان للظروف السياسية دورها في نقل تأثيرات مشرقية إلى بعض بلاد المغرب التي تعرضت للغزو العثماني. و لم يكن الأمر قاصراً على التأثر ، بل أثرت عمارة بلاد المغرب والأندلس بشكل كبير في عمارة بعض بلاد شرق العالم الإسلامي .كما أثرت العمارة الأندلسية في العمارة الأوروبية.

ـــ تعرضت الكثير من العمائر الدينية الأندلسية إلى تغيير لمعالمها وخاصة بعد تحويلها إلى كنائس مما أدى إلى تغيير في تخطيطها بما يتناسب مع إستعمالها ككنائس او كاتدرائيات. كما حولت صوامعها إلى أبراج للأجراس وقواعد تماثيل .

ملحق

معجم مصطلحات العمارة في المغرب والأندلس

إسكوب :

تجمع أساكيب، وهو مصطلح يطلق في العمارة الإسلامية بشمال إفريقيا والأندلس على المساحة المحصورة بين جدار وبائكة من العقود، أو بين بائكتين من العقود الممتدة موازية لجدار القبلة [1] .

باربخانة — باربكانة :

سور يتقدم السور الأصلي للمدينة ويكون أقل ارتفاعاً منه ، وذلك بغرض زيادة التحصين . ويوجد مثال له في سور مدينة أشبيلية .

برشلة :

تطلق على السقف المشكل بهيئة جمالون في بلاد المغرب الأقصى .

بلاط :

هي المساحة المحصورة بين بائكتين أو بين بائكة وجدار ، وتمتد متعامـــدة علـــى جدار القبلة أو موازية له ، والغالب أن تكون متعامدة على جدار القبلة ، حيث شاع استخدامها في عمارة بلاد المغرب ، ومنها البلاط الأوسط الذي يكـــون

([1]) أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل . دار المعارف. القاهرة . 1961م . ص 92 .

أكثر اتساعاً عن بقية البلاطات ، حيث ورد عند " البكري " على نهاية البلاط الأوسط قبة البهو " .

بيت الصلاة :

مقدم المسجد أو ظلة القبلة .

بيلة :

عبارة عن حوض يعرف بهذا الاسم في المصطلح المغربي ، ويعني المكان الذي يجتمع في أسفله الماء، ويتوسط دار الوضوء [1] .

تربيعة :

يطلق في العمارة الليبية على الجزء من القبو الممتد بطول الرواق، حيث يتم تقسيمه لفواصل ينتج عنها مساحات مربعة ، ومن أمثلته في العمارة الليبية تربيعات الأقبية في مسجد " بن مقبل " ، ومسجد " بن سليمان " [2] . ومن أمثلته في العمارة التونسية اقباء مسجد بو فتاتة في سوسة .

جامور :

تطلق في بلاد المغرب العربي على الجزء العلوي من الصومعة ، ومن ذلك ما ورد عند وصف [illegible] صومعة الجامع الكبير بقلعة بني حماد بالجزائر من أن الصومعة ما زال معظمها موجوداً إلا القسم الأعلى " السلامات والجامور " [3] .

---

(1) سوسن محمود سليمان (د) : جامعة القرويين . ص 92 .

(2) صلاح أحمد البهنسي (د) : العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول . 958 – 1123هـ/1551–1711م . رسالة دكتوراة . كلية الآثار . جامعة القاهرة . 1994 . ص 315.

(3) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص ص 315–316 .

حجرة مواقيت :

الحجرة التي تجاور الصومعة من أعلى سطح المسجد ، وكانت تحتوي على مجموعة مـــن المنجانات " الساعات " . ويذكر " تيراس " أن هذه الحجرات لم تظهر بهذا الترتيب إلا مع أوائل المساجد المرينية . وهناك حجرة تسمى " مبيت المراعي " ، وهي حجرة مخصصة لإقامة مراعي أوقات الصلاة في المساجد، وكانت تجاور الصــومعة ، وتخصــص لإقامة المؤقت لأوقات الصلاة [1] .

حدارة :

مكعب من الحجر أو الرخام يوضع ما بين القرمة والطنفة أعلى تيجان الأعمدة، وذلك لزيادة ارتفاع المساند التي تستند عليها أرجل العقود، وبصفة خاصـــة في العمائر التي كانت تتميز أبدان الأعمدة فيها بالقصر كما هو الحـــال في جـــامع عقبة ابن نافع بالقيروان ، والجامع الأزهر في العصر الفاطمي [2] .

حرد :

تطلق في بلاد المغرب على الشكل الغير متساوي الأضلاع ، فيقال على ســبيل المثال صحن حرد ، وتعني صحن أضلاعه غير متساوية .

حمام :

استخدم لفظ الحمام في العمارة الليبية في طرابلس منذ العــصر العثمـــاني الأول للدلالة على نوع آخر من العمائر كان مخصصاً لإيواء الأســرى الأوروبـــيين .

([1]) محمد محمد الكحلاوي (د) : مساجد الموحدين في المغرب الأقصى والأندلس . ص ص 518 – 519 .

([2]) أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها . ج 1 . العصر الفاطمي . ط 1 . دار المعارف . القاهرة . 1965 . ص 52 .

وكما ذكر الأسير الأوروبي " جيرارد " فإن هذه التسمية لأماكن إيواء الأسرى قد جاء بها الأسرى أنفسهم ، وشاعت في أوساطهم . حيث كان العرب يطلقون على مثل هذه الأماكن " زنزانة " [1] .

خصة :

مصطلح أهل المغرب ، ويشمل الأنبوب الذي يخرج منه الماء ، والحوض الذي يتجمع فيه الماء ، ومن أمثلته الخصة الحسناء التي أضافها الموحدون بجامع القرويين بفاس في عام 599هـ/1203م ، وهي في الاصطلاح المغربي تعني فوارة المياه . كما يطلق على الخصة مصطلح سقاية ، حيث عرفت الخصة السابقة باسم السقاية، وعندما تداعت في عهد الأشراف السعديين أقاموا بدلاً منها سقايتين متواجهتين على جانبي الصحن [2] .

رباط :

مكان مخصص لإقامة الجند المرابطين للمراقبة والزود عن ديار الإسلام ، وحماية الثغور . وهو منشأة حربية ذات وظيفة دينية . وقد انتشرت الأربطة على امتداد السواحل والحدود ، حتى قيل أن الخبر كان ينتقل من طنجة في المغرب الأقصى إلى الإسكندرية في نفس الليلة ، وذلك عن طريق إشعال النيران في قمم الأبراج التي توجد في هذه الأربطة هذا إذا ما تعرضت البلاد إلى خطر أو هجوم في الليل. أما إذا حدث خطر في النهار ، فيكون إبلاغ ذلك عن طريق الدخان .

([1]) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص 316 .

([2]) سوسن سليمان (د) : مرجع سابق . ص ص 98، 107 .

ومن أهم أمثلة الأربطة رباط سوسة، ورباط المنستير في تونس . ويشتمل الرباط على مجموعة من أبراج الدفاع والمراقبة تتخلل جدرانه الخارجية ، بالإضـــافة إلى حجرات مخصصة لسكن المرابطين، ومسجد أو مصلى، واســـطبل للخيـــول ، وبعض المرافق من المطابخ ودورات المياه .

ربض:

الحي الذي يوجد خارج أسوار المدينة في بلاد الأندلس.

ركابة :

تطلق على الجلسة الحجرية أو الرخامية " المسطبة " التي توجد في عمائر طرابلس الدينية سواء على جانبي دركاة المدخل كما في مدرسة عثمان باشا الساقزلي ، أو في أحد جوانب الفناء المكشوف الذي يحيط ببيت الصلاة ، أو علـــى جـــانبي المحراب في داخل بيت الصلاة ، والتي كانت تخصص لجلوس المعلم أثناء إلقـــاء الدرس .

والركابة على جانبي دركاة المدخل في عمائر طرابلس الغرب تماثل المـــسطبة أو المكسلة في العمائر المملوكية في مصر والشام ، غير أنها وضعت بداخل الدركاة ، وذلك لأن مداخل عمائر طرابلس لم تكن موضوعة في داخـــل حجور كـــالتي كانت توضع بها المداخل المملوكية [1] .

روشن :

تطلق في العمارة الليبية على فتحات النوافذ بكافة أنواعها [2] .

([1]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 318 .

([2]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 319 .

روضة :

تطلق على الضـــريح الذي يلحق بالعمائر الدينية في مختلف بلدان الشمال الإفريقي [1] . حيث كان المتبع في عمائر مدينة طرابلس في العصر العثماني وضع ضريح للمنشئ خلف المحراب، كما كانت توجد بالمدارس مثل هذه الأضرحة وتكون إلى جانب بيت الصلاة ومن أمثلتها الضريح في مدرسة عثمان باشا الساقزلي، كما تطلق على أحواش الدفن ، مثل روضة بني نصر جنوب قصر الحمراء .

زلاقة :

تستخدم في عمارة شمال إفريقيا للدلالة على الدعامات المائلة الساندة للجدران الخارجية للبناء كوسيلة لتدعيم الجدران بداية من العصر الحفصي في تونس وليبيا، وذلك عوضاً عن استخدام الأبراج الأسطوانية أو المستطيلة التي كانت تدعم جدران المباني في الفترات السابقة، كما في رباط سوسة ورباط المنستير . ومن أمثلة استخدام الزلاقات كدعامات مساندة في العمارة الحفصية زلاقات جامع الهواء في تونس القرن 7هـ/13م ، ودعائم جامع عقبة بن نافع بالقيروان، التي أضيفت في العصر الحفصي [2] .

زنقة :

([1]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 319 .

([2]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 438 .

الممر الضيق الذي يصل بين شارعين أو الممر المسدود ، وتتفرع الزنقات أو الزناق من الشوارع التي تتخلل المدينة، كما بزناق شوارع المدن العربية والإسلامية، وبصفة خاصة في المدن القديمة في بلاد شمال أفريقيا والمغرب [1] .

سدة :

تطلق على دكة المبلغ في ليبيا لفظ السدة ، والتي تنسحب أيضاً على الأسرة الخشبية في خلاوى الطلبة أو غيرها [2] . كما ذكرت الكاتبة " توللي " عند وصفها لمقر إقامة يوسف باشا القرمانللي في قلعة طرابلس " السراي الحمراء " بأن الصالة محاطة بثماني حجرات تسمى أربع منها " سدات " وتستخدم غرفاً للنوم [3] .

سقاية :

تعرف الأسبلة في بلاد المغرب الأقصى باسم " سقايات " ، ومن ذلك على سبيل المثال سقايات جامع القرويين في مدينة فاس بالمغرب الأقصى .

ضرب الباب :

طريقة من طرق البناء المستخدمة في العمارة الليبية الدينية والمدنية ، ويستخدم فيها خليط من الجير والرماد أو الرمل وأجزاء من الحجر الجيري أو الآجر والماء ، ويصب الخليط في قوالب من خشب، ويدك جيداً حتى يصبح على هيئة قوالب متماسكة تستخدم في البناء [4] .

---

(1) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 321 .
(2) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص 321 .
(3) توللي : عشرة أعوام في طرابلس . ص ص 260 – 261 .
(4) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 322 .

طابية :

مزيج من التراب والجير والأحجار الصغيرة، وهي طريقة مستخدمة في البناء في إفريقيا وأسبانيا منذ العصر الروماني، فقد ذكر بلينيو **Plinio** صلابة الجدران التي تقام من هذا الخليط، وأنها تدوم طويلا، وتقاوم المطر والعواصف والنيران، وأصلب من كل ألوان الملاط " وقد سبقه في ذكر هذه المادة ابن خلدون [1] وهي طريقة مازالت مستخدمة في شمال أفريقيا [2] . ومن أهم أمثلة المباني المشيدة بالطابية قصور الحمراء في غرناطة .

عرصة :

يطلق في ليبيا على العقد أو القوس ، ومن ذلك مثلاً شارع الأربع عرصات بمدينة طرابلس القديمة ، والذي سمي بهذا الاسم لوجود أربعة عقود على امتداده . وقد تعني الكلمة كل بقعة متسعة بين الدور ليس فيها بناء [3] .

عنزة :

هي الحربة أو اللواء الذي يركزه شيخ القبيلة في الصحراء لتحديد اتجاه القبلة . والمعروف أن مثل هذا الأمر قد اتبع في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وقد ورد في كتاب الجامع من صحيح البخاري أن بلالاً كان يحمل العنزة أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المصلى في العيدين فيركزها في الأرض، ويحدد بها القبلة والسترة [4] .

---

(1) ابن خلدون. عبد الرحمن : المقدمة ، جـ2، ص 320 .

(2) هوست : أخبار المغرب ، ص 263 .

(3) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 322 .

(4) العسقلاني ، ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري . الجزء الأول . ص 106 .

وتطلق العترة في بلاد المغرب على الحاجز الخشبي الذي يفصل ظلة القبلة عن بقية أجزاء المسجد . وكانت عبارة عن ألواح بسيطة من خشب الأرز كما بجـــامع القرويين [1] . كما تطلق العترة بشكل أساسي على المحراب الصغير الذي يتخذ في إحدى الدعامات المشرفة على الصحن لتحديد اتجاه القبلة للمصلين في صحن المسجد .

وقد انتقل هذا العنصر من بلاد المغرب إلى مصر ، وظهـــر في زيـــادة الخليفـــة الفاطمي الحافظ لدين الله في الجامع الأزهر في سنة 524-544هـــ/1129-1149م ، وكـــذلك في ســـقيفة مـــشهد الـــسيدة رقيـــة بمدينـــة القـــاهرة 528هـــ/1133م [2] .

عين الزرزور :

فتحة صغيرة في أرضية شرفات المنازل الليبية ، وخاصة الشرفة التي تـــبرز عـــن جدران الطابق الثاني ، وتعلو باب الدخول إلى المترل مباشرة ، حتى يمكن مـــن خلال هذه الفتحة الصغيرة رؤية الواقف بالباب ، بينما لا يستطيع الواقف بالباب رؤية من بالشرفة لضيق هذه الفتحة [3] .

غرارة :

([1]) سوسن سليمان يحيي (د) : مرجع سابق . ص 93 .

([2]) أحمد فكري (د) : مرجع سابق . العصر الفاطمي . ص ص 141 – 142 .

([3]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 322 .

إحدى طرق البناء المستخدمة في العمارة الإسلامية الليبية ، وهي عبارة عن رص قطع من الحجر الجيري الغير مشذبة ، ثم يصب فوقها نوع من الملاط المكون من الطين [1] .

فورجة :

تطلق في بلاد الأندلس على البناء الذي يمتد متعامداً ما بين السور الأصلي للمدينة والسور الأمامي القصير " البربخانة "، وذلك بغرض تقويتها، أو لكي يكون قناة لنقل المياه من النهر إلى المنشآت داخل السور .

فندق :

استخدمت كلمة فندق في بلاد المغرب العربي من ليبيا إلى المغرب وبلاد الأندلس للدلالة على المنشآت المخصصة لإيواء التجار وعرض وتخزين بضائعهم. ومن أمثلة الفنادق فندق الزهر ، وفندق ميزران بمدينة طرابلس .

وإن كانت كلمة فندق قد ارتبطت بهذه المنشآت في بلاد المغرب والأندلس، إلا أنها قد ظهرت في النص المنقوش فوق باب مدخل فندق العروس والمعروف باسم خان العروس ، والذي شيد في عهد صلاح الدين الأيوبي عام 577هـ/1181م بالقرب من بلدة القطينة على طريق القوافل بين دمشق وحمص [2] .

قبة البهو :

---

(1) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 323 .

(2) منظمة المدن والعواصم الإسلامية : أسس التخطيط المعماري والتصميم الحضري لمدينة القاهرة الإسلامية . ص 479 .

القبة التي تعلو مقدمة البلاط الأوسط من ناحية الصحن . وهي تقليد مغربي ظهر في مسجد القيروان بتونس ، ضمن إضافات سنة 261هـ/875م . كما ظهرت بمسجد الزيتونة بمدينة تونس ضمن الإضافات الفاطمية في عام 381هـ/991م . وظهرت في المساجد الفاطمية في الجامع الأزهر ضمن إضافة الحافظ لدين الله بين سنتي 526-544هـ/1131-1149م . [1]

قصبة :

قصبة المدينة هي الشارع الأعظم بها . وتمثل أكبر شوارعها اتساعاً . وتقسم المدينة إلى شطرين ، ويتوزع على جانبيها باقي خطط وشوارع المدينة .

وتطلق كلمة قصبة في شمال إفريقيا والمغرب والأندلس على القلعة أو الحصن الذي يشيد وسط المدينة، أو في جانب منها ويتصل بأسوارها، وتعمل القصبة كخط دفاع ثاني عن المدينة، وعادة ما كانت تشتمل على مقر إقامة الحاكم أو الوالي [2].

مجنبة :

هي الظلة المقامة على جانبي الصحن من الناحيتين الشرقية والغربية .

مرابط – مربوط :

كلمة تطلق في شمال أفريقيا على الضريح المستقل الغير ملحق بأي مباني . وهو عبارة عن مساحة صغيرة مربعة يتخللها فتحة باب ، وتغطى بقبة ذات قطاع مدبب أو نصف كروية صغيرة ، وفي كل ركن من نهايات الجدران من أعلى

---

(1) أحمد فكري (د) : مرجع سابق . العصر الفاطمي . ط 1 . ص 141 .

(2) أسامة طلعت عبد النعيم (د) : المدخل المنكسر . ص 331 .

شرافة حجرية بسيطة [1] . ويطلق في بلاد المغرب على الأضرحة الصغيرة المغطاة بقباب "مربوط " [2] .

مربعة :

هي المساحة المنحصرة بين أربعة أعمدة أو أربع دعامات ، سواء كانت في بيت الصلاة، أو في مؤخرة المسجد، أو في مجنبة من مجنباته [3] .

مربوعة :

حجرة تلي باب الدخول في منازل طرابلس ، وتؤدي إليها فتحة باب من دركاه المدخل ، كما يفصل بينها وبين بقية وحدات المترل فتحة باب أخرى ، وتسمى مربوعة لأنها تحتفظ في معظم الأحيان بالشكل المربع [4] . وتخصص لاستقبال وإقامة الضيوف ، ويلحق بها في معظم الأحيان دورة مياه .

مساتريح :

يطلق في طرابلس الغرب على الشرفة التي تتقدم وحدات الطوابق العليـــا مـــن المنازل، وتطل على الفناء الأوسط ، حيث تستند على أعمدة رخامية أو خشبية، ويهتم بزخرفة هذا الجزء من البناء بالزخارف الجصية القالبية [5] .

مسيد :

([1]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 323 .
([2]) كمال الدين سامح (د) : العمارة في صدر الإسلام . ص 166 .
([3]) أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل. ص 92 .
([4]) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص 324 .
([5]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 324 .

لفظ محرف عن كلمة مسجد، وقلب الجيم ياء توجد في لغة أهل اليمن وبـــلاد المغرب . ومن المرجح أن هذه التسمية ترجع إلى عصر الدولة الموحدية عنـــدما كانت مسيطرة على شمال إفريقيا من طنجة إلى طرابلس [1] . ويوجد في تونس أثر يسمى " مسيد القبة " الذي تعلم فيه العلامة ابن خلدون [2] .

مشكاة :

دخلة حائطية صغيرة معقودة غير نافذة في جدران المساجد والمنازل في عمـــارة شمال إفريقيا ، وتخصص لوضع أدوات الإضاءة [3] .

مشور :

الساحات الخارجية في القصور الملكية في بلاد المغرب والأندلس [4] .

مصرية :

غرفة صغيرة تعلو مداخل المنازل أو الفنادق في شمال إفريقيا والمغرب والأندلس ، وتخصص في معظم الأحيان لإقامة الحارس أو المسئول عن الفندق، لأنها تعلو باب الدخول ، كما تشرف على الطريق، مما يتيح له المراقبة والحراسة [5] .

مطمور :

([1]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 324 .

([2]) سليمان مصطفى زبيس : مرجع سابق . ص ص 105-106 .

([3]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 325 .

([4]) أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ) : روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس . تحقيق عبد الوهاب بن منصور . المطبعة الملكية . الرباط . 1964م. جـ 12 . ص 13 .

([5]) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 325 .

دهليز أو سرداب أسفل المنازل والقصور يخصص لخزن بعض الأشياء الثمينة ، كما يستخدم في بعض الأحيان كسجن لإيواء الأسرى [1] .وقد اكتشف رفينو المطامير التي كانت توجد أسفل منازل مدينة تونس ويحفظ فيها السكان أشيائهم الثمنية ومواد المعيشة [2].

مقربص :

تطلق في بلاد شمال إفريقيا وبلاد المغرب والأندلس على حلية معمارية [3] تتكون من قطع من الحجر أو الخشب على شكل عقود صغيرة تكون متجاورة ، وكل مجموعة منها تسمى حطة . وتستعمل حطات المقرنصات أعلى الحوائط أو الحنيات أو المداخل أو بمناطق انتقال القباب . وقد ظهرت المقرنصات لأول مرة بعضادة باب مدفن جنبادي كابوس في جورجان بإيران 397هـ/1006-1007م . وفي مصر وجدت المقرنصات لأول مرة في كورنيش الجزء السفلي من صومعة مسجد الجيوشي بالقاهرة 478هـ/1085م [4] .

منجنانة :

تطلق في بلاد المغرب على الساعة الدقاقة وتحتفظ المدرسة البوعنانية في فاس بساعة دقاقة " منجنانة " صنعها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني سنة 758هـ/1356م .

---

(1) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 326 .

(2) عبد العزيز الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، ص 209.

(3) سليمان مصطفى زبيس : القبة التونسية . دراسات في الآثار الإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة 1979م . ص 95 .

(4) منظمة المدن والعواصم الإسلامية : مرجع سابق . ص 442 .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. ابن أبي زرع : القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . الرباط . 1973 .

2. ابن بطوطة : " محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي " ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت . د.ت

3. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي)، صورة الأرض (المسالك والممالك)– طبعة ليدن 1873

4. ابن خلدون . عبد الرحمن : أبو زكريا يحيي بن أبي بكر محمد بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1971 .

5. ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، السفر الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازى، بيروت، 1964م .

6. البكري . أبو عبيد : المسالك والممالك – الجزء الخاص بشمال أفريقيا ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1957 .

7. التجاني (ابو محمد عبد الله بم محمد) ؛ رحلة التجاني في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي (706-708هـ) تقديم حسن حسني عبد الوهاب – تونس 1958.

8. التلمسان ، أحمد بن محمد: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس . جـ 12. تحقيق عبد الوهاب بن منصور . المطبعة الملكية . الرباط . 1964م.

8. الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس. الرباط . 1387هـ/1967م.

9. المقري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 3 أجزاء ، طبعة بولاق .

المراجع العربية

1. أحمد فكري (د) : المسجد الجامع بالقيروان ، دار المعارف ، 1936 .
2. ـــــــــــ : العمارة في الأندلس ، مجلة الكاتب المصري ، مجلد 2 ، عدد 4 يناير 1946م .
3. ـــــــــــ : مسجد الزيتونة ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد 4 ، عدد 2 سنة 1952م .
4. ـــــــــــ : مساجد القاهرة ومدارسها- المدخل ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961 . .
5. ـــــــــــ : مساجد القاهرة ومدارسها- الجزء الأول : العصر الفاطمي، دار المعارف ، القاهرة ، 1965 .
6. أسامة طلعت عبد النعيم (د) : ملامح تخطيط المدخل المنكسر في العمارة الدفاعية . كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثريين العرب . القاهرة . 1999م .
7. ـــــــــــ : العمارة الإسلامية في الأندلس . القاهرة . 2000 .
8. ـــــــــــ : العمارة الإسلامية الدفاعية في مدينة لبله،حوليات إسلامية، العدد 37، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 2003،

9. سليمان مصطفى زبيس : آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي، إدارة الآثار والفنون الجميلة بتونس، مطبعة سابي تونس 1955.
10. ــــــــــــــ : القبة التونسية . دراسات في الآثار الإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة 1979م .
11. سوسن سليمان يحيي (د) : جامعة القرويين . ملتقى مدارس العمارة بالمغرب الإسلامي . مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة . العدد 8 . 1997م .
12. شاك، فون: الفن العربي في أسبانيا وصقلية، ترجمة الدكتور / أحمد مكي. دار المعارف 1985.
13. صلاح أحمد البهنسي (د) : العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول . 958 – 1123هـ/1551-1711م . رسالة دكتوراة . كلية الآثار . جامعة القاهرة . 1994.
14. عبد الحميد عبد السيد : مسجد قديم بمدينة سرت : ترجمة عديلة حسن مياس . مجلة ليبيا القديمة ، منشورات مصلحة الآثار الليبية . طرابلس . المجلدان الثالث والرابع 1966-1967م . روما 1968. ص ص 72-75 .
15. عبد العزيز الدولاتلي :مدينة تونس في العهد الحفصي .تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر . تونس .د.ت.
16. عبد الله عنان (د) : الآثار الأندلسية الباقية في آسيا والبرتغال، القاهرة، 1961م.

17. عبد الهادي التازي (د) : جامع القرويين . الحروف المنقوشة في خدمة الآثار. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. القاهرة . 1973.
18. على فهمى خشيم (د) : الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، ط1، طرابلس، 1974م.
19. فاروق صادق عسكر : مئذنة المسجد الجامع بالقيروان .دراسة آثارية تحليلية . مجلة دراسات آثارية إسلامية . المجلد الثالث . هيئة الآثار المصرية القاهرة . 1988.
20. الفاضل بن عاشور : أثر الحفصيين في إنشاء المدارس في المغرب، الجزء الأول، تونس ، فاس، 1945 .
21. فريد شافعي (د) : العمارة العربية في مصر في عصر الولاة . المجلد الأول . القاهرة . 1971 .
22. كريسويل : الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادي عبيلة ، ط 1 ، دار قتيبة ، دمشق ، 1984 .
23. كمال الدين سامح (د) : العمارة في صدر الإسلام ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . القاهرة ، 1964.
24. محمد حسن سعد (د) : المهدية في الإسلام ، ط 1 ، مصر ، سنة 1953م
25. محمد السيد عبد العزيز سالم (د) : بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة المجلة ، عدد 12 لسنة 1957 .

.26 ــــــــــــــــــــ : بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، عدد 1 ، 2 . 1957م .

.27 ــــــــــــــــــــ : أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية بأسبانيا وفرنسا ، مجلة المجلة ، عدد 14 لسنة 1958 .

.28 ــــــــــــــــــــ : العمارة الحربية بالأندلس ، مقالة بدائرة معارف الشعب ، عدد 64 ، كتاب الشعب 1959 .

.29 ــــــــــــــــــــ : التأثيرات المعمارية في الأندلس في عمارة المغرب الأقصى ، التأثيرات الأندلسية في تونس ، التأثيرات الأندلسية في الجزائر ، مقالة بدائرة معارف الشعب ، عدد 64 ، كتاب الشعب 1959 .

.30 ــــــــــــــــــــ : الأندلس ، مجموعة مقالات عن تاريخ مدن الأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد 61 ، القاهرة 1959 .

.31 ــــــــــــــــــــ : العمارة الدينية بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد 61 ، سنة 1959 .

.32 ــــــــــــــــــــ : جامع قرطبة ، كتاب الشعب ، عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ2 ، عام 1960 .

.33 ــــــــــــــــــــ : مسجد القرويين بفاس ، كتاب الشعب ، عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ2 ، عام 1960.

34. ـــــــــــــــــــــــ : جامع الأندلسيين ، كتاب الشعب ، عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ2 ، عام 1960.

35. ـــــــــــــــــــــــ : مدارس فاس ، كتاب الشعب ، عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ2 ، عام 1960.

36. ـــــــــــــــــــــــ : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ، عام 1962 .

37. ـــــــــــــــــــــــ : العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ، مجلة عالم الفكر ، عدد 1 ، دراسات إسلامية ، 1984 .

38. ـــــــــــــــــــــــ : قصور أشبيلية في العصر الإسلامي ، مجلة عالم الفكر ، عدد 3 ، المجلد 15 لسنة 1984 .

39. محمد محمد الكحلاوى (د) : مساجد المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، ج1، القاهرة ، د.ت .

40. ـــــــــــــــــــــــ : المدارس المغربية . دراسة أثرية معمارية. مجلة العصور . المجلد السادس . الجزء الأول . 1991 م .

41. ـــــــــــــــــــــــ : عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري . كتاب الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثريين العرب . القاهرة . 1999م .

42. محمد محمود الجهيني : مساجد درنة الأثرية وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ، ضمن كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثاريين العرب . القاهرة 1999.

43. مسعود رمضان شقلوف وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، منشورات مصلحة الآثار الليبية ، طرابلس ، د.ت

44. مورينو ، ممانويل جوميث : الفن الإسلامي في أسبانيا . ترجمة لطفي عبد البديع (د) ، السيد محمود عبد العزيز سالم (د) .مراجعة جمال محمد محرز .الدار المصرية للتأليف والترجمة

45. ميسانا ، غاسبرى : المعمار الإسلامي في ليبيا، ترجمة على الصادق حسنين ، طرابلس، 1973م .

46. ميكاكى ، رودلفو : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القره مانلى، تحقيق كمال الخربوطلى، مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى، القاهرة، 1961م.

المراجع الأجنبية

1. Lezine. A. : Mahdiya. Paris. 1965.
2. El- Mahmoudy, A : Post Fifteenth Century A.D Architecture. in Libya. M.A Thesies. Victoria Univ. Canada,1985.
3. Maslow. B. Les Mosquees de Fes et Noad de Maroc Paris. 1934.
4. Terrasse.H La Grande Mosquee de Taza, Paris 1956
5. Warfilli, M.S ; The Old City of Tripoli (AARP), Tripoli ,1976.

فهرس الأشكال

فهرس اللوحات

لوحة (14) : منبر جامع القرويين في فاس .

لوحة (15) : الأبواب التي تطل على البهو بجامع القرويين ويزخرفها الزخارف الثعبانية،كما تظل القبة التي تعلو بلاطة البهو .

لوحة (16) : قبتا المسجد والضريح في مدرسة عثمان باشا الساقزلي بمدينة طرابلس الغرب .

لوحة (17) : منبرالجامع الجديد بمدينة تونس

لوحة (18) : الشرفة بداخل بيت الصلاة بجامع حمودة باشا بمدينة تونس .

لوحة (19) : مئذنة جامع يوسف داي بمدينة تونس .

لوحة (20) : مئذنة جامع محمود خاذندار بمدينة طرابلس الغرب .

لوحة (21) : منظر عام لمسجد قرطبة في الأندلس .

لوحة (22) : صومعة جامع قرطبة .

لوحة (23) : أحد أبواب الجامع الكبير بقرطبة وتظهر الرسوم الآدامية أعلاه بعد تحويل المسجد إلى كنيسة .

لوحة (24) : أحدى واجهات مسجد قرطبة، ويظهر بها الزخرفة من تشبيكات العقود.

لوحة (25) : العقود المتراكبة في بوائك جامع قرطبة .

لوحة (26) : مداخل مسجد باب مردوم والعقود المتشابكة التي تعلوها.

لوحة (27) : الواجهة الشمالية لمسجد باب مردوم بطليطلة .

لوحة (28) : برج الدهب بمدينة أشبيلية .

لوحة (29) : سور مدينة أشبيلية

لوحة (30) : صومعة جامع قصبة أشبيلية " الخيرالدا " .

لوحة (31) : سماعة باب صومعة جامع قصبة أشبيلية " الخيرالدا"

لوحة (32) : برج قمارش وجزء من الرواق الشمالي بقصر الحمراء في غرناطة .

لوحة (33) : شعار أسرة بني نصر " لاغالب إلا الله "

لوحة (34) : ساحة السباع بقصر الحمراء في غرناطة .

لوحة (35) : الأعمدة والعقود والنقوش التي تعلوها في ساحة السباع بقصر الحمراء .

لوحة (36) : مدخل فندق الفحم في غرناطة .

لوحة (37) : فناء وأروقة فندق الفحم في غرناطة .

لوحة (38) : جانب من قصر ابن عباد في أشبيلية .

نماذج الأسئلة

أسئلة الفصل الأول :

1- اعتمد تخطيط مساجد بلاد المغرب على عناصر أساسية. اكتب عن أهم عناصر تخطيط المسجد في بلاد المغرب.

2- تميزت عمارة الصومعة "المئدنة" في بلاد المغرب بعدة خصائص. ادكر أهم عناصر التكوين المعماري والزخرفي للمئدنة في بلاد المغرب.

3- ينقسم الطراز المعماري في بلاد الأندلس إلى ثلاثة طرز رئيسية. اكتب عن المميزات التي تميز كل طراز منها.

أسئلة الفصل الثاني:

1-مرت عمارة جامع عقبة بن نافع بالقيراون بعدة مراحل. تتبع الإصلاحات والتحديدات التي طرأت على جامع عقبة بن نافع مند إنشائه حتى نهاية العصر الفاطمي.

2- يعتبر جامع الزيتونة في مدينة تونس من أهم مساجد بلاد المغرب. اكتب عن تخطيط المسجد وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.

3- يمثل رباط سوسة نمودجا متميزا لعمارة الرباط في بلاد المغرب في العصر الإسلامي. اكتب عن تخطيط الرباط وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.

4- على الرغم من صغر مسجد بوفتاته في مدينة سوسة إلا أنه يشتمل على عناصر معمارية كان لها تأثيرها في العمارة الفاطمية. اكتب عن تخطيط المسجد وطراز تغطيته ومظاهر تأثيره في العمارة الفاطمية.

5- يجمع جامع سوسة الكبير بين عناصر الطراز المعماري الأغلبي والطراز المعماري الفاطمي. تحدث عن عمارة المسجد في عصر الأغالبة وفي العصر الفاطمي.

أسئلة الفصل الثالث:

1-تضم ليبيا بقايا العمائر الفاطمية المبكرة. اكتب عن الآثار الفاطمية الباقية في ليبيا.

2- تمثل مدينة المهدية نمودجا لعمارة المدينة في العصر الفاطمي. ادكر أهم ملامح التخطيط المعماري لمدنية المهدية في العصر الفاطمي، ومظاهر تأثيرها في عمارة مدينة القاهرة الفاطمية.

3- كان لجامع المهدية تأثيره الواضح في عمارة جامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة. تتبع أهم مظاهر تأثير جامع المهدية في جامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة.

4- يمثل جامع تلمسان نمودجا مميزا لعمارة المسجد في بلاد المغرب في عصر المرابطين. اكتب عن تخطيط وعمارة جامع تلمسان في الجزائر.

5- طرأت على جامع القرويين في فاس عدة تعديلات مند انشائه وحتى القرن الماضي. تتبع أهم ملامح تخطيط وعمارة جامع القرويين مند نشأته وحتى نهاية عصر المرابطين.

أسئلة الفصل الرابع:

1- تنعكس في عمارة جامع تنملل الملامح المميزة لعمارة المسجد في عصر الموحدين. اكتب عن تخطيط جامع تنملل.

2- يعتبر جامع تازى من أهم عمائر الموحدين في بلاد المغرب. اكتب عن تخطيط جامع تازى عند إنشائه واهم الإضافات التي أضيفت إليه خلال العصور التالية.

3- تتمثل في عمارة كل من جامع الكتبية الأول والثاني العناصر المميزة لعمارة المسجد في عصر الموحدين. أذكر أهم عناصر تخطيط كل من جامع الكتبية الأول والثاني في عصر الموحدين.

4- يعد جامع قصبة مراكش من الآثار المميزة في عصر الموحدين. اكتب عن تخطيط المسجد وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.

أسئلة الفصل الخامس:

1-اكتب عن تاريخ نشأة المدارس في كل من بلاد المغرب في العصر الإسلامي والآراء المختلفة حولها.

2- تعتبر المدرسة البوعنانية في مدينة فاس نمودجا مميزا لعمارة المدرسة في بلاد المغرب. اكتب عن نشأة المدرسة البوعنانية وعناصر تخطيطها، مع إبراز العناصر المغربية والمشرقية بها.

3- طرأت على عمارة المدرسة في بلاد المغرب في العصر العثماني بعض التعديلات. اكتب عن عمارة مدرسة عثمان باشا الساقزلية بمدنة طرابلس كنمودج لعمارة المدرسة في بلاد المغرب في العصر العثماني.

أسئلة الفصل السادس:

1-كان للعلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس أثرها الواضح في انتقال التأثيرات المعمارية والفنية من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب. تتبع مظاهر التأثير الأندلسي في العمارة الإسلامية في كل من تونس والمغرب الأقصى.

2-اختلفت الآراء حول التأثير العثماني في عمارة بلاد المغرب. ادكر الآراء المختلفة في هدا الخصوص.

3- تتبع مظاهر التأثير العثماني في عمارة المسجد في كل من ليبيا وتونس والجزائر، مع دكر أمثلة لكل مظهر من مظاهر التأثير.

4- يعتبر جامع أحمد باشا القره مانلي في مدينة طرابلس مثالا لما طرأ على عمارة المسجد في ليبيا نتيجة للتأثير العثماني. اكتب عن تخطيط جامع أحمد باشا القره مانلي، وما يشتمل عليه من العناصر المعمارية المتأثرة بالظراو العثماني.

أسئلة الفصل السابع:

1-يعتبر الجامع الكبير في قرطبة من أهم الآثار الإسلامية في بلاد الأندلس. تتبع تخطيط المسجد والإضافات التي أضيفت إليه مند نشأته وحتى فترة حكم المنصور محمد بن أبي عامر.

2- فند الآراء المختلفة التي قيلت حول بعض العناصر المعمارية المشتمل عليها جامع قرطبة وبخاصة العقود المتراكبة والقبة دات الضلوع.

3- يمثل مسجد باب مردوم في مدينبة طليطله نمودجا لعمارة المسجد في بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف. اكتب عن تخطيط المسجد وطراز تغطيته وزخارف واجهته ومظاهر التأثير في كل منها.

4- يعتبر جامع "بن عدبس" بمدينة أشبيلية من المساجد الأولى في هده المدينة ويظهر فيه التأثر بطراز تخطيط جامع قرطبة. اكتب عن تخطيط هدا المسجد.

أسئلة الفصل الثامن:

1-تشتمل مدينة أشبيلية على بقايا أسوار تمثل الطراز المميز لعمارة الأسوار وما يتخللها من الأبراج في عصر المرابطين والموحدين. اكتب عن عمارة أسوار مدينة

أشبيلية في عصر المرابطين والموحدين وما يتخللها من الأبراج، مع دكر المميزات التي تميزها.

2- يعتبر مسجد قصبة أشبيلية من أهم آثار الموحدين في بلاد الأندلس، كما أنه مثال لما تعرضت له الآثار الإسلامية في بلاد الأندلس من الانتهاك. اكتب عن تخطيط مسجد قصبة أشبيلية وما طرأ عليه من تغييرات بعد سقوط أشبيلية في أيدي الأسبان.

أسئلة الفصل التاسع:

1-تضم مدينة غرناطة أهم القصور المتبقية من عصر بني نصر. اكتب عن كل من ساحة المشور وساحة السباع وأهم التكوينات المعمارية لكل منهما.

2- ألحقت بقصر الحمراء عدة ملحقات. اكتب عن التكوين المعماري لكل من مسجد الحمراء وقصر البرطل وقصر العريف والحمامات السلطانية الملحقة بالقصر.

3- يعتبر فندق الفحم مثالا لعمارة الفندق في بلاد الأندلس في عصر بني نصر. اكتب عن تخطيط فندق الفحم وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.

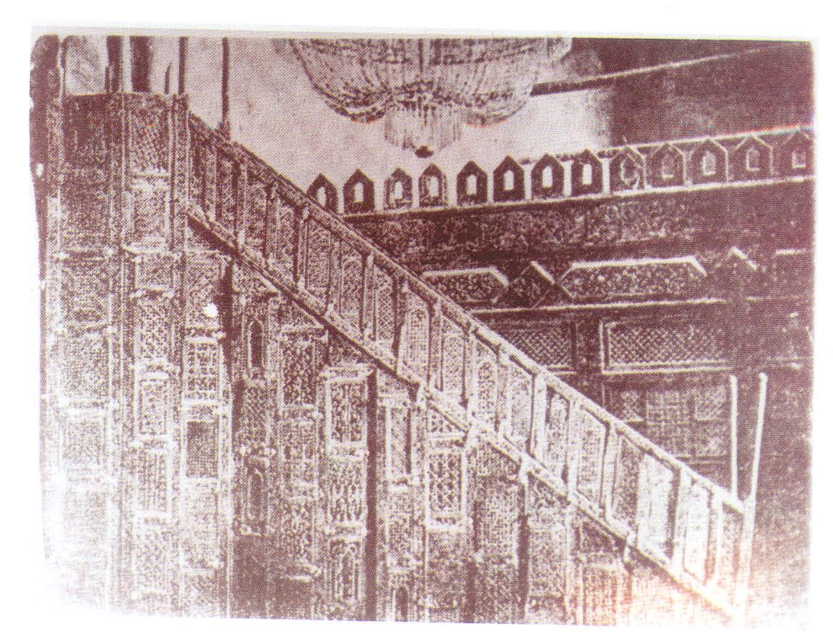
أسئلة الفصل العاشر:

1-اتسمت عمارة المترل في بلاد الأندلس بسمات معمارية وفنية مميزة. اكتب عن تخطيط وعمارة المترل في بلاد الأندلس في العصر الإسلامي، وأهم المعالجات الزخرفية المتبعة في مترل الأندلس.

2- يعتبر الفندق من المنشآت التجارية الهامة في بلاد الأندلس. اكتب عن عمارة الفندق في بلاد الأندلس وأهم المميزات التي يتميز بها، مع دكر أمثلة.

3- اتخذت العمارة الحربية في بلاد الأندلس طرازا مميزا لها. اكتب عن أهم التحصينات في بلاد الأندلس وأهم ما تتميز بها من العناصر المعمارية.

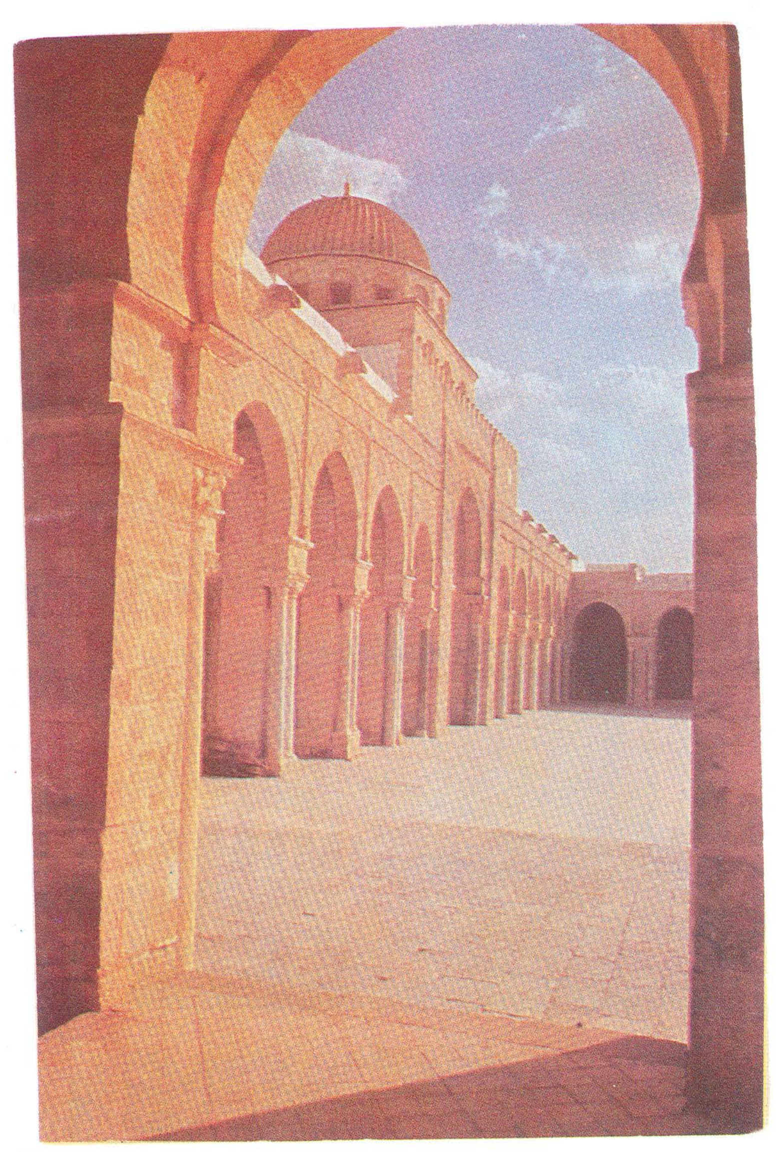
اللوحات



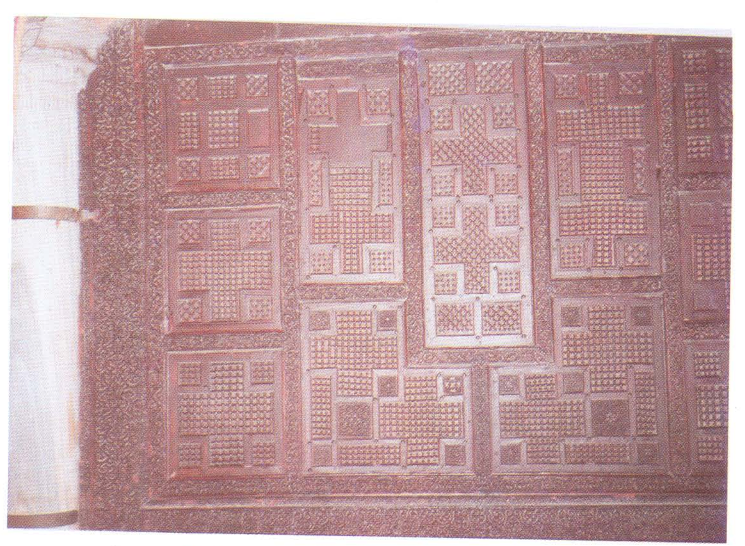
لوحة (1) منبر جامع عقبة بن نافع بالقيروان



لوحة (2) تفصيل لأشكال الزخارف في منبر جامع عقبة بن نافع



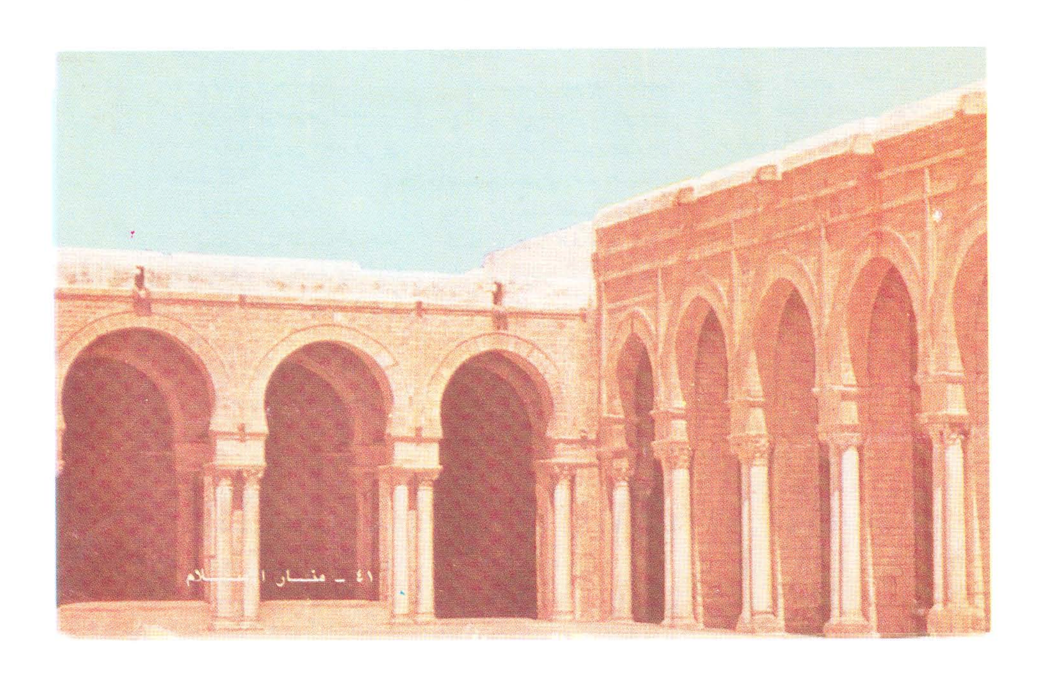
لوحة (3) قبة البهو بجامع عقبة بن نافع



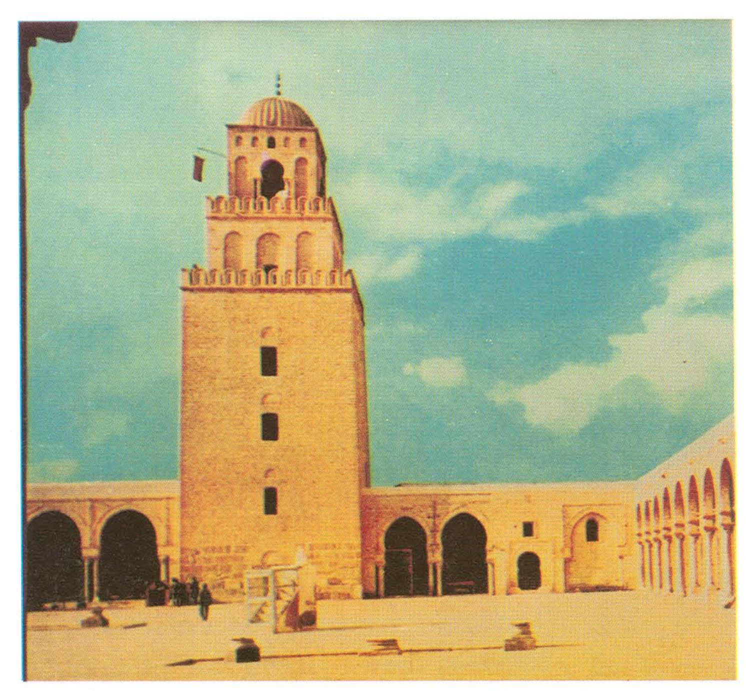
لوحة (4) المقصورة الخشبية بجامع عقبة بن نافع



لوحة (5) البلاطات الخزفية على جانبي محراب جامع عقبة بن نافع



لوحة (6) أشكال الأعمدة وتيجانيها والحدارات بجامع عقبة بن نافع



لوحة (7) صومعة جامع عقبة بن نافع



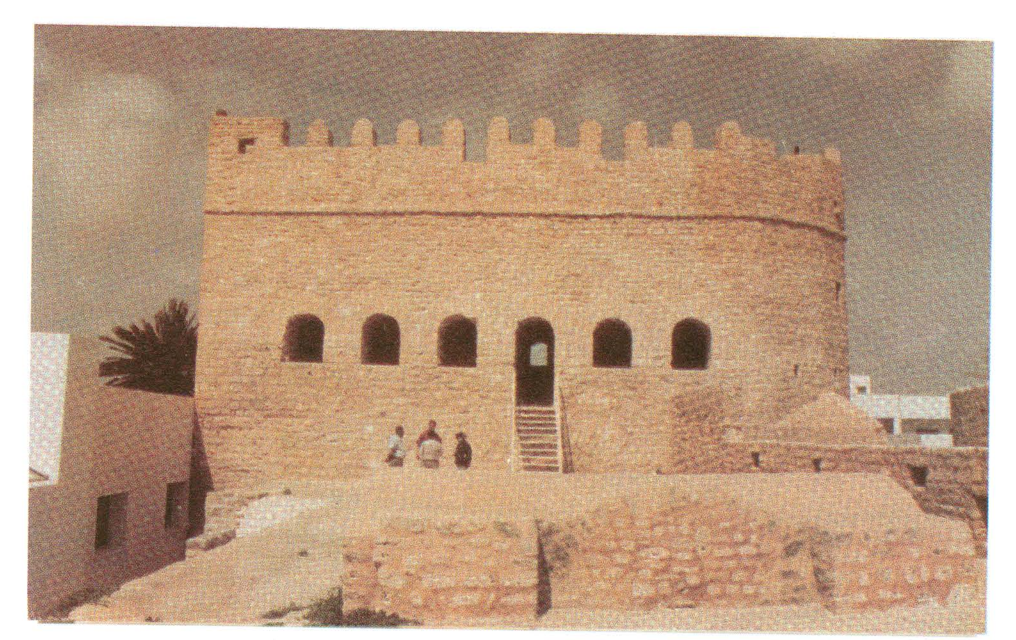
لوحة (8) واجهة البلاط الأوسط ناحية البهو ومناطق إنتقال القبة التي تعلوه



لوحة (9) الكتابات التسجيلية على واجهة السقيفة التي تتقدم جامع الزيتونة



لوحة (10) منظر عام للجامع الكبير في سوسه ، يظهر فيها الظلات والصحن والقباب والأبراج



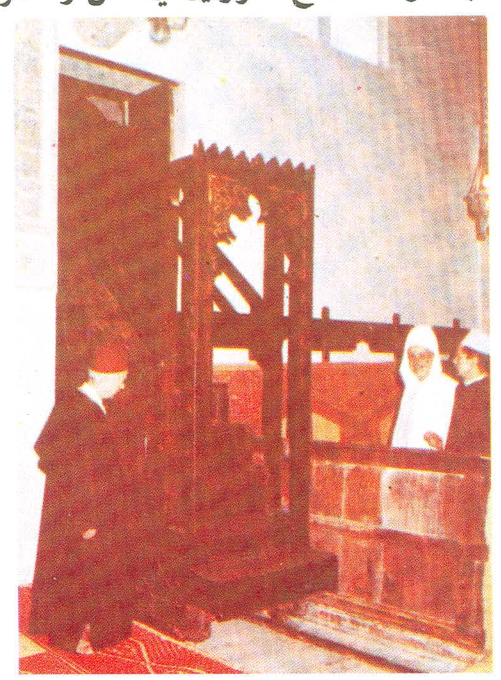
لوحة (11) باب زويلة وجزء من سور مدينة المهدية



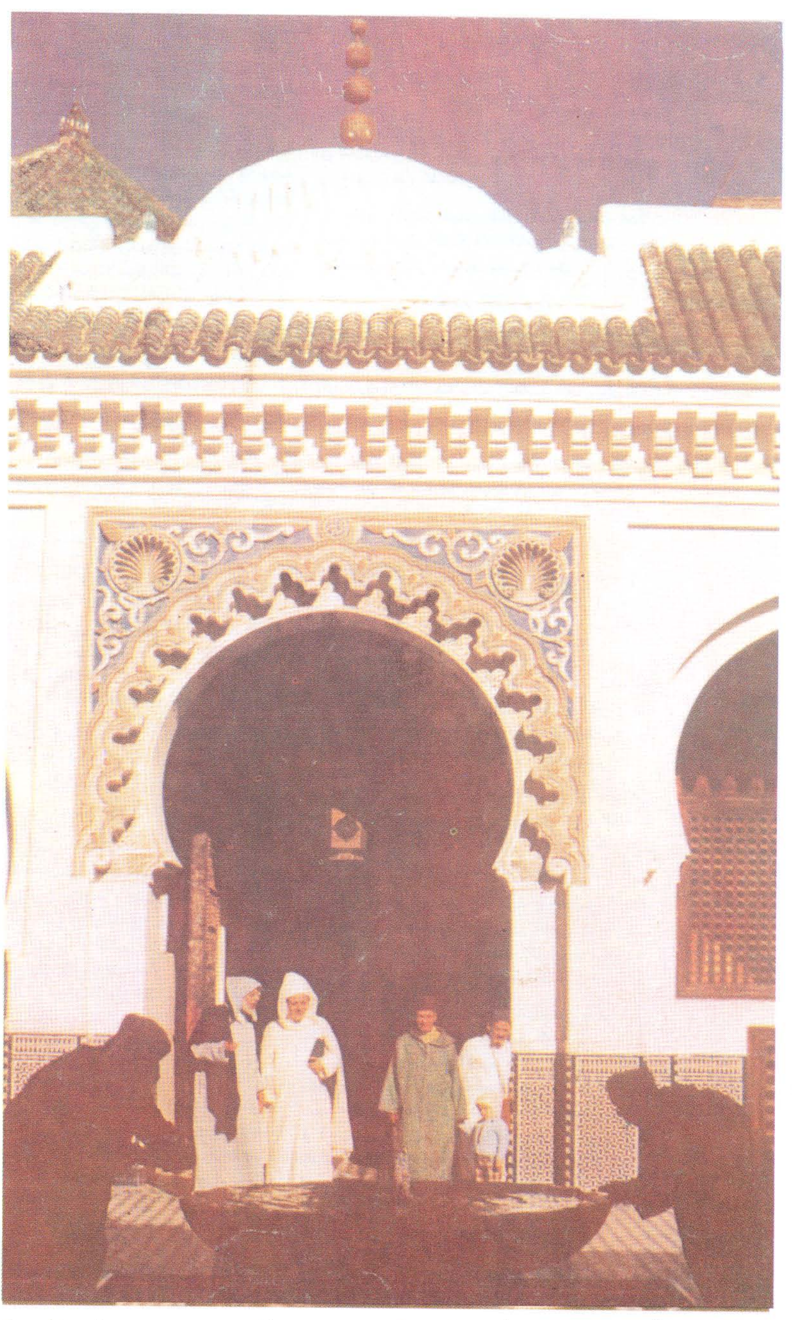
لوحة (12) المدخل المؤدي إلى السقيفة الكحلة بمدينة المهدية والبرجان على جانبيه



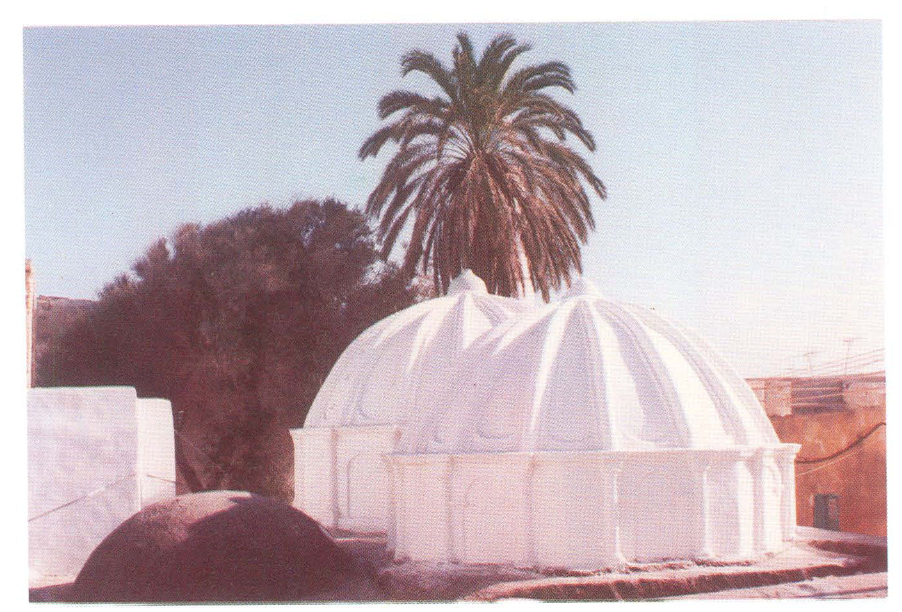
لوحة (13) صومعة جامع القرويين في فاس وحجرة المؤذن



لوحة (14) منبر جامع القرويين في فاس



لوحة(**15**) الأبواب التي تطل على البهو بجامع القرويين ويزخرفها الزخارف الثعبانية، كما تظل القبة التي تعلو بلاطة البهو



لوحة(16) قبتا المسجد والضريح في مدرسة عثمان باشا الساقزلي بمدينة طرابلس الغرب



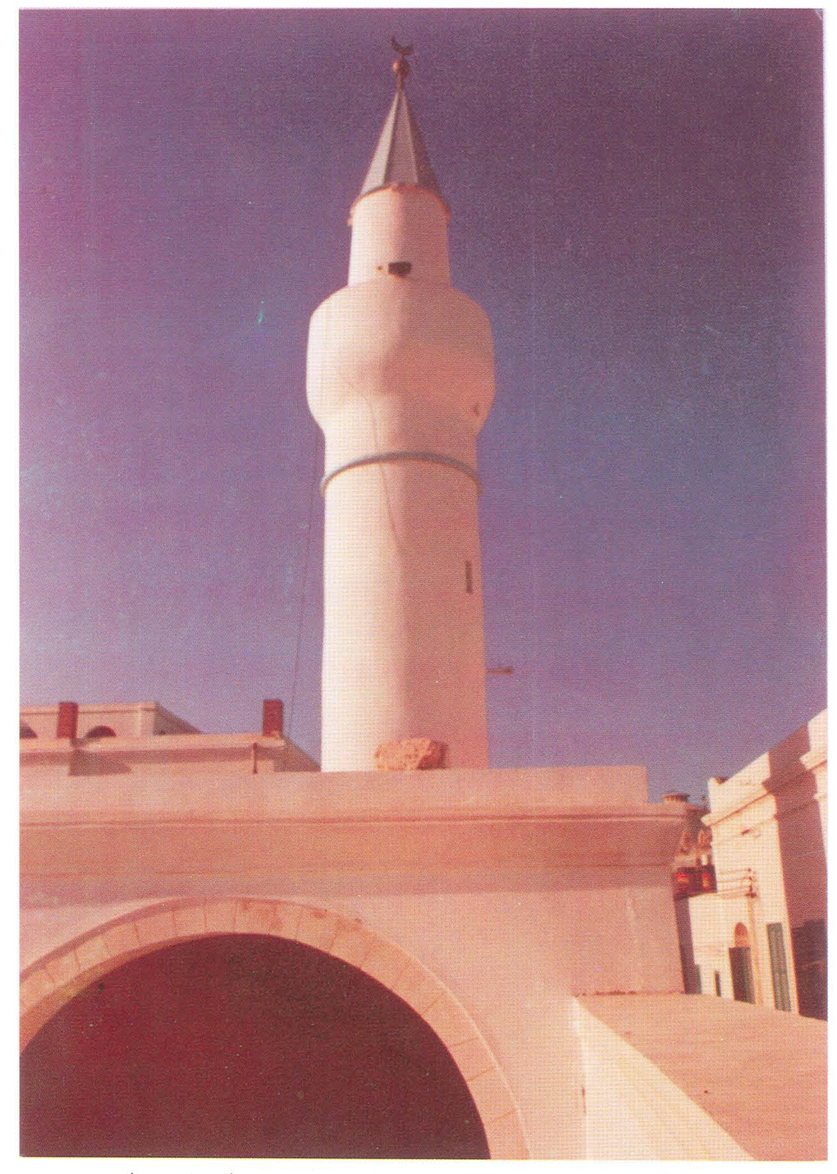
لوحة (17) منبرالجامع الجديد بمدينة تونس



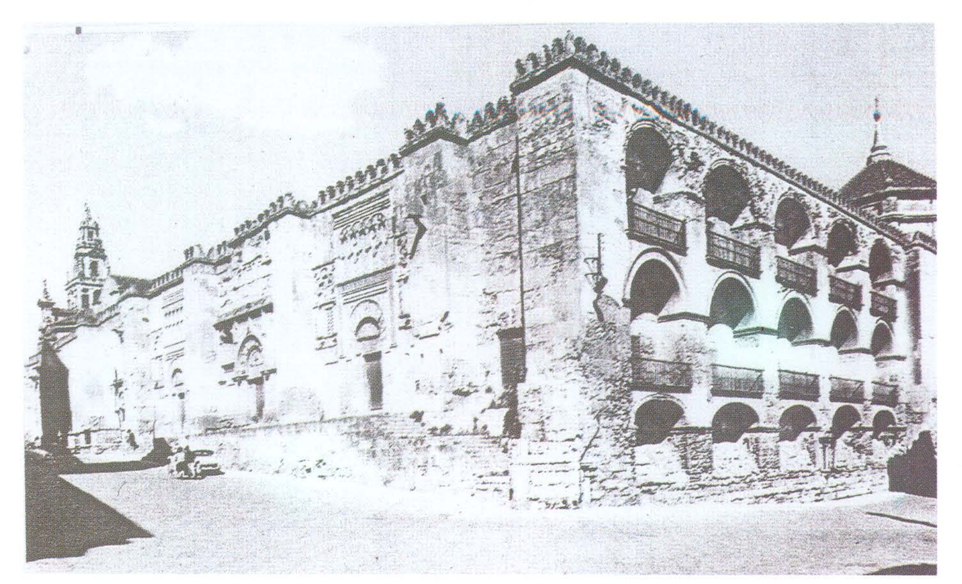
لوحة(18) الشرفة بداخل بيت الصلاة بجامع حمودة باشا بمدينة تونس



لوحة(19) مئذنة جامع يوسف داي بمدينة تونس



لوحة(20) مئذنة جامع محمود خاذندار بمدينة طرابلس الغرب



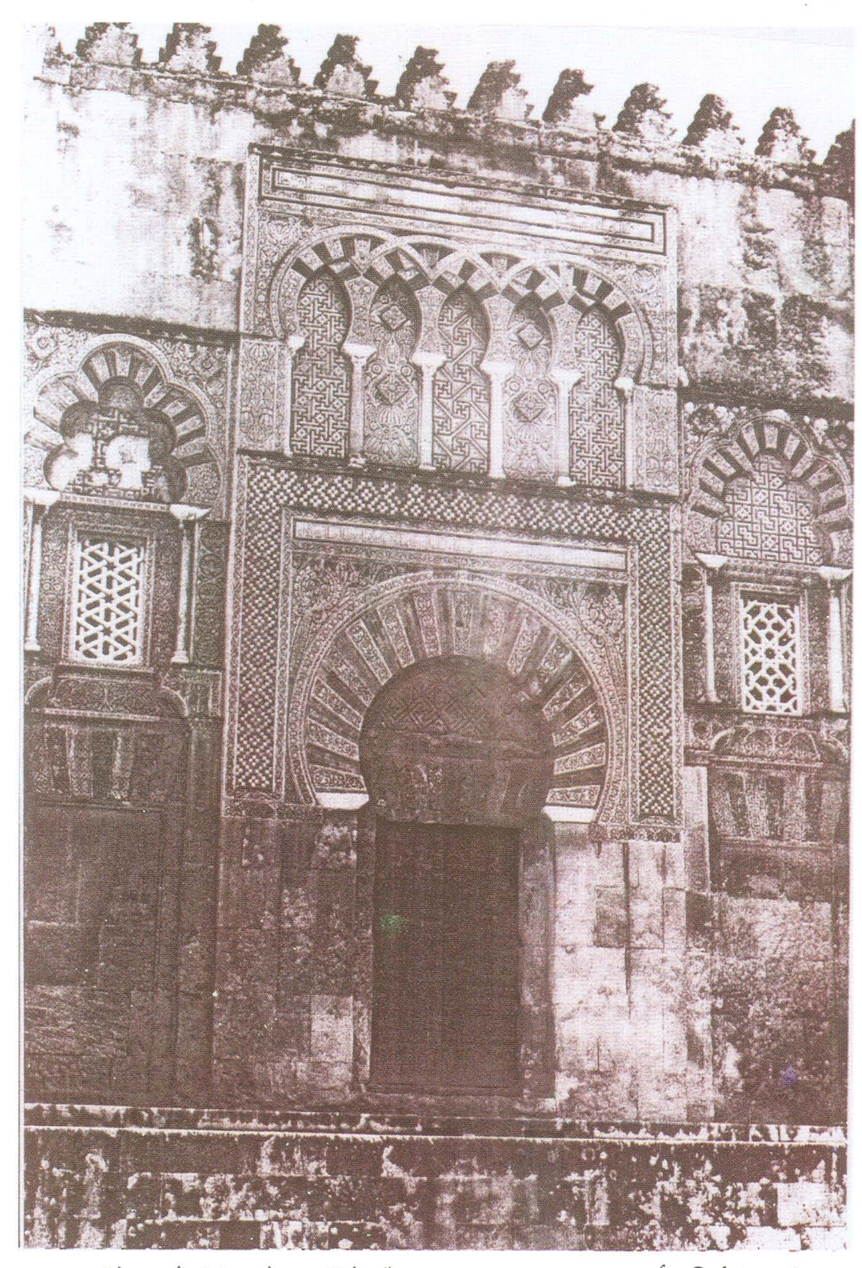
لوحة(21) منظر عام لمسجد قرطبة في الأندلس



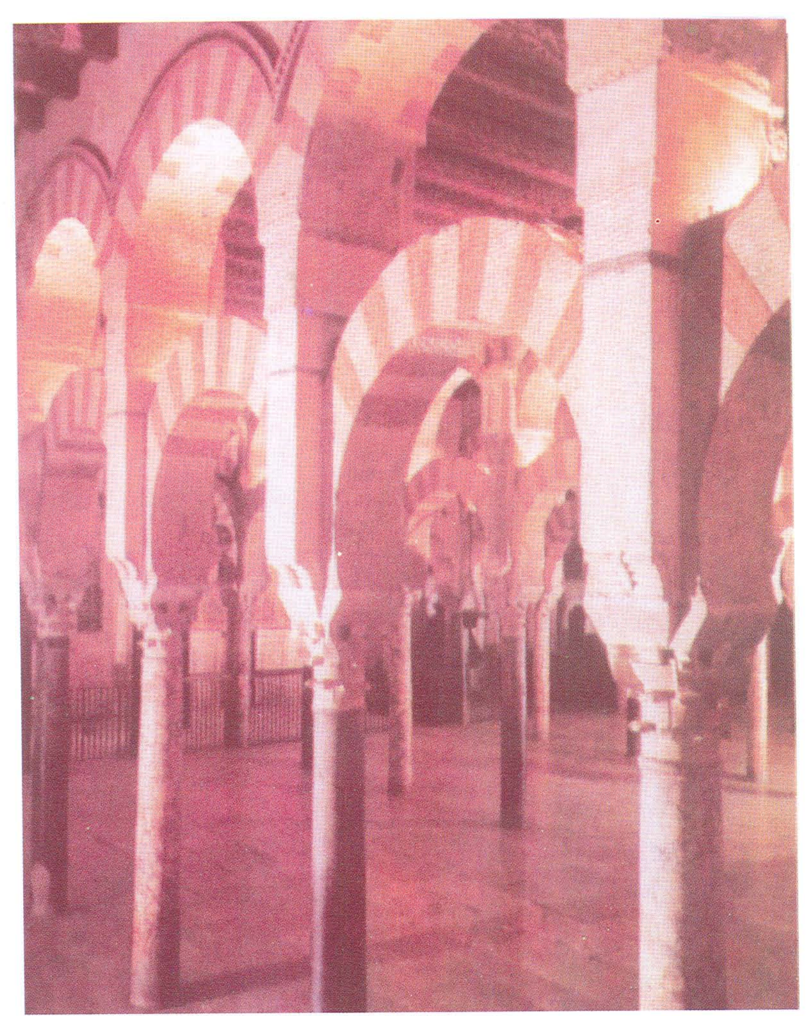
لوحة(22) صومعة جامع قرطبة



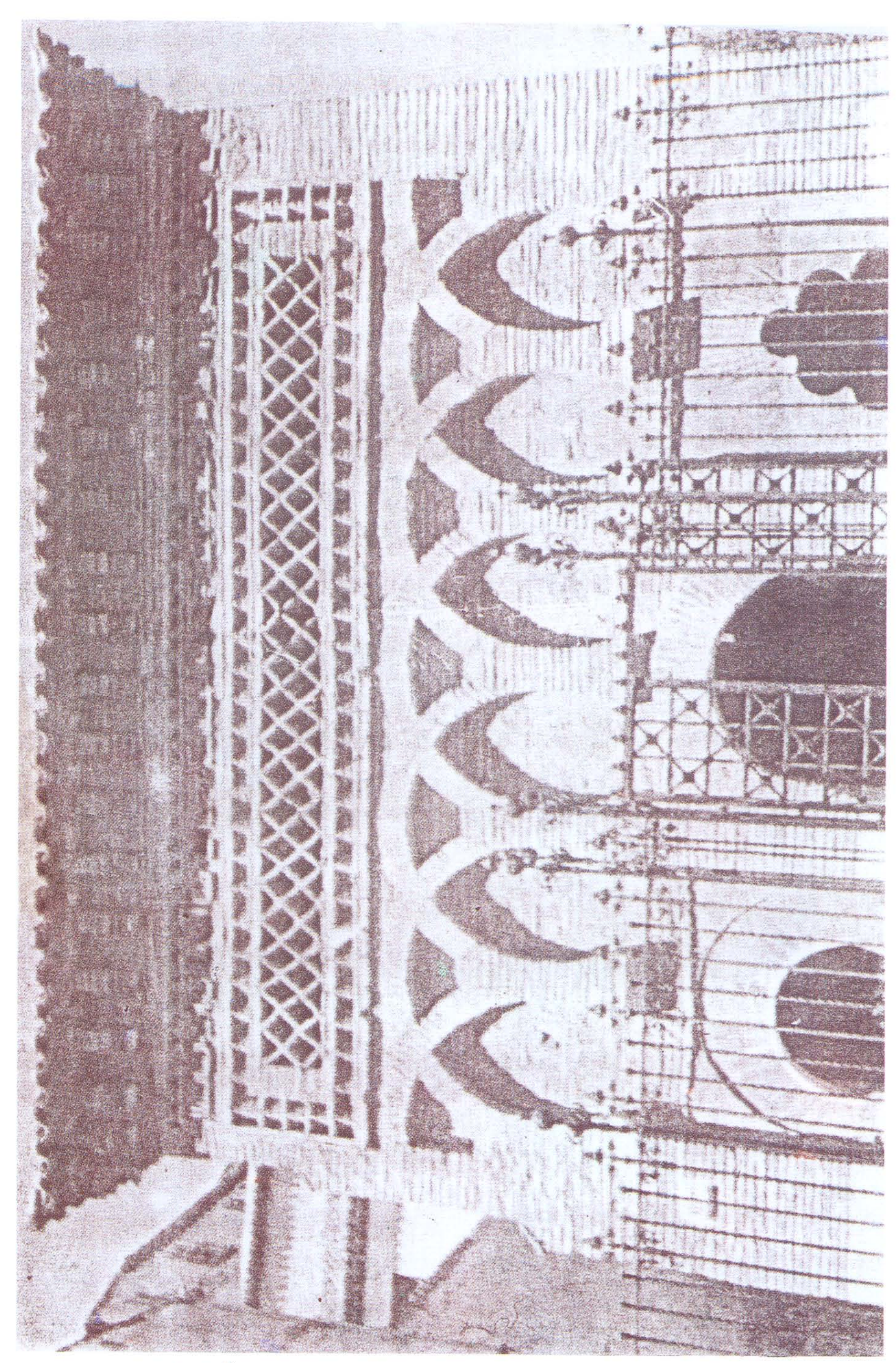
لوحة(23) أحد أبواب الجامع الكبير بقرطبة وتظهر الرسوم الآدامية أعلاه بعد تحويل المسجد إلى كنيسة



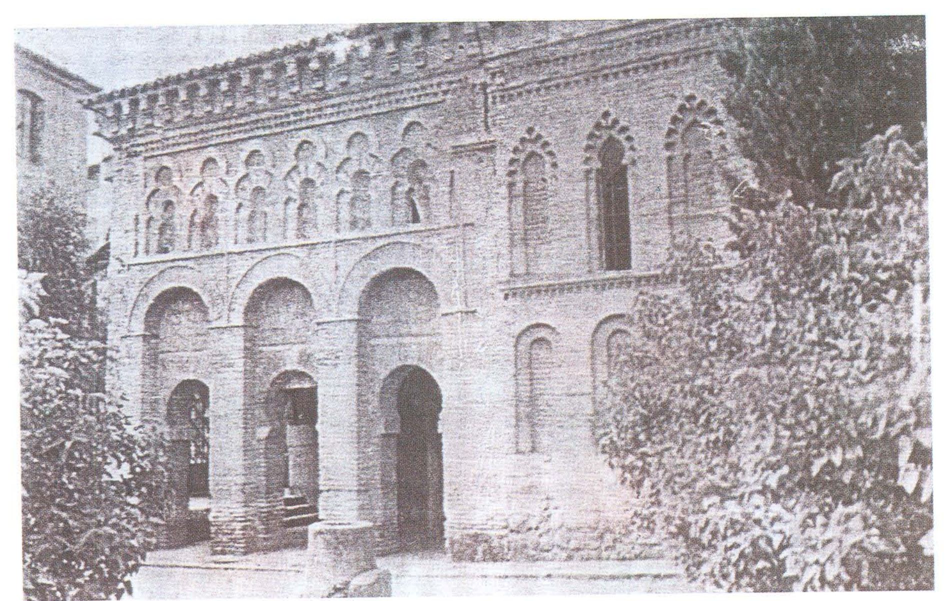
لوحة(**24**) أحدى واجهات مسجد قرطبة، ويظهر بها الزخرفة من تشبيكات العقود



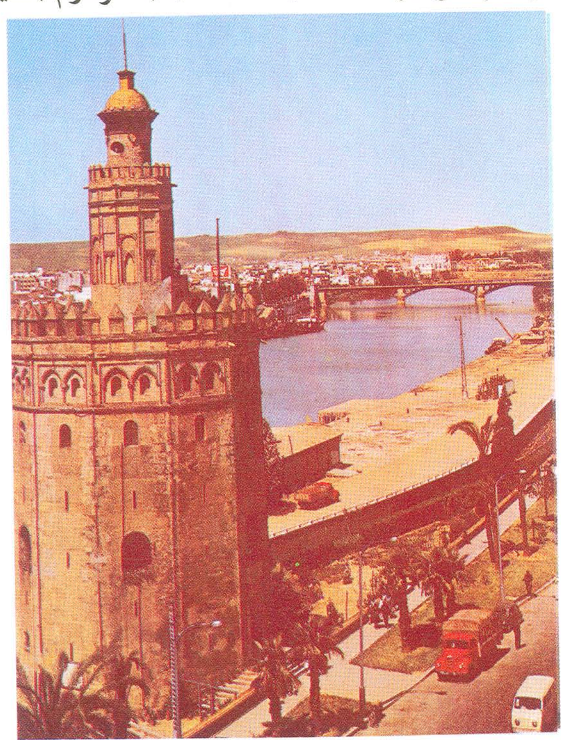
لوحة(25) العقود المتراكبة في بوائك جامع قرطبة



لوحة(26) مداخل مسجد باب مردوم والعقود المتشابكة التي تعلوها



لوحة(27) الواجهة الشمالية لمسجد باب مردوم بطليطلة



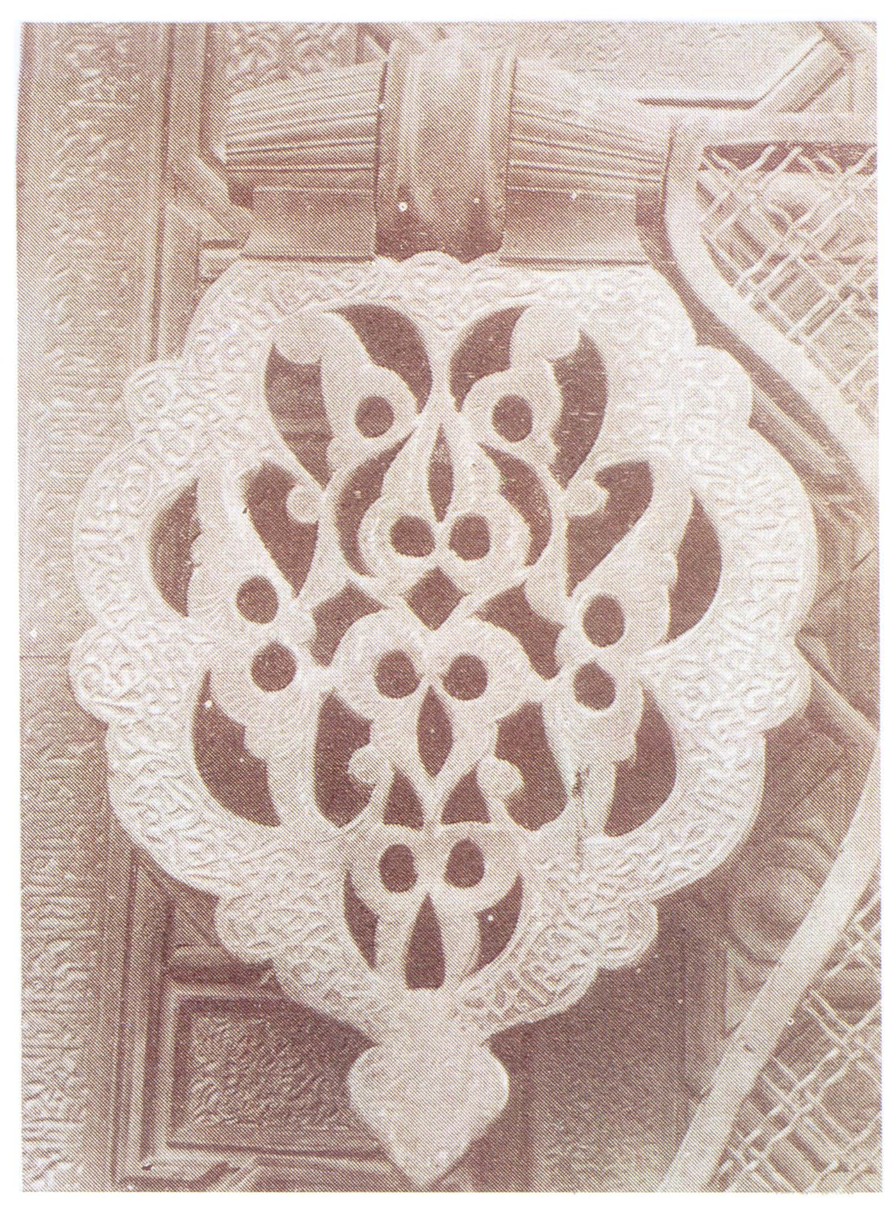
لوحة(28) برج الذهب بمدينة أشبيلية



لوحة(29) سور مدينة أشبيلية



لوحة(30) صومعة جامع قصبة أشبيلية " الخيرالدا "



لوحة(**31**) سماعة باب صومعة جامع قصبة أشبيلية " الخيرالدا"



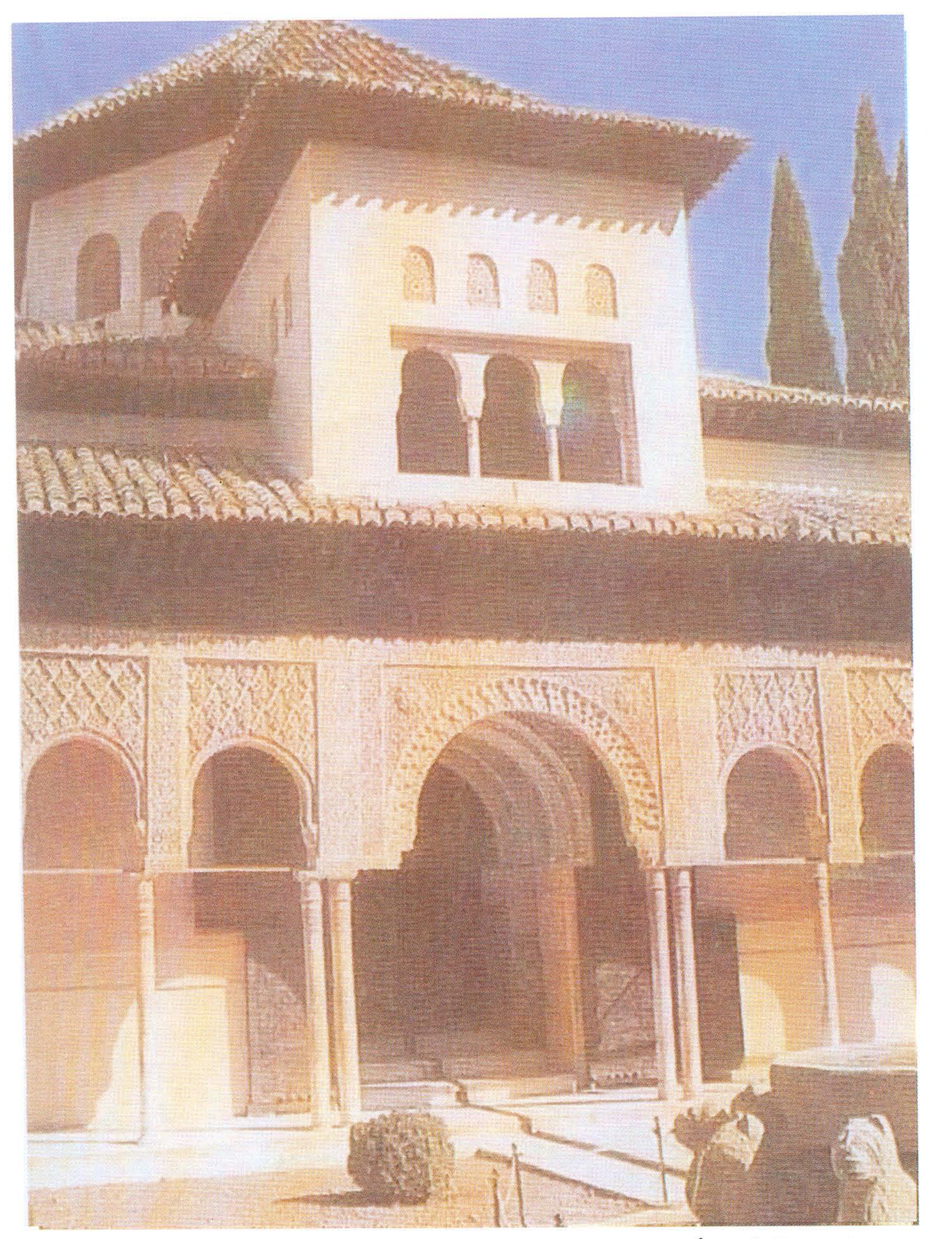
لوحة(32) برج قمارش وجزء من الرواق الشمالي بقصر الحمراء في غرناطة



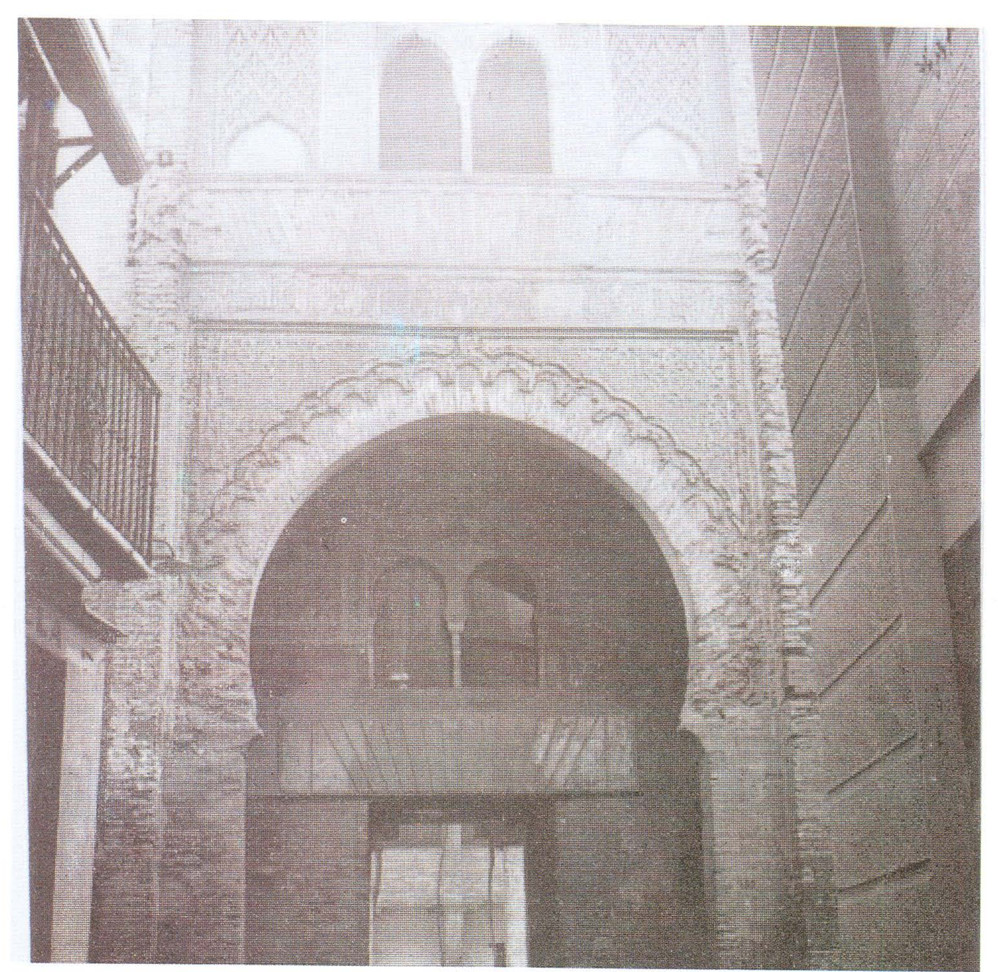
لوحة(33) شعار أسرة بني نصر " لاغالب إلا الله "



لوحة(**34**) ساحة السباع بقصر الحمراء في غرناطة



لوحة(35) الأعمدة والعقود والنقوش التي تعلوها في ساحة السباع بقصر الحمراء



لوحة(36) مدخل فندق الفحم في غرناطة



لوحة(37) فناء وأروقة فندق الفحم في غرناطة



لوحة(38) جانب من قصر ابن عباد في أشبيلية

فهرس المحتويات